



الاختراق الصهيوني للعراق





دراسة

البريد الالكتروني: E-mail :unecriv@net.sy

aru@net.sy

موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت

http://www.awu-dam.org



د. خالد الناشف

الاختراق الصهيوني للعراق

دراسـة

من منشورات اتحاد الكتاب العرب

دمشق - 2005

"في الحقيقة، حرب العراق هي جنين أخرى، ولكن على مستوى أضخم. فما حصل في جنين أن الإسرائيليين قالوا للفلسطينيين: تركناكم هنا لوحدكم ولكنكم لعبتم بالنار وفجأة قمتم بتفجير سيدر (عشاء عيد الفصح) في ناتانيا، ولهذا لن نترككم وحدكم بعد الآن. سنذهب من بيت إلى بيت في القصبة. ومن وجهة نظر أمريكا، عراق صدام هو جنين".

توماس فريدمان من مكاتب صحيفة النيويورك تايمز في واشنطن

تمهيد

كان الخطاب العربي مقصراً في تحديد طبيعة دور إسرائيل، أو اليهودية العالمية، في العدوان الأمريكي على العراق. ولا يتناسب هذا التقصير مع حجم الكارثة التي حلت بالعراق، وبشكل تلقائي بالأمة العربية، وتمثلت بالاحتلال الأجنبي لدولة عربية وتدمير تراثها الحضاري، وشكلت سابقة خطيرة تهدد المنطقة بأسرها. لهذا كان من الصعب ترك الوعي العربي أسير عموميات عاطفية لا تتجاوز في أحسن الأحوال الاعتماد على ما يتسرب هنا وهناك في وسائل الإعلام العربية من معلومات مبعثرة ومحدودة حول دور إسرائيلي أو يهودي محتمل. لهذا كانت هناك حاجة ملحة لبحث الموضوع وتقييمه من جميع جوانبه، التي لا تقتصر على توغل الشركات الإسرائيلية في السوق العراقي. من هنا جاءت فكرة هذا الكتاب، الذي اعتمدت المادة الواردة فيه، بشكل شبه تام، على مصادر أجنبية، أمريكية يهودية أو إسرائيلية، ونادراً ما كان هناك رجوع إلى مصدر عربي أو أجنبي له مواقف مناوئة لإسرائيل أو الصهيونية[1]. وتبين من التقييم أن الكثير من الأطراف لم تتردد في التعبير بشكل مباشر عن مصالحها في العدوان على العراق، الذي يهدف في الدرجة الأولى إلى إلغاء العراق كعنصر قومي في الصراع العربي الإسرائيلي. وعمق العلاقة بين الولايات المتحدة وإسرائيل تؤكدها مواقف أيديولوجية صريحة تحملها بشكل خاص المنظمات والجماعات اليهودية الأمريكية، وكل هذا يحصل في ظل خمول عربي مقيت. وفي المقابل، لم يكن هذا الاندفاع الجنوني نحو تدمير العراق إلا تعبيراً عن المأزق الذي تواجهه المصالح الأمريكية الإسرائيلية

---

(1) مثلاً لم تؤخذ المعلومات، التي ترددت في وسائل الإعلام العربية حول "وزراء" أو مستشارين أمريكيين يهود في العراق.

في فلسطين مع استمرار المقاومة الفلسطينية وثباتها.

يعـرض الفصـل الأول مشـاركة الجنود والضباط الأمريكيين اليهود في القوات الأمريكية التي غزت العراق. وبعض هؤلاء هم من رجال الدين، الذين احـتفلوا بالأعـياد الـيهودية مباشرة بعد الاحتلال وكانوا يتجولون في العراق بحرية. يتناول الفصل الثاني الدور الإسرائيلي في العدوان، كما انعكس إعلامياً في الولايات المتحدة وإسرائيل، ويجمع المعلومات المتوفرة حول تنسيق الجهود بيـن الطرفيـن، مثل عمليات أمريكية إسرائيلية مشتركة تمت في العراق قبل العـدوان، وتـزويد القوات الأمريكية بالأسلحة و"الخبرات" الإسرائيلية. الفصل الثالـث يسـلّط الضـوء علـى الوجـود الإسرائيلي واليهودي في العراق بعد الاحـتلال، وهو ما اتخذ أشكالاً مختلفة، من بينها زيارات لمسؤولين إسرائيليين إلى بغداد قاموا بها بعد الاحتلال مباشرة بدعوى تفقد أوضاع الجماعة اليهودية في العراق. وبالفعل نجح هؤلاء، وغيرهم من المنظمات الأمريكية اليهودية، في إخـراج عـدد مـن الـيهود من العراق وإحضارهم إلى إسرائيل واستغل هذا الموضـوع دعائـياً لخدمـة الصـهيونية. وكذلك يعرض الفصل نشاط مكتب إسـرائيلي أسـس فـي بغـداد بذريعة رصد وسائل الإعلام العراقية، وخلفية الشخصـيات التي تقف وراء نشاطه. ويتطرق الفصل إلى ما أمكن جمعه حول نشـاطات الموسـاد في العراق بعد الاحتلال، وتحركات منظمات مشبوهة في المـنطقة الكردية، واستغلال الحالة الإنسانية لعائلة كردية لأغراض صهيونية، وأدوار أفـراد أمريكيين يهود أو إسرائيليين في العراق. موضوع الفصل الرابع هـو الـدور الـذي لعبـته اليهودية العالمية، الممثلة بشكل خاص بالمنظمات والجماعـات الـيهودية الأمريكـية، في دعم العدوان والتعاون مع "المعارضة العراقـية". ومع سقوط بغداد في نيسان أصبح المجال مفتوحاً أمام رجال أعمال أمريكييـن وبريطانييـن يهـود لتحقيق أهداف سياسية لخدمة إسرائيل. وبشكل متزامـن مـع بدايات التحضير للعدوان أطلقت المنظمات والجماعات اليهودية حملـة للـتعويض عن ممتلكات اليهود من العراق والبلدان العربية، والفصل يبيّـن أن الهدف النهائي من هذه التحركات هو تصفية القضية الفلسطينية. يجمع الفصـل الخـامس المعلومـات المـتوفرة حول التوغل الإسرائيلي في السوق العراقـي، الـذي أصـبح فـي ظـل الاحتلال مفتوحاً بالكامل أمام الشركات والاستثمارات الإسرائيلية ورجال الأعمال الإسرائيليين. يعرض الفصل السادس اسـتغلال موضـوع يهود العراق، وكيف كان تشويهه تاريخياً جزءاً من حملة

تــبرير للعــدوان. الفصــل السابع والأخير يعرض الاهتمام الزائد والمصطنع بالــتراث الــيهودي العراقي ومحاولات إخراجه من العراق، واستغلال بعض جوانب التراث الحضاري العراقي، التي قيل أنها يهودية، لتحقيق موطئ قدم في العــراق، ويوضــح نقاط الالتقاء مع الممارسات الاستعمارية في فلسطين، التي تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر.

هــناك خــيط يــربط فصول الكتاب وهو المنظمات والجماعات اليهودية الأمريكــية وتشــابكها على مستويات متعددة. ولا شك أن لهذه الأطراف تأثير كبــير فــي الــرأي العــام الأمريكي، وخاصــة أن هناك مؤسسات وأشخاص مرتبطيــن بهــا يمتلكون العديد من وسائل الإعلام الأمريكية أو لهم دور حيوي فيها. وقد يكون هذا التأثير أو الضغط، الذي يفرض مباشرة على الكونغرس من خــلال أعضاء يهود فيه، أحد العوامل الأساسية في صياغة السياسة الأمريكية، غــير أن هــذا لا يعنــي أن هذه السياسة تسير بشكل تلقائي باتجاه "يهودي" أو "إســرائيلي"، أو أن تحركات المجموعات اليهودية تعبر فقط عن مصالح يهودية أو إســرائيلية. الجمــيع يــدرك وجــود مجموعات ضغط يهودية كــ "اللجنة الأمريكــية الإسرائيلية للشؤون العامة"[1] (أيباك)، وهي تعلن بكل وضوح عن أهدافهــا التــي تتمحور حول الضغط على الكونغرس الأمريكي. يشير جيفري بلانكفــورت[2] إلى أن هناك مجموعات ضغط متعددة في الصراعات السياسية والاجتماعــية الأمريكــية، كمــا فــي مجالات النفط، السلاح، التبغ، التأمين، والمستشــفيات، والكثير غيرها، وهذه المجموعات معروفة في واشنطن. فلماذا يحــرم الحديــث عــن مجموعــات ضغط تصنف بأنها موالية لإسرائيل، أسوة بغــيرها، وهــو مــا يطرحه بلانكفورت، الذي قام بجمع أسماء أشخاص يهود يملكون أو يؤثرون في وسائل الإعلام الأمريكية. وبلا شك، ينبغي الحديث عن مجموعــات الضغط الموالية لإسرائيل والجماعات التي تدعي أنها تمثل مصالح الــيهود الأمريكيين. ولكن الأهم من ذلك هو تحديد العلاقة والمصالح المتشابكة بين هؤلاء ومراكز القوى الأمريكية الحقيقية، وهي ليست بالضرورة "يهودية"، والأمــر كله لا يخضع لاعتبارات دينية أو مذهبية. وأفضل ما يعبر عن اللوبي

---

[1] (*American Israel Public Affairs Committee*). أضــيفت في هوامــش الكتاب أسمــاء المؤسسات والأشخاص كما وردت في المصادر الأجنبية لدى ذكرها للمرة الأولى فقط، كما استخدمت في الكتاب اختصارات لأسماء بعض المؤسسات.

[2] (*Jeffrey Blankfort*)؛ أنظر هامشي 193 و591.

الصــهيوني فــي أمــريكا هو ما قاله يوسي كلاين هاليفي[1] من أن "مجموعة الضغط المساندة لإسرائيل هي الأقوى في واشنطن، ولكنها لن تكون كذلك لو لم يــرَ الأمريكيون في إسرائيل انعكاساً لأنفسهم". واللافت للنظر أن كلاين هاليفي يذكــر هذه الملاحظة في رده على ما يقوله بعض "الحاقدين، وخاصة من العالم العربــي، مــن أن دعــم أمريكا لإسرائيل مرده 'مؤامرة صهيونية'". ما يقوله "الأمريكي" أو "اليهودي" أو "الإسرائيلي" كلاين هاليفي في موقع "إسرائيل القرن الحادي والعشرون"[2] الدعائي، الذي يقوم بتمويله إريك بينهامو، رجل الأعمال الأمريكــي الــيهودي الجزائــري الأصل، يوصلنا إلى نتيجة تقول ببساطة ... إسرائيل، هي امتداد لأمريكا.

هــذا الكــتاب لــيس ضد اليهود، ولا ينتقد اليهودية كديانة، التي هي ككل الديانــات الأخــرى ليست إلا ملجأ روحياً، يتعايش فيه الفرد مع نفسه وعالمه الخارجــي وتناقضاته. وكلمة "يهود" أو "الجماعة اليهودية" استخدمت تماشياً مع المــبدأ الصهيوني الذي حوّل اليهودية إلى قومية، ولا تعني على الإطلاق تقييماً للديانة أو من يعتنقها. فالكتاب يوثق التماهي بين اليهود، أمريكا وإسرائيل، وهو مــا تعــبر عــنه العديد من الأطراف الصهيونية، مؤسسات وأفراد، كالحاخام كارلوس هويرتا[3] العامل في القوات الأمريكية الغازية للعراق، الذي يقول: "أنا فخــور بالخدمة في [الجيش الأمريكي] ليس كأمريكي فحسب، بل أيضاً كيهودي أمريكــي"، أو جوناثــان زاغدانسكي[4] الملازم أول في الجيش الأمريكي، الذي غزا العراق، ويعبر عن نفسه كيهودي فيقول: "نحن في أمريكا وإسرائيل" و"كل أمريكــي وكــل يهــودي". هذا الدمج بين "أمريكا" و"إسرائيل"، أو التعبير عن مصــالح "يهودية"، هو الموقف ذاته الذي تحمله المنظمات والجماعات اليهودية الأمريكية، كـــ "المؤسسة اليهودية لشؤون الأمن القومي"[5] (جينسا)، التي تهدف إلــى: "تثقيف الجمهور الأمريكي حول أهمية وجود طاقات دفاعية فعالة لحماية مصــالحنا الحيوية كأمريكيين، وإحاطة وزارتي الخارجية والدفاع علماً بالدور المهــم الــذي تلعــبه إسرائيل في تعزيز المصالح الديمقراطية في منطقة البحر

---

(1) (*Yossi Klein Halevi*)، مراســل إســرائيل لـــ "ذي نــيو ريوبلــيك" (*The New Republic*).

(2) (*Israel21c*)، 2003/2/9.

(3) (*Carlos Huerta*).

(4) (*Jonathan Zagdansky*).

(5) (*Jewish Institute of National Security Affairs*).

الأبـيض والشرق الأوسط"، أو "منظمة النساء الصهيونيات الأمريكية"[1]، التي "تهـدف إلـى تعزيز العلاقة بين أعضائها وإسرائيل، الحفاظ على الاستمرارية الـيهودية، والعمـل كقـوة فعَّالة في المجتمع الأمريكي"؛ أو أيباك، التي تعرِّف نفسـها بأنها "لوبي أمريكا لمناصرة إسرائيل" وتساعد على تمرير حوالي "مائة مـبادرة تشـريعية" سنوياً في الكونغرس لمصلحة إسرائيل ومن بين نشاطاتها: "تمويـل الجهـود المشتركة بين الولايات المتحدة وإسرائيل لتطوير الدفاع ضد الأسلحة غير التقليدية"[2].

يقـول: غيل تروي[3]، مؤلف كتاب: "لماذا أنا صهيوني: إسرائيل، الهوية الـيهودية وتحديـات الـيوم"، "إن الأمريكيـين، الإسرائيليين، والديموقراطيين الليبراليـين هم جميعاً مهاجَمون"، ويطالب بتفعيل النشاط المجتمعي الأمريكي لمجابهـة "الإرهــاب" أيديولوجـياً. فلا "جورج بوش أو أرييل شارون يبدوان مناسـبين لأداء هذا الدور المهم في تحقيق بعث أيديولوجي ومجتمعي". وهذا لا يعنـي أن الصـهيوني تـروي يعـارض القوة العسكرية، التي يمارسها بوش وشـارون ضـد العراقيين والفلسطينيين، إذ يقول: "لندع القادة يشنون الحروب. ولكـن دعونـا نصوغ مواطنة نشيطة ومندفعة وملتزمة أيديولوجياً ومضحية، ونكسب السلام". وكمثال على هذه المواطنة "الملتزمة والساعية لكسب السلام"، يذكـر تـروي أن على المواطنين الأمريكيين بذل مجهود أكبر في دعم القوات الأمريكـية، "حـتى ولو بشكل رمزي، كالتبرع ببطاقة هاتف للجندي الأمريكي حـتى لا تقلقـه تكالـيف الاتصال الهاتفي عبر البحار"[4]. ولا يختلف ما يكتبه الصـهيوني تروي عن الآراء التي عبر عنها هويرتا أو زاغدانسكي، والموقف ذاتـه يُعـبر عـنه بشـكل صريح المنظمات والجماعات اليهودية في برامجها وسياسـاتها. المقارنـة تكشف عن خط متفق عليه يتبناه المؤدلجون من القادة اليهود، حتى في التفاصيل، كاقتراح تروي حول جمع التبرعات لشراء بطاقات هاتفـية، وهـو أحد جوانب الحملة التي نظمتها الجماعات اليهودية الأمريكية[5]

---

(1) (Women's Zionist Organization of America) أو مـا يعرف باسم "هداسا" (Hadassah).

(2) أهداف المنظمات من مواقعها على الإنترنت.

(3) (Gil Troy)، أسـتاذ "الـتاريخ الأمـريكي" في جامعة ماكغيل (McGill University) (مونريال، كندا).

(4) (Israel21c)، 2003/5/26.

(5) انظر ص 19.

لدعم الجنود اليهود في العراق.

ولكن! أين يقف العرب من هذا الزخم المتناغم من الطاقات الموالية لإسرائيل في الولايات المتحدة والعالم؟ وهل يتصدون له؟ وهل يعرفون حقاً الدور المشبوه الذي تلعبه "مؤسسة الشرق الأوسط للإعلام والأبحاث"[1] (ميمري)، التي يرأسها ييغال كارمون[2]، العضو السابق في المخابرات العسكرية الإسرائيلية؟ إن هذه المنظمة تعمل على انتقاء ما تراه مناسباً من الإعلام العربي خدمة لأغراضها، ثم تقوم بترجمته، مستغلة عائق اللغة الذي يمنع الإعلام الغربي من الاطلاع على كل ما ينشر باللغة العربية. ميمري هذه فتحت فرعاً لها في بغداد في شهر تموز *2003*، وربما قبل ذلك، والمؤسسة مدرجة في موقع لمراكز الأبحاث تابع لوزارة الخارجية الإسرائيلية.

بريان ويتاكر[3]، الصحفي البريطاني، كشف عن الدور المشبوه الذي تلعبه هذه المؤسسة وكتب قائلاً: "كل ما يلزم أن تقوم مجموعة صغيرة، ولكن نشيطة، من الإسرائيليين باستغلال عائق عدم المعرفة باللغة العربية لأغراضها الخاصة وتبدأ بتغيير نظرة الغرب إلى العرب تجاه الأسوأ". وإذا كانت صورتنا كعرب لا يمكن أن تصل إلى أسوأ مما هي عليه الآن في الغرب، فإن في ما يكتبه ويتاكر لمواجهة ميمري رسالة واضحة لنا: "ليس من الصعب تصور ما يمكن للعرب أن يقوموا به لمواجهة ذلك. تلتئم مجموعة من شركات وسائل الإعلام وتتولى نشر ترجمات لمقالات تعكس بدقة أكثر ما تتضمنه صحفهم"، وقد يكون ما يقترحه ويتاكر أحد أمور كثيرة يفترض بالعرب القيام بها، كرصد الإعلام الصهيوني والغربي، أو الكشف عن مجموعات الضغط اليهودية أو الإسرائيلية في الولايات المتحدة. ولكن العرب لا يفعلون هذا ولا ذاك، إذ يكتب ويتاكر في ختام مقاله، أن العرب: "كالعادة، يفضلون الاسترخاء في مقاعدهم وهم يتذمرون حول مكائد عملاء المخابرات الإسرائيلية". هذا الكلام عن التقاعس العربي يؤكده الأمريكي رامزي كلارك[4]، داعية السلام واحترام حقوق الإنسان، الذي قال أثناء وجوده في القاهرة في كانون الأول عام *2003*: "ليس من المعقول أن يخرج مليونا مواطن أمريكي للشارع في مظاهرات

---

[1] (*Middle East Media and Research Institute*).

[2] (*Yigal Carmon*).

[3] (*Brian Whitaker*)، (*The Guardian*)، *2002/8/12*.

[4] (*Ramsey Clark*).

عارمة، وتقوم الشرطة بضربهم وتصيبهم إصابات بالغة في أجسامهم، والعرب جالسون في بيوتهم يتفرجون علينا وكأننا قد خرجنا إرضاء لمزاجنا مع أن هذا يعتبر شأناً عربياً ولا بد من التحرك حياله"[1]. وبالمقابل يوجد موقع على الإنترنت[2] يشرف عليه طلاب وأساتذة في جامعة ايرلندية، يقدم أكبر قدر ممكن من المعلومات التي تكشف خلفية الآراء الواردة في وسائل الإعلام حول "إسرائيل أو فلسطين"، وعملياً يشكل هذا الجهد حملة مضادة للإعلام الكثيف الموالي لإسرائيل. ولا يوجد فلسطينياً أو عربياً ما يقابل هذا الموقع، سواء من حيث المضمون أو التوجه.

فالرأي العام، الأوروبي والأمريكي، لم يعد يصغي إلى النغمة القديمة التي تستدر العطف أو الشفقة لليهود، لتصب هذه المشاعر تلقائياً باتجاه إسرائيل، "الدولة الصغيرة، الديموقراطية، التي تتعرض منذ إقامتها لخطر وجودي"[3]، كما يصفها شلومو غازيت، الرئيس السابق لجهاز الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية. فقد أصبح واضحاً أن منطق استخدام العنف من قبل إسرائيل جاء نتيجة سياسة هذه "الدولة الصغيرة"، وأن هذه اللعبة لم تعد فعّالة في أوروبا وأمريكا، خاصة وأن إسرائيل تتعمد أيضاً إظهار القوة بمواجهة الشعب الفلسطيني الأعزل، الذي يطالب بوطنه المسلوب. هذه هي الخلفية وراء نتائج الاستطلاع، الذي أجراه الاتحاد الأوروبي في خمسة عشر دولة في تشرين الثاني عام 2003، وكانت نتائجه أن 59% اعتبروا أن إسرائيل تشكل الخطر الأكبر على الأمن العالمي. وقد رأت "عصبة مناهضة التشهير"[4] اليهودية الأمريكية أن السبب يعود إلى العداء للسامية ودفعها إلى إجراء استطلاع مشابه في الولايات المتحدة في بداية شهر كانون الأول 2003 جاءت نتائجه مفاجئة، وليس كما تتوقع "العصبة"، فـ 43% وصلوا إلى الخلاصة ذاتها كما في أوروبا. ومقارنة بأوروبا وجدت "العصبة" أن هذه النتيجة تصب في صالحها،

---

(1) حسب "الدستور" الأردنية 2003/12/25.

(2) "فلسطين: إعلام مع مصدر" (Palestine: Information with Provenance). توجد قاعدة البيانات ضمن موقع "جامعة كورك" (University College Cork) ويديره أعضاء من "حملة دعم فلسطين" التابعة للجامعة (UCC Palestine Solidarity Campaign).

(3) حسب "شلومو غازيت" (Shlomo Gazit) في مقال نشر مؤخراً في صحيفة "معاريف"؛ أنظر "الدستور" الأردنية، 2003/12/27.

(4) (Anti-Defamation League)؛ حول الاستطلاع، أنظر موقع "العصبة" (http://www.adl.org/PresRele/Aslnt_13/4185_13.asp).

غير أن غازيث، في مقاله المشار إليه، نبه إلى أن هذا يعني نصف الأمريكيين تقريباً، وهو ما لا يمكن إرجاعه إلى "العداء للسامية"، الضعيف في الولايات المتحدة أصلاً. والكثير من الأمريكيين اليهود لا يتفقون مع اتجاه المنظمات اليهودية الأمريكية، كما أشار إلى ذلك الحاخام مايكل ليرنر[1]، أحد المعارضين اليهود للعدوان على العراق.

لهذا أخذت مجموعات الضغط اليهودية تقوم بمحاولات مستميتة لاستعادة التوازن الذي فقدته كنتيجة مباشرة لبروز المقاومة الفلسطينية، مع انتفاضة الأقصى في أيلول عام 2000، وتأثيرها الجذري على الكيان الإسرائيلي. وهناك العديد من الإشارات، التي تعكس تخوف المنظمات والجماعات اليهودية من فقدان تأثيرها على الرأي العام الأمريكي يجدها القارئ في صفحات هذا الكتاب، كاستطلاعات الرأي، التي أجراها "مشروع إسرائيل" و" إسرائيل القرن الحادي والعشرون" أو الحملة بين الطلاب، التي نظمتها أيباك بين أوساط الطلاب الأمريكيين في "مركز سابان لسياسة الشرق الأوسط"[2]. وهذا التخوف لم يأت نتيجة حملة عربية رسمية لمجابهة مجموعات الضغط اليهودية، بل أفرزته المقاومة الفلسطينية، التي أصبحت المقاومة العراقية اليوم حليفها المباشر.

يبقى أن هذا الكتاب هو تسجيل لمواقف مرتبطة بالعدوان على العراق، الذي لا يمكن حصر دوافعه بمجرد تحقيق مآرب إسرائيلية أو يهودية. فمن الواضح أن العدوان يمثل، في النهاية، ظاهرة متعددة الأهداف، من بينها محاولة التصدي للركود الاقتصادي العالمي، يتجاوز تحليلها إطار هذا الكتاب وطبيعته.

---

[1] (Michael Lerner). استخدمنا كلمة "حاخام" للدلالة على رجال الدين (chaplain) اليهودي وكمقابل للإنجليزية (rabbi)، التي تعني بالعبرية أصلاً "سيدي" من "رَب" ("سيد"). ويبدو أن "حاخام" (Hakham) كانت شائعة بين أوساط اليهود الشرقيين؛ اليهودية العراقية موزيل ساسون في يومياتها من عام 1910 تستخدم هذه الكلمة إلى جانب (rabbi) في إشارتها إلى رجال الدين في العراق (حول هذه اليوميات أنظر الفصل السابع). ويمكن استخدام كلمة حَبْر أو حِبْر، جمع أحبار، كما وردت في القرآن. ولكن فضلنا "حاخام"، التي دخلت الأدبيات العربية الحديثة حول اليهود والصهيونية. وخلافاً لما يعتقده جيفري فإننا لا نرى أن كلمة "رباني"، التي ذكرت في القرآن الكريم إلى جانب "أحبار"، تعني رجال الدين اليهودي أو أنها عبرية أو سريانية الأصل. أنظر (*Arthur Jeffery*, The Foreign Vocabulary of the Qur`an. *Baroda: Oriental Institute, 1938, pp. 137-138*).

[2] (*Saban Center for Middle East Policy*).

وعلـــى المستوى الإعلامي، عكست ردود الفعل على العدوان بدرجات متفاوتة الارتباط مع الأوضاع في فلسطين. والأمريكي اليهودي توماس فريدمان[1]، كما استشـــهدنا به في مطلع الكتاب، يدرك تماماً العلاقة بين فلسطين والعراق، التي شـــبهها بجنيـــن كـــبرى، وبالفعل جاء العدوان على العراق بسبب التهديد الذي تعرضت لـــه ناتانيا، التي تقع في أمريكا الصغرى، أي إسرائيل. والفلسطينيون يحسون بالفخر أن تكون العراق جنين المقاومة الأكبر في العالم العربي.

وفي الختام، لم يكن ممكناً لهذا الكتاب أن يأخذ شكله النهائي بدون القراءة المتأنـــية لوســـام عبد الله، التي قامت بتحرير النص ومراجعته، لا بل مناقشته معي لأكثر من مرة أثناء تطور العمل، فلها كل امتناني وتقديري.

د. خالد الناشف

عمان، 31 كانون الثاني 2004

***

---

[1] حسب مقابلة أجراها معه "آري شافيت" (Ari Shavit) ونشرت في صحيفة (Haaretz)، 6/4/2003.

جنود أمريكيون يهود

في العراق

"ستكون التوراة إلى جانبهم بينما يقومون بتحرير شعب آخر. خلال التاريخ اليهودي كانت التوراة دائماً إلى جانبنا. ونحن فخورون بجنودنا الذين يحملون التوراة معهم ويمكنون شعوباً أخرى من العيش بحرية".

جوزف بوتاسنيك، رئيس "مجلس حاخامات نيويورك"

"فوجئت برؤية كل هذه اليهودية في ساحة الحرب".

الملازم أول ابراهام فالكوفيتس

تكتسب مشاركة جنود أمريكيين يهود[1] في القوات الأمريكية أهمية خاصة في الإطار العام للعدوان على العراق من حيث الأهداف المعلنة أو غير المعلنة. فمن وجهة نظر إسرائيلية يعتبر اليهودي إسرائيلياً بالولادة، لهذا يمكن الافتراض أن الجنود الأمريكيين اليهود هم عملياً إسرائيليون شاركوا في العدوان على العراق وغزوه، وإن لم يذكر هذا الانتماء، أو يؤكد، علنياً. ولكن هناك حالات تشير إلى أن الجندي الأمريكي اليهودي كان مقيماً في إسرائيل، أو قضى فيها فترة طويلة، ما يعني أنه إسرائيلي قانونياً، وربما خدم في الجيش الإسرائيلي. مجموعة من الضباط اليهود يعملون كحاخامات لرعاية الجنود اليهود الملتحقين في فرق عسكرية مختلفة. وكان هؤلاء يقيمون قداسات أيام السبت والأعياد، كعيد الفصح، رأس السنة، عيد المظلة، وعيد الأنوار، التي جاءت بدايتها بعد أسبوع واحد من سقوط بغداد في التاسع من نيسان. وأجريت هذه المراسيم الدينية في قواعد عسكرية في العراق، الكويت، وقاعدة باغرام الأمريكية في أفغانستان، وأحياناً في خيم خاصة نصبت لهذا الغرض وفي القصور الرئاسية في بغداد. دعم عدد كبير من المنظمات والجماعات اليهودية في الولايات المتحدة، وخاصة ولاية نيويورك، هذه الاحتفالات الدينية بأشكال مختلفة، كتوفير الحاجات الطقوسية اللازمة والأغذية المناسبة. ويلاحظ التكاتف الذي أبدته هذه المنظمات والجماعات لرعاياها على اختلاف انتماءاتها، ولكن الأهم من ذلك هو أن هذه المنظمات التي تقدم الدعم "المعنوي" للجنود في الأعياد، تقوم بذلك خدمة لأغراض سياسية جوهرها دعم العدوان الأمريكي. هذا الدعم متبادل ويظهر في موقف وزارة الدفاع الأمريكية

---

[1] لا توجد أرقام مؤكدة لعدد الجنود اليهود، المتمركزين في المنطقة أو شاركوا في العدوان على العراق، وبعض المصادر تذكر رقم 1200 جندي، وهو ما قد يشمل أيضاً الجنود اليهود في أفغانستان، أنظر (The Jewish Week)، 2003/10/10. الرقم "1200" يذكره أيضاً موقع طائفة لوبافيتش، أنظر (Lubavitch News Service)، 2003/10/10. ولكن موقع "الاتحاد الأرثوذكسي" (Orthodox Union) يذكر "2000 إلى 3000" جندي؛ أنظر: (http://www.ou.org/other/5763lphonecards63.htm). قارن أيضاً (The Jewish Week)، 2003/4/14، التي تذكر رقم 2000؛ وبمناسبة الاحتفال بعيد رأس السنة في أحد القصور الرئاسية في بغداد ذكر أن عدد الجنود اليهود هو خمسمائة جندي، أنظر (Jewish Telegraphic Agency)، 2003/9/30.

لتسهيل عمل هذه المنظمات. والكثير من تصريحات رجال الدين اليهود لا تخلو من توجهات عنصرية تنحاز إلى جانب اليهود واليهودية. ولن يخفى على العراقي أو العربي عنصرا الإهانة والتشفي اللذان يشوبان بعض هذه التصريحات، وهو ما يؤكد الطابع الانتقامي للعدوان على العراق بسبب مواقفه القومية تجاه القضية الفلسطينية.

"أيام عصيبة"

قبل بداية العدوان على العراق، انتاب الآباء والأمهات في أمريكا القلق على "المصير المجهول" الذي ينتظر أبناءهم اليهود، فقد التحق الكثير منهم بالخدمة في الجيش الأمريكي بمحض إرادتهم، كمايكل هينكن[1] وكايتس فينلي[2]، اللذين كانا قد وصلا إلى الكويت استعداداً لغزو العراق. فوالد مايكل الحاخام ألان هينكن[3] في إنكينو (كاليفورنيا) لم يكن متحمساً في البداية لالتحاق ابنه في احتياط الجيش، ولكن الإبن رأى في الخدمة العسكرية "مغامرة وفرصة للتوحد مع رجال ونساء طيبين وأن يخدم بلاده"، ومنذ ذلك الحين اتخذ الأب "موقفاً داعماً" لما عزم ابنه عليه[4].

هذا الحاخام قال أن العائلات تمر بـ "أيام عصيبة"، وهم قلقون على أحبائهم، الذين "سيواجهون قريباً صدام، القائد القاسي، الذي قام بقتل شعبه بالغاز ومئات الآلاف الآخرين في حروب مع إيران والكويت". وقد تكون مشاعر الخوف أكثر حدة بالنسبة لعائلات وزوجات الجنود اليهود، أكثر من غيرهم، بالنظر لـ "عداء صدام الشديد للصهيونية، ويستطيع المرء التكهن بما سيحل بالجنود الأمريكيين اليهود إذا ما وقعوا في الأسر". ولهذا لم تشجع إحدى الضابطات الأمريكيات، أحجمت عن ذكر اسمها، الجنود اليهود على التحدث إلى صحيفة "جويش جورنال" اليهودية.

---

(1) (*Michael Henkin*).

(2) (*Kayitz Finley*).

(3) مدير "اتحاد الطوائف العبرية الأمريكية" (*Union of American Hebrew Congregations*).

(4) (*Jewish Journal*)، *2003/3/21*.

ولــم تكن لدى الحاخام مورديخاي فينلي[1] من لوس أنجلوس، أي هواجس عندما حسم ابنه كايتس أمره فترك الكلية والتحق بالمارينز. فالأب نفسه خدم في المارينز بين الأعوام 1973 و1976، وثمّن هذه التجربة التي "منحته حساً بالهدف والانتظام"، بالرغم من أن زملاء كايتس في الكلية "كانوا في حيرة من أمرهم كيف يقدم شاب يهودي ذكي على سلوك هذا الدرب الخطر". ولكن بالنسبة للحاخام فينلي لا يوجد ما هو أعظم من خدمة الوطن "وخاصة إذا كان الهدف هو نزع أسلحة طاغية عنيف وعدواني كصدام". ومنذ التحاقه بالمارينز عام 2000 عمل كايتس إلى جانب الجنود الكينيين في أفريقيا ورأى العالم، وحصل على منحة حكومية لإكمال دراسته الجامعية[2]. وسيحتفل الابن كايتس فيما بعد بعيد الفصح في بغداد، ويتجول بحرية في العراق ويكشف عن هويته الدينية أمام العراقيين بشكل متعمد وبدون أي حرج[3].

كما في إسرائيل

بداية نيسان 2003، وقبل الذهاب إلى العراق، كانت جوانا كوهين[4] من لونغ أيلاند (نيويورك) تتدرب في قاعدة عسكرية لم يكشف عن اسمها في ولاية أيوا. وفي أيوا سيتي تجولت كوهين بزيها العسكري ودخلت أحد المقاهي الجامعية، التي "تعبق بالدخان"، فصرخت بها "مجموعة هوجاء" من الطلاب: "ينبغي أن لا تكوني هنا"، وتقدم منها شباب للاعتراض شخصياً على الحرب المزمعة. وتقول كوهين أن أحداً لم يسألها عن رأيها، ولكن هذا لا علاقة له بالموضوع، فهي تقوم بواجبها، وتقوم بذلك "مرفوعة الرأس". لكن كوهين تصبح فجأة إسرائيلية: "بالتأكيد أشعر بالكبرياء، وهذا شيء لا يشعر به كل شخص في أمريكا، بخلاف إسرائيل. وفي الحقيقة أعتقد أن على أمريكا أن تلزم كل شخص بالتدريب العسكري بعد الانتهاء من الكلية. إن هذا يفتح الأعين على كيف يسير العالم، ويعلم المسؤولية". الجنود الآخرون كانوا يسألون كوهين عن آرائها السياسية، وخاصة في ضوء الإشارات المستمرة في وسائل الإعلام إلى

---

[1] (Mordechai Finley)، رئيس "طائفة نور التوراة" (Or HaTorah) ورئيس "أكاديمية الديانة اليهودية" (Academy for Jewish Religion).

[2] (Jewish Journal)، 2003/3/21.

[3] أنظر أدناه ص 30.

[4] (Joanna Cohen).

إســرائيل. فتقول كوهين: "هذا ليس بالأمر السيئ ولكنه يحزنني أحياناً". الجنود الآخرون لا يعرفون الكثير عن إسرائيــل، ولكنهم يعرفون أنها وراء الكثير من المشــاكل فــي الشرق الأوسط. وفي مواجهة هذا الوضع تقول كوهين: "أحياناً أمــزح بأنــه ربما ينبغي علي تغيير الصفيحة المعدنية التي تحمل اسمي، لأنني ســأكون الهــدف الأول في العراق. أنا أخشى أن أكون يهوديــة في العراق". وأخــيراً تــم إرسال كوهين باتجاه العراق، وكذلك الرقيب بينجامين روثمان[1] (نيو جيرسي)، الذي كان متمركزاً في القاعدة نفسها[2].

وجبات عيد الفصح

لــم تجر الأمور كما ينبغي بالنسبة للجنود اليهود في الكويت والعراق أثناء عــيد الفصــح الــيهودي، الذي ابتدأ يوم السادس عشر من نيسان 2003، ليس بسبب "المعارك"، التي كان الجيش الأمريكي ما زال يقودها في العراق، بل لأنه لــم تكــن هناك مؤن غذائية مناسبة وكافية لوجبات عيد الفصح، الذي يمتد إلى ثمانــية أيــام. فالــرائد دافيد روزنر[3] ذكر أن وجبات العشاء ("سيدريم") في الكويــــت احــتوت علــى الحــد الأدنى من مأكولات الكوشر[4]. هذه القضية الحــيوية، التــي قــد تؤثر على سير عملية "الحرية العراقية"، ألزمت جيرولد نادلــر[5]، النائب الديموقراطي عن مانهاتن، على التدخل لدى "القوات الجويــة" لإرســال المــزيد مــن الغذاء الكوشر إلى الكويت والعراق. ولكن النائب، بعد حصــوله علــى إجابات متضاربة من تلك القوات و"مجلس الرفاه اليهودي"[6] المســؤول عن تزويد المؤن الغذائية، قرر أن عليه مناقشة هذه القضية لأهميتها القصــوى مــع دونــالد رامسفيلد، وزير الدفاع الأمريكي، والجنرال ريتشارد مايــرز، رئيس الهيئة المشتركة للأركان الأمريكية. اليهودية ليا دون[7]، إحدى

---

(1) (Benjamin Rothman) من "فرق المهندسين" (Army Corps of Engineers).

(2) (Forward)، 2003/4/11.

(3) (David Rosner). روزنـــر كـــان أيضاً في العراق، أنظر موقع (Jewish Educators Network): (http://www.jewisheducatorsnetwork.com/pages/1/index.htm).

(4) (Jewish Telegraphic Agency)، 2003/9/30.

(5) (Jerrold Nadler).

(6) (Jewish Welfare Board).

(7) (Leah Dunne).

عناصـــر القــوة الجوية في الكويت، لم تعرف على من تضع اللوم للنقص في أغذيـــة الكوشر، وقالت أن المنظمات اليهودية قامت بجمع عشرات الآلاف من الــدولارات حــتى يقوم "مجلس الرفاه اليهودي" بإرسال مواد غذائية، وتضيف "بهــذا المبلغ يمكن شراء الكثير، أين هذا كله؟ ليس لدينا كميات كافية من الغذاء لعــيد الفصــح ... لم يصلنا أي شيء على الإطلاق". ويقول بروس غرينفيلد[1] "إنـــه أمر مريع. هناك كل أولئك الناس، الذين اعتقدوا أنهم يشاركون في عمل خيري ("ميتسفاه") في غاية الأهمية وسيصابون بخيبة أمل كبيرة عندما يعلمون أن أغذيـــة عــيد الفصح لم تصل إلى هناك". ومهما كان الأمر، فقد تفقد المقدم ميتشـــل أكرسون[2] (بالتيمور)، الحاخام الأعظم في مسرح العمليات[3]، المؤن اللازمة بعد وصوله إلى الكويت في الأسبوع الأول من نيسان 2003[4]، فوجد أن "الســلامي" المرسلة كانت كلها متضررة. وحسب رأيه الشخصي فإن ما هو متوفر من المؤن الغذائية غير كاف لوجبة عشاء ("سيدر") واحدة، فكيف سيكون الأمر بالنسبة لبقية الأسبوع؟[5].

"وثنية"

بعد حوالي أسبوع أخذ الحاخام أكرسون يتنقل في جنوب العراق للتحضير لإقامة مراسيم عيد الفصح بين الجنود اليهود، في حيــن كان زميلاه الحاخامان إلسون وهويرتا يتحركان في منطقة غير محددة في الشمال[6]. وأثناء وجوده في المنطقة زار الموقع الأثري أور ولم يكن بإمكانه تجنب رؤية "المعبد الوثني" في

---

(1) (*Bruce Greenfield*)، المديــر التنفــيذي لــ "منطقة مدينة نيويورك للكنيس المتحد لليهودية المحافظة" (*New York Metropolitan Region of the United Synagogue of Conservative Judaism*).

(2) (*Mitchell Ackerson*).

(3) حســب رســالة لــــه في بداية شهر نيسان 2003 أرسلها إلى (*Frum.org*). "فروم" موقع صــهيوني بديــره "مــايكل ويــنر" (*Michael Winner*). ويشار إلى أكرسون بأنه "حاخام أرثوذكســي ورحــل ديــن عســكري" يــتمركز في الكويــت ويقــوم برحلات إلى العراق، حســب موقــع لــ "الاتحــاد الأرثوذكســي" (*Orthodox Union*)، أنظــر: (*http://www.ou.org/other/5763lphonecards63.htm*).

(4) حسب الرسالة الأولى لــه في بداية شهر نيسان 2003 إلى (*Frum.org*).

(5) (*The Jewish Week*)، 2003/4/14.

(6) الإشارة إلى السون وهويرتا في رسالة أكرسون الأولى من الكويت، أنظر (*Frum.org*).

الموقـــع، ويقصـــد المعبد المرتفع المعروف باسم "الزقورة". وفي العادة هو لا يصـــرف الكثـــير من الوقت في التفكير بالمعابد الوثنية، على حد تعبيره، ولكن هذا المعبد أثار انتباهه بحجمه الهائل وموقعه المشرف على ما يصفه بأنه "قرية أور ببيوتها المنخفضة، التي لا يتعدى ارتفاعها طابقاً واحداً وطابقين في أفضل الحـــالات". هـــذه "القرية" هي أحد أكبر مواقع المدن الأثرية في العالم وأهمها، ولكـــن أكرسون يتساءل "مندهشاً" كيف خرج إبراهيم من هذا المكان الذي يطل علـــيه "المعبد الوثني" المهيب؟ وفجأة يجد الجواب، وهو أن إبراهيم استطاع أن يشـــق طريقه عبر هذا الظلام الوثني مهتدياً بنور التوحيد، ليصل إلى حران، ثم إلـــى مـــا يسميه بـــ "أرض إسرائيل"، وهو الاسم الذي أعيد إحياؤه بعد أربعة آلاف ســـنة مـــن الفترة التي يفترض أن إبراهيم عاش فيها. ويفكر الحاخام أن هـــناك الـــيوم وثنية من نوع آخر لا تتماشى مع قيم التوراة، كما يقول، وهي: "وثنـــية المال، السلطة، الجشع والثقافة الشعبية". ولا يحدد أين توجد هذه الوثنية المعاصـــرة، وإن كـــان أفضل مكان تتجسد فيه هو البلاد التي جاء منها ويدافع عن قيمها في أكثر من مناسبة. [1]

وربما بالقرب من ذلك "المعبد الوثني"، نصبت خيمة الكنيس للاحتفال بعيد الفصح بالرغم من عاصفة رملية هبت في المكان، ولكن الزوبعة هدأت، لحسن الحـــظ، قبل البدء بوجبة العشاء (السيدر). حضر إلى الخيمة أربعة عشر جندياً فـــي الليلة الأولى، وعشرين في الليلة الثانية. كانوا خليطاً من الجنود الفعليين، الاحتـــياط، الضـــباط، والمنتسبين، وأحدهم كان من صحيفة "النيويورك تايمز". مكونـــات وجـــبة عشـــاء العـــيد جـــاءت من متبرعين عديدين: "مجلس الرفاه اليهودي"، "مؤسسة ألف"[2] (فلوريدا)، "أكاديمية سان دييغو العبرية"[3]، "مجلس حاخامات بالتيمور"[4]. وتكلم الجميع عن "الحرية، الديموقراطية، والعدالة، وأن هذه هي المثل العليا للشعب اليهودي". وكل واحد من هؤلاء كان يغني بحيوية: "العام القادم في القدس، التي أعيد بناؤها"[5].

---

(1) رسالة أكرسون الثانية من الكويت، أنظر (*Frum.org*).

(2) (*Aleph Institute*).

(3) (*San Diego Hebrew Academy*).

(4) (*Baltimore Board of Rabbis*).

(5) رسالة أكرسون الأولى من الكويت، أنظر (*Frum.org*).

"الرب معي، فلا يروعني شيء"

يقول الملازم أول أبراهام فالكوفيتس[1]، الذي كان يحتفل بعيد الفصح في إحدى الخيم في العراق: "فوجئت برؤية كل هذه اليهودية في ساحة الحرب". هذا الاحتفال نظمه الرائد جوناس فوغلهوت، الذي كان يقيم في البداية قداسات يوم السبت (الشابات) في الكويت[2]، بعد أن خرج من مكانه السري يرافقه رجلا الدين ياكوفاتس[3] ووانيك[4] ليصلوا إلى موقع اسمه "أوبجيكتيف غرادي"[5]. وكان في استقبالهم هناك رجل الدين كارلوس هويرتا ومجموعة من عشرة جنود يهود من "الفرقة *101* المحمولة جواً". واشتملت المجموعة على مشاة، طيارين، أطباء، وسائقي سيارات شحن. وأفسحت هذه المناسبة المجال للتأمل بـ "التاريخ" واستخلاص العبر. يقول فوغلهوت: "نحن الشعب اليهودي كنا مرة عبيداً. وبشكل مشابه، وعلى مدى جيل، تعرض الشعب العراقي للاضطهاد من قبل صدام حسين. والآن كلانا أحرار. الويلات التي أنزلها الرب بالفرعون المصري، أنزلها بصدام حسين: الحصار، القيود، الحرب، وربما الموت. والآن، كاليهود الذين عبروا البحر الأحمر، على العراقيين أن يقوموا بإعادة بناء حياتهم وتعليم الحرية لأطفالهم". وعندما جلس الجميع في الخيمة كانوا يفتقدون العائلة والأصدقاء في باسادينا (كاليفورنيا)، بيتسبورغ (بنسلفانيا)، فينيكس (أريزونا)، بروكلين (نيويورك)، وأورلاندو (فلوريدا). وأنشد الجميع الأغاني والمزامير، كالمزمور *118*، الذي استشهد منه الحاخام هويرتا بالعبارة التالية: "الرب معي، فلا يروعني شيء"[6].

"تحرر وتحرير"

رجل الدين إرفينغ إلسون[7] شعر من خلال احتفاله بعيد الفصح في العراق

---

[1] (*Abraham Falkowitz*).

[2] (*Jewish Telegraphic Agency*)، *2003/3/21*.

[3] (*Yacovac*)، من "الفرقة الثالثة مشاة" (*3rd Infantry Division*).

[4] (*Waynick*)، من "القيادة المساندة 24" (*24th Support Command*).

[5] (*Objective Grady*).

[6] (*Jewish War Veterans of the United States of America*)، خريف *2003*، المجلد *4/56*.

[7] (*Irving Elson*)، المتقدم في قوة "طلائع المارينز الأولى". يخدم في العراق حسب (*Jewish War Veterans of the United States of America*)، الخريف، المجلد *4/56*.

أنــه، بالإضــافة إلــى أنه "تحرر"، قام أيضاً بــ "تحرير" الشعب العراقي. قبل أربعة أيام من بداية العيد كان إلسون مع فرقته في العراق، وذهب إلى "معسكر كومــاندو" فــي الكويت ليحضر مؤن عيد الفصح التي تبرع بها "مجلس رجال الديــن الــيهود"[1] و"العديد من المنظمات اليهوديــة الأخرى"، بالإضافة إلى ما أرســلته العائلــة والأصدقاء. فرقة المارينز الأولى[2]، التي اتخذت من مجمع الحرس الجمهوري العراقي في بغداد مقراً لها، أقامت لليهود في أفواجها أربعة احتفالات لعيد الفصح[3]، أحدها في "مكان الإقامة الرسمي لوزير الإعلام، بوب بغــداد الشــائن"، ويقصــد رجل الدين بذلك وزير الإعلام العراقي محمد سعيد الصــحاف. اكتسب هذا الاحتفال معانٍ خاصة بالنسبة لإلسون، كما يقول. ففي الموقع كانت الكهرباء والمياه مقطوعة، فأضيئت القاعة بالشموع التي أحضرها الأب بــيل ديفايــن[4] وخوفاً من القناصة أغلقت النوافذ. لم يكن لديهم الأغذية المناسبة للعيد، ولكنهم فتحوا ما توفر من رزم أغذية الكوشر اللذيذة، وكانت من بيــنها علبة من الخضروات المخللة أرسلها لإلسون "أحدهم من إسرائيل". كان الحاخــام يحــتفل مــع رعيته بــ "عيد الحرية" ويحيط بهم "أناس بدؤوا بتذوق حــلاوة الشعور بأنهم شعب لم يعد مضطهداً". ولدى عودته إلى الكويت استقل مروحــية، وأثناء تحليقها أخذ يتأمل الريف العراقي ويفكر بما "أنجزه المارينز، الجنود، والطيارون. كنا شركاء مع الرب العظيم، الذي فعل للشعب العراقي ما فعله معنا في مصر. هذا حقاً موعد مع الحرية والخلاص"[5].

حيرة بين بزتين

فــي الأول مــن نيسان 2003 اتصل الحاخام إلسون بعائلة العريف مارك

---

(1) (Jewish Chaplains Council)، التابع لـ "مجلس الرفاه اليهودي".

(2) (1st Marine Division).

(3) أجــري الاحــتفال الأول في رواق أحــد أبنية مجمع "الحرس الجمهوري" والثاني في "مقر المخابرات العراقــية"، وهذا الموقع الأخير ليس "مقر المخابرات" العام، الذي قصفته القوات الأمريكية؛ المقصود مقر المخابرات للحرس الجمهوري، كما يتضح من خطاب مفتوح للحاخام مورديخاي فيلي نشر في (ChronWatch)، 2003/8/20. جرى الاحتفال الثالث في "الأكاديمية العسكرية العراقية".

(4) (Bill Devine).

(5) (Jewish War Veterans of the United States of America)، خــريف 2003، المجلد 4/56.

إفنين[1] في برلينغتون (فيرمونت) ليستفسر أين يجده في ساحة المعركة. لم يكن إفنيــن كبقــية الأمريكيين، فقد كان كـــ "صبرا"[2]، مهتماً منذ طفولته بالجيش. ويــتذكر جـــده لأمه ماكس وال[3]: "كان عنده شعور متأصل بأن عليه أن يخدم وطنه، ولكن السؤال الوحيد هو أي بزة عسكرية كان عليه ارتداؤها" الأمريكية أم الإسرائيلية، ولا يبدو أن هناك فرقاً بين الاثنتين. تقول أمه: "بعدما أصبح من الماريـــنز والتقى جنوداً إسرائيليين كان يتكلم عن الذهاب إلى إسرائيل يوماً ما ليلـــتحق بالجـــيش الإســـرائيلي"، دون أن توضح أين وكيف التقى ابنها بالجنود الإسرائيليين. وتضيف: "أنا متأكدة أن الأمر الذي كان يعنيه هو أنه يقوم بشيء سيساعد، على الأغلب، إسرائيل الآن". وعندما كان في الكشافة كان يصر على ارتـــداء القلنســـوة، بالـــرغم من أنه لم يكن متديناً، فقد كان "يهودياً وطنياً، آمن بوطـــنه وأحب إسرائيل". تلقى إفنين تدريبـــه العسكري في "معسكر ليجون"[4] (نـــورث كارولايـــنا)، وقبل إرسالـــه إلى الكويت كان في "معسكر بندلتون"[5] (كاليفورنـــيا). وتـــتذكر أمه أنه ورفاقه في المارينز كانوا يقرؤون كتب هاري بوتـــر[6]، وتقـــول: "يعجبنـــي أنهم كانوا يقرؤون كل هذه الأشياء الحلوة، لأنهم يبدون كأولئك القتلة". وفي العراق كانت المهمـــة الحاسمة لـــه هي الكشف عن القناصـــة العراقيين[7] وقيادة عربة باتجاه بغداد فيها قناص أمريكي والصحافي جـــون كوبمان[8] من "السان فرانسيسكو كرونيكل". في الثالث من نيسان 2003 تعرضت قافلة إفنين في مدينة الكوت لإطلاق نار فأصيب ولقي حتفه أثناء نقله من المكان[9].

---

(1) (Mark Evnin)؛ كان إفنين يخدم في الكتيبة الثالثة، الفوج الرابع للفرقة الأولى للمارينز.

(2) مصطلح يطلق على اليهودي المولود في إسرائيل.

(3) (Max Wall)، الحاخام الشرقي في "كنيس أوهافي صيديق" (Ohavi Zedek Synagogue).

(4) (Camp Lejeune).

(5) (Camp Pendleton).

(6) (Harry Potter).

(7) مقال "الجويش ويك" يذكر أن إفنين نفسه كان قناصاً.

(8) (John Koopman).

(9) (Jewish Telegraphic Agency)، 2003/4/8؛ (The Jewish Week)، 4/11/ 2003.

"اليهود ... نور الشعوب"

عندما عاد أكرسون إلى الكويت، بعد أسبوع ونصف قضاها في "بغداد وضواحيها"، أخذ يتأمل بما رآه هناك، وإلى واقع الخراب الذي تسببت به الحرب والقصف وإطلاق النار طوال الليل وتذكر ماريو كوؤمو[1] عندما استشهد بمطلع رواية تشارلز ديكينز "قصة مدينتين": "كانت أفضل الأزمنة، كانت أسوأ الأزمنة". وربما فكر رجل الدين أن "تحرير العراق" كان "أفضل الأزمنة" لإسرائيل، و"أسوأ الأزمنة" للعراق. الحاخام تأمل أيضاً في بعض "قصور صدام"، ونام في أحدها، لترد إلى ذهنه مقولة للفيلسوف الأمريكي جورج سانتايانا كان يطلب من تلاميذه أن يحفظوها: "من لا يتذكر الماضي مدان بأن يكرره"، والعبارة نفسها ذكرها تشرشل، مستبدلاً "يتذكر" بـ "يتعلم من". فالأمريكي أو اليهودي، لا فرق بالنسبة لأكرسون، عليه أن "يتذكر الماضي" أو "يتعلم منه"، حتى لا يكون موضع إدانة. ففي الماضي البعيد من لا يتذكر "تمادي اليونان، أو هيرود؟ وماذا عن الرومان؟ أو الصليبيين؟". وكذلك في جيلنا "هناك هتلر، عيدي أمين، آية الله، ستالين، تشاوشيسكو، وعرفات، وغيرهم". ويوضح لنا أكرسون فلسفته: "لدينا رئيس وقوات مسلحة لم تتذكر فحسب، بل تعلمت أيضاً من الماضي ورأوا في حسين ما رفض الغير رؤيته". وفجأة يصبح ضمير "نحن" عائماً، عندما يبدأ بالحديث عما يتذكره اليهود، ليقول: "نحن نستطيع القول هذه المرة، وعلى الدوام، أننا نحمل على عاتقنا مسؤولية إصلاح العالم وإبعاد الشر عن وجهه". وها هو يجعل "اليهود" يعلون فوق كل شيء في هذا العالم، كما كانت تفعل النازية بالنسبة للشعب الألماني، إذ يكمل "تأملاته" بالقول: "كيهود علينا أن نصفق لما حصل هنا فنحن نتذكر أكثر من الآخرين". وعندما يستخدم الحاخام كلمة "إسرائيل" فهو يخلط بشكل مقصود بين مفهومين، قديم وحديث، ليؤكد أن "إسرائيل" أيضاً تعلو فوق كل شيء: "فكما تذكر الرب[2] وعده لنا، علينا نحن أيضاً أن نتذكر التزاماتنا، أن نكون نوراً للشعوب، لتذكيرهم بالتاريخ ودروسه، حتى لا ندان بالشر، وحتى نكافأ

---

[1] (Mario Cuomo)، حاكم نيويورك في الثمانينات من القرن الماضي. الديموقراطي كوؤمو في خطابه، الذي ألقاه في سان فرانسيسكو بتاريخ 16 تموز 1984 في رد على الرئيس رونالد ريغان: "سيدي الرئيس، ينبغي عليك أن تعرف أن هذه الدولة ليست 'مدينة باهرة فوق هضبة' هي قصة مدينتين"

[2] يستخدم أكرسون الكلمة العبرية "هاشيم" ("الاسم") بدلاً من "الرب"

بأيام طوال من السلام لنا ولإسرائيل ولكل العالم ... إلى الأبد"[1].

السبت (الشابات) في بابل

الكولونيل أفروهام هوروفيتس[2] ترعرع ودرس الديانة اليهودية في القدس، يخدم في المارينز، وهو حاخام آخر دعي من "معسكر كوماندو" في الكويت ليجري احتفالات يوم السبت (الشابات) في معسكر بابل في حزيران 2003، وتلك هي المرة الأولى التي يحضر فيها إلى بابل، وكان يتصل مع الجنود اليهود بالبريد الإلكتروني. ويتعاون مع قادة المارينز حتى يتمكن الجنود اليهود من الحفاظ على حرمة يوم السبت، وعندما سمع الجندي جون ليفين[3] (غارلاند، تكساس) عن إقامة القداس أصابه الحماس: "آخر مرة ذهبت إلى القداس كانت في آذار عندما كنت في معسكر كوماندو". ولم يتمكن ليفين من الحضور يوم الجمعة لحضور الاحتفال فوصل في اليوم التالي بعد أن خصصت ثلاث عربات لمجرد نقله إلى المعسكر حيث يقام القداس. وعمل هوروفيتس لم يقتصر على إجراء المراسيم الدينية فقط، فهو أيضاً "رسول لعقيدته"، فأثناء وجوده في العراق تمكن، مع حاخامات آخرين، من زيارة "ضريح النبي حزقيال" في الكفل، جنوب غرب الحلة، ولكنه لا يشير إلى "مرقد ذي الكفل"؛ الاسم الفعلي للموقع، بل يصفه بأنه "الكنيس القديم الذي كان يستخدمه المسلمون للصلاة" وأنه كان قبل خمسين سنة "سوقاً يهودياً". وهناك تحدث مع رجل الدين المسلم المسؤول عن المرقد، الذي ربما أخبره أن "ذي الكفل" هو إحدى الشخصيات المذكورة في القرآن. وهوروفيتس الـ "كثير التجوال"، يقول إنه "أولاً، رجل دين في وحدته وحاخام في الوقت نفسه ويقضي معظم وقته بالعناية بوحدته"، وأنه "كالنبي حزقيال يمنح الأمل ليس للجنود في كتيبته فحسب، بل أيضاً لأي شخص يخدم في عملية الحرية العراقية"[4]. وأثناء

---

(1) رسالة آكرسون الثالثة من الكويت، أنظر (Frum.org).

(2) (Avroham Horovitz). اسم الكولونيل حسب "هندرسون هال نيوز"، المصادر الآخر يذكر اسمه على نحو: أفروهوم. يتبع هوروفيتس الكتيبة الثالثة من فوج المدفعية السابع والعشرين لفورت براغ (Fort Bragg) (نورث كارولاينا)، ويخدم في العراق والكويت حسب (Veterans News and Information Service)، 2003/6/28.

(3) (Jon Levine).

(4) (Veterans News and Information Service)، 2003/6/28.

وجـــوده في بابل أدلى لأحد مراسلي المارينز بمعلومات حول بابل التاريخية[1]، ولكـــنه أطلق على فلسطين بتسمية "إسرائيل" عندما وقع السبي البابلي في القرن الســـادس ق. م.، بالـــرغم من أن "إسرائيل" لم تكن موجودة في تلك الفترة. كما أبلـــغ الجـــنود اليهود والمارينز بأن لهم الحق بارتداء القلنسوة[2]. وهكذا امتدت استباحة العراق لتشمل رموزاً دينية كالقلنسوة.

"تفاح وعسل"

كان من الضروري أن يحتفل الجنود اليهود العاملون في الكويت والعراق بالأعـــيـــاد على أفضل وجه، لهذا تطلب الأمر عدداً من التحضيرات، من بينها "مـــبادرة" لـــــ "شـــبكة المربيـــن اليهود"، التي حشدت لهذا الهدف "حاخامات، سياســـيين، متطوعين، ومسؤولين عسكريين". وتقول ميريديث فايس[3]، رئيسة الشـــبكة ومؤسســـتها: "كـــنا نـــريد لقواتـــنا أن تحتفل بالأعياد اليهودية بالشكل المناســـب، وأن يشعروا بأننا هنا نفكر بهم في هذه المناسبة الخاصة". وقد بدأت فكرة إرسال بعض أطعمة الكوشر قبل أشهر عندما كانت فايس تتبادل الرسائل بالـــبريد الإلكتروني مع "المارين اليهودي"، الرائد دافيد روزنر، وتحولت الفكرة إلـــى عملـــية كبرى أطلق عليها اسم "تفاح وعسل"، في إشارة إلى بداية طقوس عـــيد رأس السنة اليهودية[4]. وتدخل المقدم ميتشل أكرسون لترسل رسائل إلى "المـــئات من الحاخامات في الولايات المتحدة" للمساهمة في المشروع. وبرزت الرغبة في الحصول على لفافات توراة أصلية، أي تلك المكتوبة بخط اليد على الـــرَّق، ولـــيس نســـخاً ورقـــية عادية[5]. وشارك في جهود التنسيق مع "شبكة المربيـــن الـــيهود" الحاخـــام جـــوزف بوتاســـنيك[6]، رئيس "مجلس حاخامات نيويورك"[7]، فاختار لفافات التوراة التي سترسل للقداسات في الكويت والعراق، وقـــام بتغطية تكاليف التأمين التي بلغت عشرة آلاف دولار. ولم يكن من السهل

---

(1) (Henderson Hall News)، 2003/6/20. "هندرسون هال نيوز" (واشنطن) هي نشرة أنباء أمريكية للمارينز.

(2) (Veterans News and Information Service)، 2003/6/28.

(3) (Meredith Weiss)، (Jewish Educators Network).

(4) يؤكل التفاح بعد غمسه في العسل.

(5) (Jewish Telegraphic Agency)، 2003/9/30.

(6) (Joseph Potasnik).

(7) (New York Board of Rabbis).

تأميـن هـذه اللفافـات فـي منطقة حروب، ولكن هيرب ليبين[1] من شركة "غراميرسـي إنشورانس"[2] تمكن من إقناع شركة لويد في لندن بتقديم بوليصة تأميـن تشـمل جمـيع المخاطر، بما في ذلك "الإرهاب"[3]. ويشعر بوتاسنيك بالعـرفان لـ "الأمريكيين، الذين قاموا بتحرير عائلته من المحرقة"، ويقول أن غطـاء إحـدى هـذه اللفافـات يحمل إهداء لذكرى عائلته التي ستكون فخورة بالجـنود الأمريكيـن اليهود: "ستكون التوراة إلى جانبهم بينما يقومون بتحرير شـعب آخر"، ويضيف: "خلال التاريخ اليهودي كانت التوراة دائماً إلى جانبنا. ونحن فخورون بجنودنا الذين يحملون التوراة معهم ويمكنون شعوباً أخرى من العيش بحرية"[4]. ولكن بوتاسنيك أو غيره من الحاخامات لم يسأل تلك الشعوب مـا إذا كانـت تريد من التوراة أو ممن يحملها أن يقوم بتحريرها، أو بالأحرى اسـتعبادها من قبل القوى، التي تقف وراء الحاخامات. وما ينبغي تحريره ليس الشـعب العراقـي، وإنمـا الـتوراة، التـي كانت وما زالت تستغل في خدمة الاستعمار.

"شبكة المربين اليهود"، التي نظمت مشروع "تفاح وعسل"، منظمة يهودية أمريكـية جديـدة تضـاف إلـى العشرات من المنظمات اليهودية في الولايات المـتحدة. تستهدف المنظمة "المربين" اليهود، الذي يعملون في مدارس عامة أو خاصة، وتقوم بتنظيم ورشات عمل لهم للتعامل مع "عداء السامية" بين الطلاب، وتعزيز صورة إيجابية لـ "العالم اليهودي" في بيئة المدارس الأمريكية، متعددة الـثقافات. وتعمـل علـى تطوير برنامج لربط "المربين" اليهود الأمريكيين مع زملائهم في إسرائيل، وترى أن هذه الروابط تعمل على "تكثيف الدعم لإسرائيل بيـن الجمهور الأمريكي، بالإضافة إلى نقض الأساطير والتشويهات الإعلامية حول إسرائيل"[5].

---

(1) (*Herb Lippin*).

(2) (*Gramercy Insurance*)، ريغو بارك (الكويتز، نيويورك).

(3) (*The Jewish Week*)، 2003/10/17.

(4) حسـب موقـع (*Jewish Educators Network*)، أنظـر (*http://www.jewisheducatorsnetwork.com/pages/1/index.htm*).

(5) أنظر الهامش السابق.

التوراة في مسرح المعارك

وافقت طوائف يهودية سريعاً على تأمين لفافات التوراة وكتب الصلوات و"مواد تربوية عبرية" ستساهم بـ "تحرير" الشعب العراقي. فلفافات التوراة قامت بإقراضها طوائف يهودية في منطقة نيويورك[1] وتوراة صغيرة من حركة "خَبَد لوبافيتش"[2]. ويقول الحاخام بروس غينزبورغ[3]: "سيضمن هذا المشروع أن يقوم أخوتنا وأخواتنا الجنود في العراق والكويت بسماع قراءات صحيحة من التوراة وأن يتمتعوا بوجبات الأعياد"[4]. ولأن التفاح لا يمكن أن يبقى طازجاً لفترة طويلة في حر العراق القائظ، قرر "مجلس رجال الدين اليهود" تحضير حلويات بنكهة التفاح وجرار عسل. كما وزعت على رجال الدين العاملين في المنطقة بطاقات عيد رأس السنة اليهودية[5]. وقامت إيمي، زوجة الحاخام ميتشل أكرسون، بحملة تبرع لجمع "بطاقات هاتف" لتوزيعها على الجنود اليهود حتى يتمكنوا من الاتصال بذويهم في فترة الأعياد. وقد ساهم بجمع هذه البطاقات "الاتحاد الأرثوذكسي" (نيويورك) بالتعاون مع "مجلس الرفاد اليهودي"[6]. وقامت طائفة "جماعة إسرائيل"[1] (سينسيناتي، أوهيو) بالتبرع

---

[1] "طائفة أبناء إسرائيل" (Sons of Israel) تنتمي هذه الطائفة إلى "الكنيس المتحد" (United Synagogue)، أحد فروع "اليهودية المحافظة" (Conservative Judaism)؛ "رودلف شوليم" (Rodelph Sholem)؛ "كنيس سوتون بلاس" (Sutton Place Synagogue). أسماء الكنس الثلاثة حسب موقع "شبكة المربين اليهود"

[2] التوراة الرابعة حسب (The Jewish Week)، 2003/10/17. لوبافيتش موقع في روسيا البيضاء ازدهرت فيه حركة فكرية (حاسيدية) يهودية 1813-1915 تعرف باسم "خَبَد" (اختصار: الأحرف الأولى من كلمات "خخماه" ["حكمة"]، "بيناه" ["إدراك"]، "دعت" ["معرفة"]). تستعمل الكلمتان، "خَبَد" (Chabad) و"لوبافيتش" (Lubavitch)، بشكل متبادل للدلالة على الحركة (Chabad)، وأحياناً "خَبَد لوبافيتش". بدأت الحركة نشاطها كمنظمة في بداية الأربعينات للعمل على "خدمة الشعب اليهودي حول العالم"، مقرها بروكلين، نيويورك، ولها العديد من الفروع في مختلف أنحاء العالم.

[3] (Bruce Ginsburg) من "طائفة أبناء إسرائيل" و"رئيس اتحاد اليهودية التقليدية" (Union for Traditional Judaism).

[4] حسب موقع "شبكة المربين اليهود".

[5] (Jewish Community Centers Association of North America)، 9/17/2003.

[6] أنظر موقع لـ "الاتحاد الأرثوذكسي" (Orthodox Union): (http://www.ou.org/other/5763lphonecards63.htm).

بمـــنات من كتب الصلاة للجنود اليهود في العراق، الكويت وأفغانستان. الرائد آلان كباكوف[2] هو أحد أعضاء تلك الطائفة ويخدم في العراق كضابط شرطة، وتـــأمل زوجـــته أن يتمكن من الاحتفال بعيد رأس السنة هناك[3]. وتبرع أحد مراكـــز طائفة خبَد في ميلبورن (نيوجيرسي) بشمعدانات وسلاسل ورقية لنجمة داود، التـــي ربمـــا ســتزين القصر الرئاسي في بغداد أثناء الاحتفال بعيد رأس الســـنة الـــيهودية. وأرسل أطفال من كنيس أرثوذكسي في بالم بيتش (فلوريدا) بطاقات وزينة لعيد المظلة[4].

"انتصار على الفوضى"

قـــام بنقل لفافات التوراة الثمينة إلى الكويت رجل الدين، الكولونيل جاكوب غولدســـتين[5]، ووضعت تحت الحراسة المسلحة طوال الوقت. وبعمل "دؤوب" ســـاهمت النائـــبة هـــيلاري كلينـــتون بتسهيل إجراءات التأمين والنقل وأجرت استفســـارات مهمـــة وأساســـية في الدوائر الأمريكية المعنية. وأرسلت "شبكة المربيـــن اليهود" "1200 وجبة عشاء" و"800 وجبة غذاء" كوشر ومواد دينية. ويقول أكرسون حول هذه الحملة لدعم "محرري العراق": "يثبت هذا المشروع، وجمـــيع مـــن قـــام بـــه، أن أحداً لم ينس العسكريين البعيدين عن الوطن الذين يعرضـــون حـــياتهم للخطر من أجل هدف أكبر". هذا "الهدف الأكبر" دفع ديبي أســـتور[6]، والـــدة أحـــد جنود المارينز من اليهود[7] الذي عاد من "خدمته" في العـــراق، إلـــى القـــول: "جنودنا اليهود يستحقون الاحترام وينبغي النظر إليهم بجديـــة. إن الجهـــد المـــبذول مـــن أجل الأعياد هو انتصار على الفوضى في عالمنا"[8]. وأستور تساهم بشكل فعال في الجهود المبذولة للقضاء على الفوضى

(1) (Adath Israel). المعلومـــة، التي تـوردها (The Jewish Week)، 2003/10/10، بأن "جماعـــة جيشورون" (Adath Jeshurun) (سينسيناتي) هي من قدم كتب الصلاة، مغلوطة. هذه "الجماعة" ليست موجودة في سينسيناتي، وإنما لويزفيل، كينتاكي.

(2) (Alan Kabakoff).

(3) (The Enquirer)، 2003/9/26.

(4) (Jewish Telegraphic Agency)، 2003/9/30.

(5) (Jacob Goldstein)، كبير رجال الدين في "الحرس الوطني لنيويورك"

(6) (Debbie Astor).

(7) لا تذكـــر المصادر اسم ابن السيدة ديبي أستور، وهو ملازم أول في المارينز كان متمركزاً في "معسكر بيندلتون" (كاليفورنيا) ووصل إلى الكويت نهاية شباط.

(8) موقع "شبكة المربين اليهود" (Jewish Educators Network).

فــي العــالم، فقــد أسست في شهر شباط 2003 "الشجاع"، وهي قائمة بريدية إلكترونـــية لتحقيق التواصل مع الجنود اليهود. وبدأت الفكرة عندما تذكرت أن ابـــن الحاخـــام موردیخاي فينلي، هو أيضاً جندي في القوات الأمريكية. ويقول موريس كابروف[1]، الحاخام المناوب في الأسطول الأمريكي السادس في البحر الأبـــيض: "نريد للعالم أن يعرف أن اليهود موجودين في الجيش 365 يوماً في الســـنة ولـــيس في فترة الحرب فقط". ويستضيف القائمة موقع "الكنيس المتحد لليهود المحافظين". وأستور هي أيضاً المديرة التنفيذية لـــ "معبد إسرائيل"[2] في بلدة شارون، ماساتشوسيتس[3].

مهرجان الكوشر

مـــن بيـــن الأغذية التي أرسلت للجنود اليهود في العراق والكويت، مواد تبرع بها "مهرجان الكوشر"[4]، وهو "المعرض التجاري الدولي لخدمات وأغذية الكوشـــر"[5] فـــي نيويورك التي تعتبر، بعد إسرائيل، أكبر منتج ومستهلك لهذه الأغذيـــة، ويـــبلغ حجـــم ســـوقها ثلاثـــة بلايين دولار، كما أفاد مكتب جورج باتاكـــي[6]، حـــاكم ولاية نيويورك. وكان باتاكي قد صرح في آب عام 2002، وبمناســـبة الإعلان عن نقل هذا المعرض من نيوجيرسي إلى نيويورك، "عندما نركـــز علـــى أغذية الكوشر، نقوم في الوقت نفسه بتسليط الضوء على الدولة الـــيهودية، وهو أمر حيوي في هذه الفترة التي تعاني فيها إسرائيل من الهجمات الانتحارية الإجرامية. ومع اقترابنا من عيد رأس السنة وصلاتنا من أجل السلام فـــي الشـــرق الأوسط، فإن على سكان نيويورك أن يقوموا بكل ما في وسعهم لإظهار تكاتفهم مع إسرائيل"[7].

---

[1] (Maurice Kaprow).

[2] (Temple Israel of Sharon).

[3] (Forward)، 2003/4/11؛ أنظر أيضاً (Jewish Telegraphic Agency)، 2003/3/21.

[4] (Kosher Fest). أنظر موقع "شبكة المربين اليهود".

[5] (International Kosher Food and Foodservice Trade Show).

[6] (George Pataki).

[7] المعلومـــات حول "كوشر فيست" وتصـريح باتاكي منشورة في الموقع الرسمي لولاية نيويورك؛ أنظر (http://www.state.ny.us/governor/press/year02/aug9_2_02.htm).

"غذاء الجسد والروح"

وهكـذا وصل الحاخام جاكوب غولدستين إلى الكويـت، في شهر أيلول عام 2003[1] قادماً من نيويورك ومعه أربع لفافات توراة، توراة صغيرة، خمس مجموعات من سعف النخيل والنارنج للاحتفال بعيد المظلة[2]، وأرغفة خبز وكعك بالعسل وغيرها من المؤن لإضفاء البهجة على الأعياد التي سيحتفل بها الجنود الأمريكيون اليهود في الكويت والعراق وأفغانستان. وأحضر معه أيضاً "ثلاث مظلات كبيرة وسبع صغيرة لاستخدام المئات من اليهود المنتشرين في الكويت والعراق"[3]. ولم ينس أن يحضر معه "أعداداً لا تحصى" من علب سلامي البقر. كل هذا "بفضل وزارة الدفاع، فهي لم تدخر وسعاً لتأمين الحاجات الدينية للجنود اليهود"، كما قال غولدستين. وشحنت "مؤسسة ألف" أكثر من مائة ثوب صلاة[4]، أردية لرجال الدين، وخمسمائة علبة عسل، وغيرها من المؤن[5].

وقد أستدعي غولدستين لأن هناك "نقصاً" في رجال الدين اليهود في الخدمة العسكرية الفعلية، وقبل مغادرته نيويورك صرح قائلاً: "لدينا غذاء الجسد والروح. وسأتولى أنا خدمة القداس في عيد رأس السنة لجميع القوات اليهودية في الكويت". وأشار إلى أنه يوجد كنيس صغير ثابت في الموقع، أي في الكويت. وهكذا أصبح هناك ثلاثة رجال دين احتياط واثنان في الخدمة العسكرية الفعلية من رجال الدين اليهود للمساعدة في إقامة القداس للجنود اليهود .. في "العراق وإيران"، على حد تعبير "ذي جويش ويك"، التي ربما، في خطأ مطبعي ذي دلالة، وجدت أن "الكويت" لا تستحق كل هذا العناء، فاستبدلتها بـ "إيران". وعندما سأل عن شعوره إزاء تركه عائلته عشية الأعياد، أجاب: "إنهم فخورون بما أقوم به، وقلقون على سلامتي. ولكن ليست هذه المرة الأولى التي يجري فيها استدعائي إلى منطقة معارك ... لقد كنت في أفغانستان في عيد الفصح 2002 وفي عملية عاصفة الصحراء"[6]. وفي الكويت أقام

---

[1] *(The Jewish Week)*، *2003/10/10*.

[2] أنظر أيضاً *(The Jewish Week)*، *2003/10/17*.

[3] أنظر أيضاً *(Lubavitch News Service)*، *2003/10/10*: "دزينة من المظلات".

[4] أنظر أيضاً *(Lubavitch News Service)*، *2003/10/10*.

[5] *(The Jewish Week)*، *2002/10/10*.

[6] المرجع السابق.

غولدستين احتفال عيد رأس السنة لمائة من الجنود اليهود العاملين هناك[1].

"أمريكا وإسرائيل والرب"

كانـــت الأســـابيع الأولـــى مـــن شهر أيلول "محمومة" بالنسبة للحاخام ميتشل أكرســـون، فقد كان يعمل على التحضير لعيد رأس السنة اليهودية في العراق، ولكن الأحداث هذه المرة أضفت بعداً جديداً على طابع "التأمل" الذي يتصف به هذا الشهر عادةً. فأثناء العمل على الترتيبات النهائية للعيد التقى مجموعة من الجنود اليهود من "الفـــرقة المدرعـــة الأولى"[2] كان معظمهم "مهاجرين من الاتحاد السوفياتي سابقاً، ولكـــن كانت هناك أيضاً شابة لطيفة من البرازيل وأخرى من أمريكا اللاتينية". وقد اغتـــنم الفرصة ليتحدث مع هؤلاء حول مفهوم العدالة في اليهودية، أي كيف "تتعلم أن العدالـــة التي لا تمارس بعدل، هي ليست عدالة، وأن الغاية لا تبرر الوسيلة في الـــيهودية". ونـــاقش الجميع أن الجيش الأمريكي هو "الأداة لتحقيق العدالة في العالم وأنـــنا نتصـــرف بعـــدل ونلاحق هؤلاء، الذين لا يفعلون ذلك". ومن جديد تتوحد إســـرائيل وأمـــريكا، عندما يعقب الحاخام الصالح قائلاً: "حقاً، إن الولايات المتحدة وإســـرائيل همـــا البلدان الوحيدان اللذان دخلا حرباً حقيقية على مدى الأربعين سنة الســـابقة، ويستطيعان فعلاً القول أنهما تقيدا بمواثيق جنيـــف (وبالتأكيد لم يفعل ذلك البلجيكيون، الفرنسيون، أو غيرهم في أفريقيا وأماكن أخرى)". أكرسون مطلع على الـــتاريخ الأفريقي الحديث، أي ما أنزله الاستعمار من ويلات بالقارة السوداء، لكن مـــا جرى ويجري في فلسطين والعراق على أيدي الإسرائيليين والأمريكيين يختلف عمـــا قـــام به الفرنسيون والبلجيكيون، فلم يقم أي من هؤلاء المستعمرين بما قام به الإســـرائيليون، أي طـــرد شعب من وطنه والاستيلاء على هذا الوطن بدعـــم من أمـــريكا التي "تتقيد فعلاً" بمواثيق جنيف. وربما بسبب هذا الدعم المطلق تجد أمريكا مكانـــاً فخرياً لها في اليهودية، يؤكده أكرسون عندما يكتـــب: "أمريكا تؤمن بصنع عـــالم أحســـن، أي ما نسميه نحن 'إصلاح العالم'[3]، شاكرين، ليس فقط أمريكا أو الجنود الذين يموتون دفاعاً عنها، ولكن أيضاً الرب الذي منحنا الحياة والهدف"[4].

---

(1) (Lubavitch News Service)، 2003/10/10.

(2) (1st armoured division).

(3) بالعبرية "تكون عولام".

(4) (Sarasota Manatee Jewish Federation)، أيلول 2003.

"الصعود" في القصر الرئاسي

أخيراً أقيم احتفال رأس السنة اليهودية ("روش هاشاناه") في أحد القصور الرئاسية في بغداد، يوم الجمعة، السادس والعشرين من أيلول من عام "تحرير العراق"[1]. الحاخام ميتشل أكرسون، نفخ في الشوفار ليتردد صوت يعلن بداية طقوس العيد في أرجاء القصر المحتل. وتجول الجنود اليهود في القصر ينظرون إلى كل هذا الرخام، والذهب، والمقاعد الفاخرة. ويقول الحاخام أكرسون أن الأمر كان بديعاً وأنه "بإمكاننا في الواقع استخدام هذه الأماكن بشكل مفيد". لقد أراد أن تبدأ فترة الأعياد بالنسبة للجنود الأمريكيين اليهود بـ "نشاط روحي مدو". وتجمع أكثر من مائة يهودي للاحتفال بالمناسبة السعيدة في بغداد، ووقع شرف الاختيار على أحد الجنود ليمارس "الصعود" (العليه)[2] بتلاوة الدعوات قبل البدء بقراءات من التوراة. ولا ندري إن كان هذا الجندي يفكر بأن "صعوده" في بغداد يشبه "صعوداً" آخر أدى إلى اغتصاب فلسطين، ومهما كان الأمر، فالجنود لم يصدقوا أن لفافات توراة حقيقية أرسلت إليهم، فالكثير منهم لم يروا هذه اللفافات في حياتهم، والبعض منهم لم يشاهد "توراة حقيقية" أبداً. وعندما لم يكن "الجنود اليهود مستغرقين في مجموعات يقرؤون ويناقشون الكتب حول 'رأس السنة ويوم الغفران' فإنهم كانوا ينامون بهدوء في بيت صدام السابق". هذا الزخم الديني اليهودي في بغداد دفع إحدى الصحف اليهودية الأمريكية أن تكتب بداية عام 2004 بسخرية: "إن كنتم تبحثون عن الرمز الأحدث لليهودية في العالم في العام الماضي فما عليكم إلا أن تنظروا إلى أحد قصور صدام حسين"[3].

"التخلص من الذنوب"

كتب الحاخام أكرسون رسالتين إلى ميريديث فايس، رئيسة "شبكة المربين اليهود"، بعد الانتهاء من احتفال الجنود بعيد رأس السنة في القصر الرئاسي[4]. ويتبين من هاتين الرسالتين أن الاحتفالات أجريت أيضاً في تكريت والكويت،

---

(1) *Jewish Telegraphic Agency*، 2003/9/30.

(2) "علية" هي الكلمة المستخدمة أيضا للدلالة على الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

(3) *The Jewish Journal of Greater Los Angeles*، 2004/1/9.

(4) الرسالتان بتاريخ 2003/9/29؛ 2003/10/1؛ أنظر موقع "شبكة المربين اليهود"

وكـــان عدد المشاركين في بغداد وتكريت مائة وخمسين. وحسب أحد المصادر شـــارك فـــي الاحـــتفالات فـــي العراق، الكويت، وقطر (الدوحة) ثلاثمائة من "العســـكريين والمدنيين" اليهود[1]. وقد كان الجنود الأمريكيون اليهود في غاية الإثارة، وهو ما يعكس أن للاحتفال، وفي القصر الرئاسي بالذات، هدف سياسي واضـــح. واللافـــت للنظر أن احتفال بغداد ضم "عشرة مدنيين"، بالإضافة إلى العســـكريين، ولا يوضح أكرسون "هوية" المدنيين، الذين لم يكونوا من الجالية الـــيهودية فـــي بغداد، لأن هؤلاء "لم يتمكنوا من الوصول بسبب التدابير الأمنية المفروضة على قاعدتنا". وما يدل على أن الاحتفال في القصر الرئاسي كان ذا أهمية خاصة بالنسبة لمنظميه، هو أن الجنود اليهود قد أحضروا من عدة أمكنة، ونام حوالي ستين منهم لمدة ثلاثة أيام في "قصر صدام". ولم يكن هناك من هو أعلـــى من رتبة كابتن، ما عدا أكرسون نفسه و"ضابط من الشؤون المدنية"[2]. وعيد رأس السنة هو مناسبة للتخلص من الذنوب، فبعد ظهر اليوم الأول للعيد، وفي احتفال خاص، تلقى فتات الخبز بشكل رمزي في مياه جارية للتخلص من هـــذه الذنـــوب. وهـــذه المرة ألقيت الذنوب في "بركة" خارج القصر الرئاسي، لقصي وعدي، ابني الرئيس العراقي صدام حسين[3].

"عيد المظلة"

ابـــتداء مـــن مساء العاشر من تشرين الأول *2003* كان الحاخام جاكوب غولدســـتين يـــردد الصـــلوات كل يوم، أمام مظلة أقيمت في الساحة المواجهة للقصـــر الرئاســـي في بغداد. وكانت المظلة كبيرة "حتى يراها الجميع"، وكان هناك كل صباح يعلق النارنج وسعف النخيل، مما أحضره معه إلى الكويت قبل شهر، وقد احتفظ بمجموعة من سعفات النخيل والنارنج، ووزع ثلاث منها على بقـــية الحاخامات في العراق، وحمل بنفسه واحدة إلى باغرام، القاعدة العسكرية الأمريكـــية شـــمال كابول. وعلق على الاحتفال قائلاً: "كان الأمر رائعاً. كنت أتمـــنى لـــو كـــان صدام هنا حتى يرى المظلة (سوكاه) أمام البوابات الرئيسية لقصره. كان الأمر مدهشاً أين كنا وماذا فعلنا، وأننا اليوم هنا نبتهج بالتوراة في

---

(1) *The Jewish Week*، *2003/10/17*.

(2) أنظر هامش *125*.

(3) *The Jewish Week*، *2003/10/17*؛ أنظـــر أيضـــاً *Jewish Telegraphic Agency*، *2003/9/30*.

مقـــر الشـــر. وبطريقة ما قمنا بتحسين البيئة روحياً". ونام غولدستين في "أحد قصـــور صدام وسمح لـــه أن يتجول في المكان بسبب رتبته والإعفاء الخاص الـــذي كـــان يحملـــه". والتقطت صور لـــه وهو يحمل سعفة نخيل بإحدى يديه ونارنجـــة بالأخـــرى أمام "قصر صدام" في بغداد[1]. كما احتفل مع ثلاثة عشر جـــندياً بعيد المظلة جنوب بغداد. وتناول الجميع وجبة العيد في الخيمة الحارة، "كمـــا كان يفعل اليهود منذ أجيال"، في إشارة إلى ما جاء في التوراة من إقامة طقـــس المظلة في الصحراء[2]. ولا يهم غولدستين أن كلمة "أجيال" تلغي آلاف السنين التي لم تعرف فيها فلسطين اليهود.

"الإيمان على خط النار"

الكولونـــيل جـــاكوب غولدستين[3]، أحد رجال الدين "الأسطوريين"[4]، من ســـكان بروكلين (نيويورك)، ينتمي إلى طائفة "خَبَد لوبافيتش"[5] وخدم منذ عام 1977 كرجل دين في "الحرس الوطني لولاية نيويورك". وفي نهاية عام 1998 أصـــبح مســـؤولاً عن رجال دين الولاية في هذا الحرس[6]، وبهذا يكون "أول مســـؤول عســـكري يهـــودي" يتقلد المنصب. وبمناسبة هذا التعيين قال جورج باتاكـــي، حـــاكم ولايـــة نـــيويورك، "إن تعيين غولدستين كأول حاخام في هذا المنصـــب فـــي أي ولايـــة أمريكية، ليس شرفاً لـــه فحسب، بل أيضاً للحرس الوطنـــي للجـــيش في ولاية نيويورك". شارك غولدستين في الخدمة الفعلية في عملـــية "الغضب المُلح"[7]، وهي التسمية التي أطلقت على غزو جزيرة غرينادا واحـــتلالها عـــام 1983. كما خدم في القوة الأمريكية التي كانت في إسرائيل،

---

(1) (The Jewish Journal of Greater Los Angeles)، 2004/1/9 وصـــورة غولدستين.

(2) (The Jewish Week)، 2003/10/17.

(3) المعلومـــات حـــول غولدســـتين مـــن الموقـــع الـــرسمي لولايـــة نـــيويورك (http://www.state.ny.us/governor/press/dec21_1_98.htm، 1998/12/21.

(4) أنظر موقع (The Head Heeb)، 2003/7/5.

(5) (Lubavitch News Service)، 2003/10/10.

(6) (State Staff Chaplain of the New York Army National Guard).

(7) (Operation Urgent Fury).

أثـــناء حـــرب الخليج عام *1991*، لِــ "الدفاع" عن صواريخ الباتريوت[1] التي نشــرت هناك. وقبل الخدمة العسكرية في ولاية نيويورك تبوأ عدة مناصب في المديــنة، من بينها نائب مدير دائرة تعنى بالإسكان وتطويره. وإلى جانب عمله في الحرس الوطني لولاية نيويورك، يعمل غولدستين كرجل الدين اليهودي لــ "المخابــرات السرية للولايات المتحدة"[2]، وجمعية "المحاربين القدماء اليهود في أمــريكا"[3] فــي الولاية. وعقب تفجيرات الحادي عشر من أيلول عام *2001*، جرى تعيينه ليكون مسؤولاً عن مهمات رجال الدين في عمليات الإنقاذ التي قام بهـا الحرس الوطني في موقع "مركز التجارة العالمي"، ولتقديم الدعم المعنوي، وكـان مسؤولاً عن ثلاثين فريقاً يمثلون "كل المعتقدات"، ويتألف كل فريق من رجـل ديــن ومســاعده. وصورته، التي كان يوزعها الحرس الوطني لولاية نــيويورك، تظهــره بلحيته البيضاء الضخمة أمام دمار "مركز التجارة العالمي" وقــد كتــب تحــتها الكلمات التالية بالخط العريض: "الإيمان على خط النار"، وبكلمات أصغر: "حاخام يحمل المعونة الروحية لجنودنا"[4].

عيد الأنوار ("الحنوكة")

بيــن السابع عشر والرابع والعشرين من شهر كانون الأول *2003* تنقلت فرقة فنية أمريكية بين الكويت والعراق وأفغانستان وأوزبيكستان وقدمت خمسة عــروض للترفــيه عن الجنود الأمريكيين العامليــن في تلك البلدان. الكوميدي الأمريكـــي الــيهودي آل فرانكن[5] قدم مع الممثلة كاري تيرنر[6] مقطعاً هزلياً حــول إلقـــاء القبض على الرئيس العراقي صدام حسين. وزار أثناء وجوده في العــراق تكريــت لأنـــه كان يرغب بشدة في الذهاب إلى "حُجْر صدام". درس

---

(1) *(Patriot Defender Joint Task Force)*.

(2) *(United States Secret Service)*.

(3) *(Jewish War Veterans of America)*.

(4) أنظـــر *(Forward)*، *2001/9/21*. الصـــورة نشـــرت في أكـــثر مـــن موقع، أنظر مثلاً: (*http://www.homemaker.org/chanukah62/feature.html*).

(5) حـــــول "آل فـــــرانكن" ودياتـــــه أنظـــــر *(The National Debate)*: (*http://www.thenationaldebate.com/profiles/Al%Franken.htm*).

حول زيارته للعراق، أنظر *(CNN.com)*، *2004/1/2*؛ *(Army News Service)*، *23/12/2003*.

(6) *(Kari Turner)*.

فرانكن العلوم السياسية في "كلية جون إف كينيدي"[1] التابعة لجامعة هارفارد. ورغم أنه لا يؤمن بـ "صحة الكتاب المقدس أو المستوطنات الإسرائيلية"، التي يصفها بأنها "أصولية دينية"، إلا إنه سيفتتح في واشنطن في آذار عام 2004 مؤتمر "الجماعات اليهودية المتحدة"[2] ليخاطب "الآلاف من القادة اليهود" في الولايات المتحدة. ومن بين المتكلمين في المؤتمر الدكتور سابي شابتاي، "الخبير العالمي في الإرهاب"[3]، وهذا المؤتمر بالذات يهدف إلى تحفيز المشاركين على جعل النشاط اليهودي أولوية في حياة هؤلاء القادة[4]. وبالرغم من علمانيته، احتفل آل فرانكن أثناء وجوده في بغداد بعيد الأنوار ("الحنوكة") في "قصر صدام"، وأشعل شمعات العيد في "قصر الديكتاتور الذي عرض بفخر لوحات صواريخ السكود وهي تضرب إسرائيل، وكراسي مذهبه تحمل كتابات تتبجح بالنصر على 'الكيان الصهيوني'"[5].

"استخدام القوة"

أسبوعية "ذي جويش ويك" لاحظت أن الحاخام كارلوس هويرتا كان مراوغاً في إجابته عندما سئل عن مشاعره تجاه العراق بسبب تأثير محتمل على إسرائيل" فقد أجاب: "هناك عدة بلدان، إسلامية ومسيحية، وبشكل واضح إسرائيل، تشارك في الحرب ضد مرض الإرهاب". ولم يحدد هويرتا ما إذا كانت إسرائيل تشارك بالعدوان على العراق، أو أنها مثل أمريكا تعتدي على الفلسطينيين "الإرهابيين"، وأن الاثنتين تتحدان في هدف واحد هو "الحرب على الإرهاب". وحسب مفاهيمه، تتطابق الهويتان القومية والدينية، وذلك حتى يمكن سحب هذا المبدأ على إسرائيل، التي لا يمكن إسقاط مفهوم القومية على "شعبها" وهو يحتل أرضاً سلبها من أصحابها. واستطرد قائلاً: "أنا فخور بالخدمة في

---

[1] (John F. Kennedy School of Government). أنظر (Townhall)، 2003/11/12. حول هذه المدرسة وتعاونها مع "مؤسسة ويكسنر" (Wexner Foundation) الصهيونية أنظر هامش 192.

[2] (United Jewish Communities).

[3] (Sabi Shabtai). مؤلف وكاتب سيناريو استوحى مواضيعه من نشاطات الموساد. كان يعمل في المخابرات العسكرية ووزارة الخارجية الإسرائيلية. أنظر (San Diego Jewish Press-Heritage)، 1999/4/23.

[4] (United Jewish Federation of San Diego)، 2004/1/23.

[5] (The Jewish Journal of Greater Los Angeles)، 2004/1/9.

الجيش [الأمريكي] ليس كأمريكي فحسب، بل أيضاً كيهودي أمريكي". كان هذا فــي بدايــة آذار وقــبل أن يصــل الرائد هويرتا إلى العراق مع "الفرقة 101 المحمولــة جــواً" لــ "يلبي الحاجات الروحية للجنود في الفرقة، بصرف النظر عــن انــتمائهم الديني"[1]. ففي هذه الفرقة، التي خلدها المخرج اليهودي ستيفن ســبيلبيرغ فــي مسلســل "رباط الدم"[2]، توزع نسخ من الكتاب المقدس تحمل صــورة جمجمــة بين جناحي خفاش. وعندما وصل هويرتا إلى الكويت، يوم الجمعــة الــرابع عشــر مــن آذار 2003، أقام "صلاة صغيرة" مع جنوده في "معســكر نيويورك" في الكويت واستشهد فيها بعبارات من التوراة تفسر للجنود الــيهود "لمــاذا الحرب ضد صدام ضرورية". ويقول جوشوا سلوتنيك[3]، أحد المشــاركين فــي هذه الصلاة: "الوسيلة الوحيدة للإيقاع بهؤلاء الناس هي القوة المادية، عليكم استخدام القوة لإنقاذ الشعب العراقي"[4].

ولد هويرتا في بروكلين (نيويورك) والتحق بالجيش الأمريكي عام 1972 كضــابط مدفعية وخدم في كوريا، تركيا، ألمانيا، وإيطاليا. وحصل على تأهيله الدينــي في "نور التوراة"، وهي مدرسة دينية في القدس. وإن كانت "ذي جويش ويــك" لا تذكر الفترة التي قضاها في القدس، فإن مصدراً آخر يذكر أنه "عاش هــناك لعدة سنوات"[5]. وبعد الانتهاء من دراستــه، التحق عام 1994 بالدائرة الدينية العسكريــة، بناء على نصيحة الحاخام دافيد زاليس[6] ليخدم كحاخام في فورت سيل (أوكلاهوما) وهايدلبيرغ (ألمانيا). بالنسبة لهويرتا لا فرق بين "القيم التقلــيدية اليهودية والأمريكية أو القيم التقليدية للجيش"، وهي: "الولاء، الواجب، التفانــي، الشرف، الاستقامة، الشجاعة الشخصية، الاحترام. هذه القيم هي مائة بالمائة يهودية"[7].

---

(1) (The Jewish Week)، 2003/3/7.

(2) (Band of Brothers).

(3) (Joshua Slotnick).

(4) (Reuters)، "معسكر نيويورك، الكويت"، 2003/3/16.

(5) (Virtual Jerusalem)، د. ت. انظر (http://virtualjerusalem.com/leisure/travel/?disp_feature=AB06MM.var).

(6) (David Zalis)، رئيس رجال الدين اليهود في احتياطي الجيش الأمريكي.

(7) (The Jewish Week)، 2003/3/7.

"ذرة رمل على شاطئ البطولات"

قبل أن يغادر هويرتا الولايات المتحدة ليشارك في عملية "الحرية العراقية"، كان يعمل في الأكاديمية الحربية في ويست بوينت (نيويورك). واليوم، لا يتعدى عدد الطلاب اليهود في الأكاديمية السبعين طالباً. ورغم ذلك، بإمكان كنيس الأكاديمية[1] أن يستوعب عدة مئات من المصلين. وإذا زار الأكاديمية أحد الضيوف، فإن هويرتا عادة ما يصحبه لزيارة قبر الكولونيل دافيد "مايكي" ماركوس[2] في المقبرة الحربية على مسافة قريبة من الكنيس. ماركوس هذا تخرج من الأكاديمية عام 1924، ومنح أوسمة بطولة من الحرب العالمية الثانية وشارك في "بناء الجيش الإسرائيلي من أجل حزب الاستقلال عام 1948"[3]. والبطل الصهيوني ماركوس هو صاحب فكرة "ممر بورما"، الذي يصل منطقة الساحل بالقدس، الذي نقلت عبره معدات عسكرية في انتهاك واضح للهدنة الأولى، التي أبرمت في حزيران عام 1948، وأدى ذلك إلى انقلاب موازين القوى في منطقة القدس لصالح اليهود. وهويرتا، لدى وصوله إلى الكويت للشروع بالعدوان على العراق، صرح بأنه لا يريد أن ينظر إليه كبطل: "فهو ليس إلا ذرة رمل على شاطئ البطولات"[4].

هويرتا يتفقد الموصل

في إشارة إلى اليهود الأمريكيين الذين شاركوا بغزو العراق[5] يقول هويرتا "جميعهم فخورون بكونهم يهوداً ويخدمون بلادهم". ونفهم من ذلك أن "بلادهم" تعني الولايات المتحدة الأمريكية، لا إسرائيل. لكنه ذهب إلى الموصل نهاية تموز ليقوم بواجبه، ليس بصفته رائداً في الجيش الأمريكي ولكن لتفقد معالم الوجود السابق لليهود في المدينة. وما كتبه يعطي انطباعا بأن البلدة القديمة للموصل كانت تعج بالكنس والمدارس الدينية والمنازل اليهودية. فقد

---

(1) قام بتصميم الكنيس ماكس أبراموفيتس (Max Abramovitz)، مصمم مبنى الأمم المتحدة في مانهاتن، "مركز لينكولن"، وجامعة برانديس الشهيرة .. بيهوديتها.

(2) (David "Mickey" Marcus).

(3) (Virtual Jerusalem)، د. ت.

(4) (The Jewish Week)، 2003/3/7.

(5) حسب هويرتا هناك في "الفرقة 101 المحمولة جواً" الكثير من الأمريكيين اليهود: "مشاة، رجال مدفعية، عاملون طبيون، طيارون، محامون، أطباء".

عــثر بالصــدفة (!) علــى مبــنى مهدم تملأه "النفايات المتعفنة، البراز، ومياه المجــاري"، لكــن هــناك كتابات بالعبرية على الجدران. ولم يكشف عن سبب اهــتمامه بهذا الموقع للمواطنين الذين تجمعوا حوله، بل أوعز للمترجم المرافق بالكذب: "الجيش الأمريكي مهتم بمواقع أثرية قديمة من كل نوع". وعندما سألهم عــن طبــيعة المكان أجابوه بصوت واحد على الفور "إنه كان مكاناً يصلي فيه الــيهود"، وأخبروه أن "جميع البيوت في الشوارع المحيطة بالكنيس كانت مليئة بالــيهود". وأخــذه هــؤلاء إلى "مدرسة دينية للأطفال"، تسكن فيها حالياً "عائلة متشردة". وبينما كان "يسير في الحي" قاده المواطنون إلى "ضريح النبي يونس، الذي كان في وقت ما كنيساً". وهنا يستولي هويرتا ليس على البلاد فحسب، بل أيضــاً على تراثها لمجرد أنّ التوراة تربط "يونس" بنينوى، رغم أن يونس هو أحد الأنبياء المذكورين في القرآن[1]. وأخذ يتخيل الحياة اليهودية في الموصل، وترقرقــت الدموع في عينيه عندما مر بخياله أيضاً "الأطفال وهم يبكون، بنات صــبيون الــيانعات يتشبثن بثياب أمهاتهن ويتساءلن لماذا يقوم الأشرار بقتلهم ولمــاذا يجــبرونهم علــى تــرك بيوتهم منذ آلاف السنين"... الأشرار هنا هم العراقــيون! ولكن من المؤكد أن مخيلة هويرتا الخصبة، التي رأت ما لم يحدث على الإطلاق، كانت هي الأمر الوحيد الواقعي.

"مقبرة يهودية دنست وأزيلت"

عــاد هويــرتا مع أفراد يهود من "الفرقة 101 المحمولة جواً" إلى "الحي الــيهودي في الموصل القديمة" وعثروا على "خمسة كنس إضافية، والمزيد من المــدارس الدينــية والبــيوت اليهودية". وأصاب الجميع "الحزن، ولكنهم كانوا جمــيعاً فخوريــن بانــتمائهم إلــى هــذا التراث القديم والغني في مدينة نينوى التاريخــية". ومــن يقرأ هذا الكلام حول نينوى يخرج بانطباع أن هذه المدينة كانت يهودية أو لها علاقة باليهودية، علماً بأنها دمرت نهائياً عام 612 ق. م.، أي قبل السبي البابلي لمن يفترض أنهم كانوا من اليهود في فلسطين. وإذا كانت هناك في الموصل جماعة يهودية بهذا الحجم، كما يقول، فلا بد أن تكون هناك مقــبرة يهوديــة كان الحاخام مصمماً على إيجادها، غير أنه لم يعثر على هذه المقبرة، وكل ما عثر عليه هو شاهد قبر عليه كتابة بالعبرية والإنجليزية، وكان

---

[1] حــول مسجد النبي يونس أنظر عطا الحديثي وهناء عبد الخالق، القباب المخروطية في العراق. بغداد: مديرية الآثار العامة، 1974، ص ص 85-87. أنظر أيضاً أدناه ص 140.

ملقى في مكان ما في مقبرة عسكرية بريطانية تقع بالقرب من المقبرة المسيحية. ويرى هويرتا "أن هذا شاهد لجندي بريطاني شاب أسمه زيف. قام الجيش البريطاني، في حينها، بالاتصال بالجماعة اليهودية المحلية للإيعاز إلى نقاش من الموصل بنقش الاسم بالعبرية إلى جانب الإنجليزية. فهذه طريقتهم بتقدير واحترام رفاقهم". وقد أعاد "دفن الشاهد والصلاة عليه وعلى كل اليهود الذين دفنوا هنا"! ورغم أنه لم يجد المقبرة المزعومة، فقد ظل مصراً على: "أن المقبرة اليهودية هي في مكان قريب، ولكنها دنست وأزيلت من الوجود خلال الستين سنة السابقة"[1].

في الميتم

ميتشل أكرسون، الحاخام الأعظم لليهود في مسرح المعارك، تجول في كافة أنحاء العراق وكتب "موضحاً" الفرق بين عراق شهر نيسان، والعراق "المحرر" بعد ثمانية أشهر. فآنذاك كان "ما شاهدته كله رمال وصخور. التدمير والخراب في كل مكان، والبؤس هو القاعدة". أما اليوم: "فنشاهد حقولاً خضراء، إذ لم نقم بتنظيف أربعة عشر ألف ميل من الأقنية والأنابيب فحسب بل جعلنا أيضاً المياه تنساب فيها". ويستفيض في وصف ما أنجزه الأمريكيون في العراق، ليقول: "فعلنا الكثير حتى نجعل هذه بلاداً أفضل ومكاناً للعيش فيه، ولكن هناك جانباً مظلماً لمساعدتنا". ماذا حصل؟ زار أكرسون الناصرية، التي يرمم فيها أحد الأفواج الأمريكية أربعة مياتم لأطفال "أصبحوا أيتاماً خلال حكم صدام، والبعض منهم أيتام حرب، لم يعد بإمكان أمهاتهم الاعتناء بهم[2]". ودون أن يوضح المقصود بالأمهات، "اللواتي لم يعد بإمكانهم الاعتناء بأطفالهن"، يصف هذه المياتم قبل أن يباشر الجيش الأمريكي برعايتها في أيار بأنها: "كانت قذرة وفيها القليل من الطعام ولا يوجد أثاث محترم والتجهيزات على وشك الانهيار". وشاركه في زيارته الثانية القسيس إليس[3]، الذي كان صليبه واضحاً على صدره، في حين لم تكن شعارات رجل الدين اليهودي، "الوصايا العشر

---

(1) مقال لكارلوس هويرتا بتاريخ 2003/7/24 تحت عنوان "إعادة زيارة الموصل اليهودية: أسى وأمل يهودي في نينوى" نشر في مجلة (The Scribe)، عدد 76 (ربيع 2003)، عن (The Jerusalem Post).

(2) (whose mothers could not take care of them any longer).

(3) (Ellis).

ونجمة داود، واضحة تماماً". وبصرف النظر عن ظهور هذه الشعارات وما إذا كان قد أخفاها أثناء زيارته للميتم، فإنه شعر "أن موقف مديري المياتم من الأمر كان مبهماً، هم يحتاجوننا ويريدوننا، ولكنهم في الواقع لا يريدوننا. هم في حقيقة الأمر محرجون أننا كنا مضطرين للمجيء لمساعدتهم ومستاؤون أن هذا كان ضرورياً"، وأن "إخوانهم المسلمين لم يقدموا" على مساعدتهم. ولا يمكن تجاهل العنصرية في هذه الأقوال، عندما يفاضل الحاخام على ما يبدو وبدون مبرر بين ديانتين، اليهودية والإسلام. ولكنه يعي حجم الكراهية ويعلم لماذا عليهم، ربما كيهود، تحضير أنفسهم لـ "ردود فعل في المستقبل". إذ نراه يستعيد حالة أخرى لشعب ناكر للجميل، وهو تساؤل طرح في نقاش جرى في "المستشفيات الإسرائيلية مع أطباء إسرائيليين يقومون بزرع أعضاء للعرب، أو يقدمون لهم الخدمات الطبية. والتساؤل: هل سيحبوننا غداً؟"، ولكن هؤلاء الأطباء جميعهم يخبرون أكرسون: "إنهم يعيشون اللحظة الراهنة ولا يستطيعون الوقوف مكتوفي الأيدي". أطباء إسرائيليون يتحدثون مع حاخام أمريكي حول إنسانيتهم، وتجاه من؟ تجاه الفلسطينيين الذين سلبهم اليهود وطنهم لتقوم عليه دولة إسرائيل. لكن الحاخام الأمريكي يرى الأمر بشكل مختلف وهو أن "مساعدة" الطفل العراقي هي "مخاطرة، فمن نساعده اليوم سيحاول قتلنا غداً، ولكن لكل مخاطرة ثمن: نسبة الفائدة"[1]. المسألة باختصار ليست إنسانية كما يدعي، بل تدخل في ميزان الربح والخسارة. ويبقى العدو عدواً، طفلاً كان أم لا، كما عبر بشكل مشابه زميل أكرسون الحاخام غولدستين: "رأيت الأطفال العراقيين وهم يشيرون إلى بطونهم وأفواههم. ينبغي أن تشعروا بالقلق من أجلهم، ولكن أيضاً بالقلق من أنهم ربما يحضرون كميناً لكم"[2].

"ليبارك الرب أمريكا والجميع"

وفي نهاية شهر تشرين الثاني *2003* تذكر الحاخام أكرسون بمناسبة "عيد الشكر" فيلم "رئيس الدولة"[3]، وهو لا ينصح أحداً يحترم نفسه بمشاهدته، إذ يقول فيه المرشح للرئاسة: "ليبارك الرب أمريكا ولا أحد غيرها"، لكن خصمه في الفيلم يجيبه بأن العبارة ينبغي أن تكون: "ليبارك الرب أمريكا والجميع".

---

(1) رسالة أكرسون الرابعة من الكويت، أنظر (*Frum.org*).

(2) (*The Jewish Journal of Greater Los Angeles*)، *2004/1/9*.

(3) (*Head of State*).

ويضـــيف أكرســـون: "نحـــن، الأمريكيين، أكثر من أي دولة أخرى في العالم، نتشارك مع الجميع البركات التي وهبنا إياها الرب، وأحياناً تكون هذه المشاركة ضـــارة لـــنا". وبالـــرغم من هذا الأذى يبقى الهدف إشراك الأمم الأخرى بهذه "الـــبركات": "ينبغـــي علينا كأمريكيين وكيهود أن نصلي لتحصل جميع شعوب العـــالم علـــى رأفة الرب وإحسانه". فها هو أكرسون يقسم الهويات القومية في العـــالم إلـــى "أمريكيين"، "يهود"، وشعوب أخرى. وكأن المقصود أنه لا يمكن اســـتيعاب "الهوية اليهودية" إلا في كيان يجسدها، وهو إسرائيل، التي تقوم هي وأمـــريكا بتوزيع "البركات" على الجميع. ويختتم رسالته بالقول: "في هذا العيد نصـــلي ليواصـــل الـــرب مباركة أمريكا والجميع"[1]. في عيد الشكر، الذي بدأ احـــتفالا بالاســـتيلاء على كل الأراضي الخصبة التي عاش عليها الهنود الحمر لآلاف الســـنين، تـــتلى الصـــلوات شكرا للرب لما حققه للمستوطنين في القارة الأمريكية، ولما يرتجى تحقيقه لليهود في فلسطين ... وربما في العراق[2].

"يهودي في بغداد"

تحت عنوان "يهودي في بغداد"[3] سجل قائد الفصيل الملازم أول جوناثان زاغدانســـكي انطباعاته على مدى ما يقارب ستة أشهر من العمليات العسكرية في العراق. وكان الفصيل جزءاً من الفرقة الثالثة مشاة التي قادت غزو العراق واســـتولت علـــى بغـــداد. وكان قادة زاغدانسكي من السياسيين والعسكريين قد أخـــبروه قبل الغزو "أنهم لاعبون رئيسيون في الحرب على الإرهاب"، غير أن زاغدانسكي "الأمريكي اليهودي" اكتشف أثناء وجوده في العراق أنه "لا يحارب الإرهاب فحسب، بل شيئاً أكثر عمقاً".

مهمـــة زاغدانسكي في إحدى ضواحي بغداد، تلخصت في البداية "بالبحث عـــن الأسلحة التقليدية الثقيلة والذخيرة العسكرية، القبض على اللصوص، تحديد تمديـــدات الطاقـــة المخربة، وحفظ النظام"، وأثناء ذلك كان يدخل في نقاش مع

---

(1) رسالة أكرسون الخامسة من الكويت، أنظر (Frum.org).

(2) حـــول المقارنـــة بين الهنود الحمر والفلسطينيين أنظر نورمان ج. فنكلستين، صعود وأفول فلسطين. دمشق: دار كنعان، 2000، ص ص 260-290.

(3) نشـــر المقـــال في (FrontPageMagazine)، 2003/10/31. كـــان زاغدانسكي أثناء مشاركته في غزو العراق قائد فصيل مشاة من 26 جندياً.

"المتعلمين و'المعتدلين'" من العراقيين حول "الحرب ضد العراق، إسرائيل، اليهود، وأمريكا"، وقد فوجئ بأن "معظمهم يحملون آراء لا عقلانية حول العالم. مثلاً، معظمهم يقسم بأن أرييل شارون هو من ضغط على الرئيس بوش المتردد لشن الحرب على العراق، وأن وكالة الاستخبارات المركزية هي من وضع صدام حسين في الحكم ليسمح للقوات الأمريكية بأخذ البترول العراقي وإفقار العراق. وأخيراً، أنهم كانوا مقتنعين بأن وكالة الاستخبارات المركزية هي منظمة يسيطر عليها الموساد، وأن الصهاينة الأقوياء يسيطرون على واشنطن". ويضيف أن معظم العرب في العالم يحملون هذه "الآراء الغريبة، التي جاءت نتيجة سنين من غسيل الدماغ المكثف الذي قامت به أنظمتهم التربوية، ووسائل الإعلام، وقياداتهم السياسية والدينية. هذه المعتقدات حولت رجال أسرة عرب، متعلمين وأذكياء، إلى مختطفين يضربون أبنية بطائرات ركاب، ومنتحرين يقتلون أعداداً كبيرة من الإسرائيليين في حافلات".

"مرض عقلي خطير"

يكتب زاغدانسكي: "نحن لسنا في حرب مع الإرهاب، وإنما مع أيديولوجية أعتبر أنها جاءت نتيجة مرض عقلي خطير ابتلى به الملايين من العرب، الذين يعتقدون بأنهم من خلال تدمير العدو، أي، اليهود، دولة إسرائيل، و'الشيطان الأكبر' أمريكا، فإن بالإمكان إعادة العزة والعظمة العربية السابقة. هذا المرض العقلي يجر العالم ببطء، ولكن بتصميم، إلى حرب عالمية ثالثة". ومنظومة زاغدانسكي الفكرية متناسقة مع نفسها، فهو يعتقد أيضا أن الحرب العالمية الثانية جاءت نتيجة مرض عقلي مماثل "أصاب الملايين من الألمان وجعلهم يعتقدون أن إبادة اليهود وغزو الأمم غير الآرية ستوصلهم إلى عظمة وحرية لا حدود لهما". ولا يعود إلى الحرب العالمية الأولى ليقدم تفسيراً لها، ربما لأنه لا يمكن إقحام "اليهود" أو "إسرائيل" في الموضوع. ولكنه يقول أن "العرب، خلافاً للألمان، يقودون حرباً متعددة الأبعاد ضد أمريكا وإسرائيل"، ويرى أن الإرهاب، "ليس إلا سلاحاً واحداً من بين عدة أسلحة يستخدمها أعداؤنا ضدنا. فكل أمريكي وكل يهودي هو هدف للهجوم بهذا الشكل أو ذاك". لهذا يطالب، بالإضافة إلى الجهد العسكري، بحرب إعلامية شاملة ضد أعداء أمريكا وإسرائيل. وبالرغم من المنحى العنصري السافر لمقاله، فقد أعادت نشره على الأقل عشرة مواقع على الإنترنت، وهو ما يؤكد أن ما يطالب به من حرب

إعلامية موجود فعلاً ومطبق منذ أمد بعيد.

"القيم الأمريكية واليهودية"

تحدث كايتس فينلي[1] عن تجاربه في العراق. فعندما كان في أحد الخنادق مـرت فوق رأسه مباشرة قذيفة صاروخية، حتى أنه تمكن من قراءة الأحرف التـي تحملهـا. ولكنه "أبعد كل الخوف الذي تملكه، ليحمل بندقيته ويمضي إلى العمـل"[2]، أي قتل العراقيين. فينلي هذا في الواحدة والعشرين من عمره ورغم صـغر سـنه فهـذه هي حربه الثانية، فقد شارك عام 2001 في العدوان على أفغانستان، واليوم يشارك في "تحرير العراق"؛ والدته إسرائيلية من أصل يمني. وحسـب مـا قـال أبوه، مورديخاي فينلي، فقد خاض في البداية معارك قذرة، بشكل خاص في الناصرية، الكوت، وبغداد. وسمع الأب عن "العنف، الخراب، والمعـارك مع العدو حتى الموت. ولكن، بعد التقدم بين الجثث والخراب، هناك أيضـاً قصـص إنسـانية حـول مساعدة العراقيين ليجدوا أقرباءهم، وإسعاف الجـرحى". والابـن كايـتس يتفق مع الأب بالرأي في أنه "كان يأمل أن يقابله الشعب العراقي كمحرر لـه ... ولا يعني ذلك أن تحقيق الأمن لأمريكا لم يكن هـو القضـية؛ ولكن إحساسه بالقيم الأمريكية واليهودية جعلت التحرير يصبح الفكـرة الرئيسية في ذهنه". وعندما كان طفلاً كان يسأل أباه "لماذا لم يعد الرب يحرر المضطهدين بشكل مباشر"، كما فعل في "تحرير اليهود من العبودية" في مصر. فكان الأب الحاخام يجيب الابن كما يجيب الأطفال الآخرين: "فعل الرب ذلـك مرة ليكشف لنا ما الذي يريده. والآن الأمر يعود إلينا". وبعدما كبر الطفل كـان الأب والابن "يتناقشان مطولاً حول قسوة نظام صدام وما يعني أن يشارك هـو في الحرب للقضاء على هذا النظام". ومع انتهاء "الحرب" تمركز فينلي في الحلـة، محافظة بابل، مع فرقته التي وصل تعدادها إلى مائتي عنصر، وكانت تقـع علـيها مسـؤوليـة "الأمن وإعادة البناء" في هذه المدينة، بالإضافة إلى "التنسيق" مع بقية الكتيبة المنتشرة في المنطقة[3].

---

[1] عريف في "الكتيبة الأولى، المارينز الرابعة، الفرقة الأولى".

[2] (Jewish Telegraphic Agency)، 2003/9/30.

[3] المعلومات حسب خطاب مفتوح للحاخام مورديخاي فينلي نشر في (ChronWatch)، 2003/8/20.

"شيء مضحك"

يقول فينلي، الذي احتفل بعيد الفصح في "مقر المخابرات" التابع للحرس الجمهوري الخاص في بغداد، أن "العراقيين رحبوا بشكل عام بالقوات الأمريكية"، وكان يتعمد أن يخبرهم بأنه "يهودي يضحي بحياته حتى يحرر بلادهم". ولكن هذا "الإعلان" كان يستقبل بامتعاض، والكثيرون من العراقيين كانت وجوههم تصفر ويبتعدون عنه، وآخرون يطلبون منه مغادرة البيت بعد أن كانوا يرحبون به قبل لحظات. ومع الزمن أدرك أن تصميمه على كشف ديانته أمام العراقيين لن يجديه نفعاً، وأصبح لا يتكلم كثيراً عن يهوديته، فـ "هذا يعقد الأمور"[1]. ومرة سأل أحد المدرسين كيف يشعر بالنسبة لليهود، وذلك قبل أن يخبره بأنه يهودي، فأجابه المدرس أن "القرآن علمه أن يقتل اليهود". وعندها كشف عن الصفيحة المعدنية حول عنقه التي تشير إلى ديانته قائلاً: "هذه سكيني، خذها، قم بما طلب منك واقتلني" ووقف ينتظر، ولكن المدرس، حسبما يقول، لم يستطع القيام بذلك. وقبل أن يذهب المدرس، قال له فينلي: "الحياة أقصر من أن يملأها تعصب كهذا". ويتناسى فينلي أنه تجاوز مهمته كجندي عندما كان يعلن أمام العراقيين عن يهوديته بكل عنجهية، مؤكداً بذلك الدوافع وراء التصرف الذي كان ينتقده عند العراقيين. القصة لم تنته هنا، ففي اليوم التالي عاد المدرس ليقول له: "الحياة أقصر من أن تملأها الكراهية". ويعلق الجندي الأمريكي اليهودي على ذلك: "تمكنت من تغيير حياة واحدة على الأقل". ويضيف: "شيء مضحك"[2].

في الحلة

الرسالة التي يحملها فينلي لإصلاح العالم، تنبع من إحساسه بـ "القيم الأمريكية اليهودية" المتلاحمة، التي تعود لتطفو على السطح باستمرار. ففي الحلة كلف بتدريب "الشرطة العراقية الجديدة" في "أكاديمية الشرطة"، بالإضافة إلى أشغال في "البنية التحتية للإطفائية ومدرسة ابتدائية، والأمن في مبنى البلدية". أما تكليفه بتأهيل رجال الشرطة العراقيين فهي بسبب ما يمتلكه من "تدريب في العمليات الخاصة". وهو لا يرى أن عليه أن يدرب شرطة عراق

---

[1] *حسب ما ذكره أبوه الحاخام موردخاي فينلي؛ المرجع السابق.*

[2] *(Jewish Telegraphic Agency)، 2003/9/30.*

المستقبل على المهارات الشرطية واستخدام السلاح فحسب، بل أن يرسخ أيضاً "القيم الأمريكية واليهودية، المتمثلة باحترام الفرد واستخدام القوة بالقدر الضروري لإنجاز المهمة بسلام"، ولهذا أخذ يقضي المزيد من الوقت في "أكاديمية الشرطة" مع "قوة الشرطة الجديدة" ليضيف إلى منهج التدريس بشكل خاص "معالجة المشكلة المستمرة للبعثيين، الذين يحاولون زعزعة السلام في المدينة". وكان يقوم بنشاطات إنسانية، فهو "يقدم الطعام يوميا للفقراء، ويأوي المشردين، ويحل الأزمات" ويحاول أن يقوم بدوره في "تعليم كيفية تأسيس المجتمع المدني، من وجهة نظر أمريكية، ومن وجهة نظره هو، أي يهودية"[1].

أثناء الإجازة

في نهاية أيلول *2003* عاد فينلي إلى الوطن في إجازة لمدة شهر[2] وزار تلاميذ مدرستين متوسطتين في كالاباساس (كاليفورنيا) كانوا قد تبنوه وظلوا على اتصال معه أثناء وجوده في ساحة المعارك. وقضى يوماً كاملاً مع التلاميذ الذين احتفوا به وبلغ عددهم *650* طالباً. وعندما سأله أحدهم فيما إذا مثل "صدام حسين تهديداً مباشراً للأمريكيين"، أجاب بالإيجاب، وأضاف أن صدام حسين "عذب وقتل مئات الآلاف" وأنه شاهد بنفسه المقابر الجماعية. وأجاب بعناية على كل الأسئلة، التي تراوحت بين كيف "بقي صامداً، وعن صعوبة القتال مع إمكانية قتل الآخرين". وعرض أمام التلاميذ علماً أمريكياً عليه تواقيع زملائه من المارينز. وقال التلميذ سام ليبرستين[3]: "الأمر مدهش أنه تمكن من البقاء على قيد الحياة وتحمل ألم كل هؤلاء الذين عذبوا". أما التلميذ ليون كاين[4] من الصف السابع فلم يكن من قبل يدعم الحرب، ولكنه أكتسب وجهة نظر مختلفة بعد سماع فينلي[5]. وهكذا تمكن كايتس فينلي، على الأقل في الوطن، من تغيير أكثر من حياة واحدة وزرع الروح الوطنية الأمريكية اليهودية في جنود المستقبل الذين يقع على عاتقهم تحرير شعوب العالم!

■■■

---

[1] انظر هامش *171*.

[2] *(Jewish Telegraphic Agency)*، *2003/9/30*.

[3] *(Sam Lieberstein)*.

[4] *(Leon Cain)*.

[5] *(The Acorn)*، *2003/10/23*.

الدور الإسرائيلي

وتنسيق الجهود

"تتشــارك الولايـات المـتحدة وإسـرائيل الانتصــارات والمحــن. نحــن، الأمريكيــن والإســرائيليين، حقـاً إخـوة .. علـى الأرض وفي الفضاء".

دانييل كورتسر، السفير الأمريكي في إسرائيل

أثناء فترة التحضير للحرب على العراق، كانت هناك العديد من المؤشرات التي تربط العدوان بإسرائيل. المنظمات اليهودية الأمريكية عكست الموقف الأمريكي الرسمي، الذي يتلخص ظاهرياً بأن إسرائيل لن تتدخل في العدوان حتى لا يتأثر الرأي العام الأمريكي، الذي كان موقفه سلبياً أصلاً، وتمثل ذلك بالحملة المناهضة للحرب وفي الوقت نفسه إدانة العدوان على الفلسطينيين، فعملياً توحدت فلسطين والعراق في الرأي العام الغربي، وربما لأول مرة، أخذت تتضح الأهداف الحقيقية لوجود إسرائيل في المنطقة. ومن وجهة نظر المنظمات اليهودية الأمريكية، كان من الضروري الفصل بين القضيتين، لهذا جاءت المطالبة بالصمت حول أي دور إسرائيلي في العدوان، وفي الوقت نفسه شنت حملة لتحسين صورة إسرائيل التي اهتزت بسبب الانتفاضة الفلسطينية. اختلف هذا الموقف في بداية نيسان 2003 مع توقع سقوط بغداد، فبرزت استراتيجية جديدة لفترة ما بعد صدام، شددت على دعم إسرائيل المطلق للولايات المتحدة في "حربها ضد الإرهاب". أما في إسرائيل، فتعددت الأصوات الداعمة للعدوان وعبر عنها سياسيون، أكاديميون، ورجال دين. وعلى المستوى العملي تكثف التنسيق الأمريكي الإسرائيلي، كالقيام بتدريبات عسكرية مشتركة، تنفيذ عمليات تخريبية في غرب العراق، تزويد القوات الأمريكية بالأسلحة والمعدات العسكرية الإسرائيلية. وتحضيراً لـ "حرب مدن" محتملة، لجأ الضباط الأمريكيون إلى الإسرائيليين للاستفادة من "خبرتهم" في فلسطين.

"شـ .. شـ .. شـش"

أشار الإعلامي مايكل كينسلي[1] إلى أنه نادراً ما كان يشار في الولايات المتحدة إلى دور إسرائيل في العدوان المزمع على العراق، لا في الرأي العام

[1] (Michael Kinsley)، مؤسس الموقع الإلكتروني "سلايت" التابع لشركة مايكروسوفت العملاقة والمحرر السابق لـ "ذي نيو ريبوبليك".

الأمريكـــي ولا في الجدل السياسي القائم. والسبب واضح و"يستحق الإعجاب"، فلا أحد من المؤيدين أو المعارضين يريد لـــ "عداء السامية" أن يبرز، وأن تبدو صورة اليهود كمستشاري الملك الذين يهمسون بالسموم في أذنه حتى يبيع البلد لمصـــالح دولـــة أجنبية. ولكن هذه الـــ "شـــ .. شـــ .. شـــش" المنتشرة بشكل واســـع جعلـــت رغـــبة أمريكا في "وجود حليف ديموقراطي في منطقة تملؤها الحكومات الدينية والملكيات المتعفنة" مبررة تماماً، ولكن الأسوأ أن هذا الصمت بـــدا ماكـــراً ومثـــيراً للشكوك، حسب اليهودي كينسلي الذي أشار هو نفسه إلى انـــتمائه الديني. لهذا استطاع خرق هذا الصمت ليقول: "إن مستشاري الرئيس، يهـــودا أو غـــير يهود، هم أمريكيون وطنيون ويؤمنون بكل صدق أن مصالح أمـــريكا وإســـرائيل تـــتطابق. والأهم من ذلك، أنهم محقون في اعتقادهم هذا، بالـــرغم من أنهم قد يكونون مخطئين في المجال الذي تلتقي فيه تلك المصالح". وحســـب كينسلي لا توجد في أمريكا إجابة عما إذا كانت "الحرب" ضد العراق مفـــيدة لإسرائيل، أما في إسرائيل، فيدور جدل عنيف حول الموضوع وتطرح نظـــريات تـــتراوح بيـــن "الدنـــيوي إلى الخيالي وحتى المريض: التخلص من مشـــاغب قـــبل أن يحصل على القنبلة النووية؛ إزاحة صدام ستؤدي إلى ردود فعل متتالية ستحول الدول العربية، نوعاً ما، إلى مجتمعات بورجوازية مسالمة؛ أريـــيل شـــارون، رئيس الوزراء الإسرائيلي، يريد أن يحصل حريق هائل في المـــنطقة يكـــون بمثابـــة عذر وغطاء لترحيل الفلسطينيين من الضفة الغربية". وبصرف النظر عن أي من هذه النظريات هو "الدنيوي" أو "المريض"، فكينسلي يختـــتم مقاله بالقول: "مهما يكن، فإن خطر مجزرة، مدنية أو عسكرية، تواجهه إسرائيل هو كالخطر الذي يواجه أمريكا، ولكن أعظم، إلا أنه من الأفضل عدم الحديث عن ذلك"[1].

"مشروع إسرائيل"

تكمـــن المشـــكلة التـــي يواجههـــا اليهودي كينسلي في أنه مدرك بأن هذه "الحـــرب" مفـــيدة لإســـرائيل، ولكنه لا يريد إيضاح طبيعة هذه الفائدة، ويكتفي بـــالقول أن مخططي الحرب، "الوطنيين والصادقين"، يدركون تطابق المصالح الأمريكية والإسرائيلية، ويترك السؤال عن ماهية الخطر الذي تواجهه إسرائيل

---

(1) *MSN Slate*، 2002/10/24.

بـــدون إجابـــة. ولكن هذا الصمت في وسائل الإعلام الأمريكية لا يبدو أنه جاء نتـيجة لـتفادي الاتهـام بـــ "عداء السامية"، فهو ما كانت تطالب به أطراف يهوديـــة، ويهــدف، عملــياً، إلى التعتيم على العلاقة بين العدوان على العراق والانتفاضة الفلسطينية التي أصبحت تهدد الوجود الإسرائيلي. ففي تشرين الثاني عـــام 2002 كشـــفت الواشـــنطن بوست عن مذكرة موجهة إلى قادة الجماعات والمنظمات اليهودية تحثهم على "التزام الصمت" أثناء تحضير الإدارة الأمريكية للعدوان على العراق أو أثناءه. وضع المذكرة "مشروع إسرائيل"[1]، الذي يمثل مجموعة من المنظمات اليهودية وممولين أفراد. تأسس هذا "المشروع" في آذار عـــام 2002، أي في أوج المقاومة الفلسطينية، وبعد تدهور صورة إسرائيل في العـــالم، وتفاقم سوء الحالة الاقتصادية في إسرائيل. والهدف من تأسيسه العمل على "بقاء إسرائيل والشعب اليهودي من خلال تحسين صورة إسرائيل في دول العـــالم الديموقراطـــية"[2]. مـــن بيـــن المشـــاركين فـــي المشروع المستشارة الديموقراطـــية جينيفر لاسلو ميزراحي[3] وهي مؤسسته، والديموقراطي ستانلي غرينبيرغ[4] والجمهوريان نيل نيوهاوس[5] وفرانك لونتس[6]. وتطالب المذكرة الإســـرائيليين بأن يخففوا من الخطاب القائل أن إسرائيل سترد في حال حصول هجوم عراقي على إسرائيل: "ربما يمثل التأكيد على الرد سياسة إسرائيلية، غير أن الإعلان عنه بشكل مكشوف لن يكون لــــه صدى جيد عند معظم الأمريكيين لأنـــه يعبر عن نتيجة محتمة وليس من خلال معالجة مدروسة. وهناك الشعور فـــي أمـــريكا أن إســـرائيل لم تقم بكل ما عليها للتوصل إلى السلام في الشرق

---

(1) (Israel Project).

(2) (Jewish Post of New York)، 2002/11. أنظر أيضاً (The Jewish Week)، 2002/11/8.

(3) (Jennifer Laszlo Mizrahi).

(4) (Stanley Greenberg)، مـــن مؤســـسة إجـــراء الاستطلاعات "أبحاث غرينبيرغ، كوينلان، وروزنر" (Greenberg, Quinlan, Rosner Research)؛ أنظر (Jewish Post of New York)، 2002/11.

(5) (Neil Newhouse).

(6) (Frank Luntz). اتهمـــت "الـــرابطة الأمريكـــية لأبحـــاث الـــرأي العـــام" (American Association for Public Opinion Research) مستطلع الرأي لونتس عام 1997 بأنه انتهك المبادئ الأخلاقية للرابطة، فقد رفض أثناء فترة تقصيات امتدت 14 شهراً كشف منهجية استطلاع كان يقوم به ذلك العام. أنظر (Forward)، 2003/11/14.

الأوسط لهذا لا تحاولوا تغيير الرأي العام في خضم حرب". وجاء في المذكرة: "إذا كـان هدفكـم تغيير نظام، فعليكم أن تكونوا أكثر حذراً بسبب ردود الفعل الممكـنة. لا تريدون أن يعتقد الأمريكيون أن الحرب تشن على العراق لحماية إسـرائيل بدلاً من حماية أمريكا". وترشد المذكرة القادة اليهود بأن يقولوا: "مثل أمـريكا، إسرائيل لها الحق بالدفاع عن نفسها وشعبنا". المذكرة حملت عنوان: "ملكـية سـرية لـــ 'مشروع إسرائيل''"، ولا تذكر صحيفة الواشنطن بوست التاريخ الدقيق لصدورها، وتكتفي بالإشارة إلى أنها وزعت في الأسابيع السابقة لـتاريخ نشر المقال(1). وما يلفت النظر أن الصحيفة ترى أن واضعي المذكرة كـانوا يفكرون بالإسرائيليين كما تدل على ذلك صياغة بعض العبارات الواردة فـيها. وحقـيقة الأمـر، أن المذكـرة لا تفـرق، ولا تريد أن تفرق، بين قادة المنظمات اليهودية الأمريكية والقادة الإسرائيليين ... والشعب الإسرائيلي.

"إسرائيل صديق حقيقي لأمريكا"

تكمـن أهمية المذكرة السابقة في أنها توضح وسائل التأثير في الرأي العام علـى المسـتوى المهني، أو بمعنى أدق، تضليله. فصوت "مشروع إسرائيل"، الـذي يطالب بالصمت، كان كثير الضجيج عند نشر نتائج استطلاع أجراه في تشـرين الأول عام 2002 برعايـة منظمة "إسرائيل القرن الحادي والعشرون" بيـن "صانعي الرأي" أو "قادة الرأي" الأمريكيين، أي هؤلاء الذي يصل دخلهم السـنوي إلى 75 ألف دولار فما فوق. فبعد "سنتين من العنف المؤذي والصور السـلبية فـي الصـحافة" أظهـر هذا الاستطلاع أن أكثر من 50% "يدعمون إسـرائيل"، و12% يدعمون الفلسطينيين. وفي حين رأى 80% من المستطلعين أن إسـرائيل هـي دولة "ديموقراطية"، رأى 19% أن "الطبيعة الديموقراطية" للحكومـة الإسـرائيلية هي السبب الرئيسي لقيامهم بدعم إسرائيل. ومن أسباب دعـم إسـرائيل الرئيسـية التي ذكرت في الاستطلاع "الحرب المشتركة ضد الإرهـاب ودور إسـرائيل المتواصـل كحليف للولايات المتحدة في المنطقة". ويقـول زفي ألون(2)، رئيس منظمة "إسرائيل القرن الحادي والعشرون": "الدعم الأمريكـي لإسـرائيل فـي تصـاعد". أما جينيفر لاسلو ميزراحي فتقول "أن

---

(1) *(The Washington Post)*، *2003/11/27*.
(2) *(Zvi Alon)*.

الاستطلاع أوضح أن القيم الديموقراطية المشتركة هي الأساس القوي للتضامن والصداقة بين إسرائيل وأمريكا وأن إسرائيل هي صديق حقيقي لأمريكا". ومن الواضح أن منظمي الاستطلاع كانوا يريدون أن تؤدي نتائج الاستطلاع إلى إظهار الرفض لما تقوم به جامعات من نشاط يهدف إلى التصدي إلى الشركات الأمريكية، التي تعمل في إسرائيل، وهذا ما حصل. فقد قال 61% أن هذه فكرة سيئة، وأيدها *30*% فقط. وخلفية هذا الموضوع أنه كان "قضية ساخنة في عدد من الكليات" وواجهتها المنظمات اليهودية منذ صيف عام *2002*[1]. ولا يتردد منظمو الاستطلاع في التصريح أنهم كانوا يبثون في واشنطن منذ شهر أيلول دعايات تلفزيونية تركز على "الممارسات الديموقراطية في إسرائيل"، وبدعم من "اللجنة اليهودية الأمريكية". أما منظمة "إسرائيل القرن الحادي والعشرون" فبثت مادة مماثلة في القنوات الفضائية "سي إن إن"، "م إس إن بي سي"، و"فوكس"[2].

"خارطة طريق" إسرائيلية

مع توقعات تغيير النظام في بغداد بداية نيسان عام *2003* قدم "مشروع إسرائيل" و"شركات لونتس للأبحاث"[3] لـ "مؤسسة ويكسنر"[4] وثيقة من سبع

---

[1] *أنظر أدناه ص 103.*

[2] *المعلومات حول الاستطلاع من (Jewish Post of New York)، 2002/11.*

[3] *(The Luntz Research Companies).*

[4] *(Wexner Foundation). تعرف هذه المؤسسة نفسها بأنها تهدف إلى "تقوية القيادة اليهودية في شمال أمريكا وإسرائيل". أحد برامجها هو "زمالة إسرائيل" (Wexner Israel Fellowship Program)، الذي ينفذ بالتعاون مع "كلية جون إف كينيدي" للعلوم السياسية التابعة لجامعة هارفارد (أنظر هامش 142). ويمول هذا البرنامج سنوياً عدداً من المنح تقدم لمسؤولين إسرائيليين للحصول على درجة الماجستير في "الإدارة العامة" ودعمهم للمشاركة في مجموعة من "مؤسسات القيادة". وتدعم "مؤسسة ويكسنر" الكثير من مراكز الجماعة اليهودية في ولاية أوهيو، وعلى المستوى القومي تشارك المؤسسة في منظمات يهودية، منها "إسرائيل: حق بالولادة" والمنظمة الجامعية هيليل (Hillel) وغيرها. الملياردير ليزلي ويكسنر (Leslie Wexner) (كولومبوس، أوهيو) يملك شركة "ذي ليميتد" (The Limited)، "انتيمايت براندز" (Intimate Brands) و"فيكتوريا سيكريت" (Victoria's Secret). وهذه الشركات تنتج مستحضرات العناية بالجسم والملابس الداخلية النسائية التي تلقى رواجا كبيرا في العالم العربي. المعلومات حول المؤسسة من موقعها على الإنترنت.*

عشــرة صــفحة تحمــل عنوان: "أولويات الاتصال بالنسبة لإسرائيل 2003". وتوضـــح الوثــيقة أنـــه بعـــد "الصمت النسبي" لفترة الثلاثة أشهر السابقة لـــ "الحرب"، ومع اقتراب انتهاء "الصراع العسكري" فقد حان الوقت لتنفيذ الخطوة التالية. وتتلخص هذه الخطوة بأن "تقوم إسرائيل بالكشف عن 'خارطة الطريق' الخاصـــة بهـــا التـــي تتضمن الدعم المطلق لأمريكا والالتزام المطلق بالحرب المتواصـــلة ضـــد الإرهـــاب". والمقصود بـــ "الاتصال" في عنوان الوثيقة هو طبـيعة الخطاب الإسرائيلي أو اليهودي الذي ينبغي استخدامه لتحقيق الاتصال مـــع الـــرأي العـــام الأمريكي، أي بمعنى آخر التأثير عليه. وتدخل الوثيقة في تفاصــيل دقــيقة حــول كيفية صياغة الخطاب المطلوب، حتى نوعية الكلمات المناســبة وأمــثلة وهمية وردود الفعل عليها. وتصل الوثيقة إلى إحدى عشرة "نتيجة جوهرية"، من بينها:

* العـــراق يطغى على كل شيء، صدام هو دفاعكم الأفضل حتى لو كان ميتاً.
* الأمن' يمكن تسويقه.
* اربطوا تحرير العراقيين بمعاناة الشعب الفلسطيني.

وبالرغم من غرابة الوثيقة، أو ربما طرافتها، فإنها بطريقة ما تكشف عن الأهـــداف غـــير المعلنة للسياسة الإسرائيلية. "الأمن" هو السياق الذي ينبغي أن تشـــرح فيه حاجة إسرائيل لضمانات القروض والدعـــم العسكري، وهو السبب الـــذي يمنع إسرائيل من التخلي عن الأرض. وتقول الوثيقة: "المستوطنات هي عقـــب أخيل عندنا"، وأفضل رد هو "الحاجة إلى الأمن الذي تخلقه هذه المنطقة الفاصلة". وهذا يعني ببساطة أن إسرائيل لن تنسحب من الضفة الغربية وقطاع غـــزة. وتمـــلأ الوثيقة الإرشادات الموضوعة في إطار، من بينها التحذير الذي يدعـــو بأن لا تسقط كلمتا "صدام حسين" من الخطاب الإعلامي، "فهؤلاء الذين يقولـــون أن صـــدام حســـين قد أصبح أخباراً قديمة لا يفهمون التاريخ. هم لا يفهمـــون كيف يمكن استحضار التاريخ لفائدة إسرائيل". "صدام" هو أقوى سلاح في "الدفاع اللغوي عن إسرائيل".

"الربط بين العراق والفلسطينيين"

وتشـــرح الوثـــيقة طريقـــتها كـــيف يجـــب أن يكـــون الربط بين العراق والفلســـطينيين، فالأمريكيون يجدون أن القضيتين منفصلتان، "على الأقل الآن". وتـــرى أن الافتراض بأن الدعم الواسع لتغيير النظام في العراق يمكن الاستفادة مـــنه بشـــكل كامل في تغيير القيادة الفلسطينية خاطئ، لهذا يمكن، وينبغي، أن يـــربط "دعمكـــم للجهود الأمريكية في تحرير شعب العراق بمصلحتنا المتبادلة بضمان الحرية للشعب الفلسطيني". ينبغي أن يكون التركيز على أن "الأمريكيين يـــريدون للديموقراطية أن تزدهر في الشرق الأوسط"، وأن العراقيين لم يعودوا بحاجـــة إلـــى الـــنظر أبعد من جيرانهم الإسرائيليين. التدرج المطلوب في هذا المـــنطق، هـــو: الديموقراطـــية مهمـــة؛ الديموقراطية في العراق مهمة؛ يمكن للديموقراطـــية أن تجلب السلام؛ حان الوقت لتحقيق ديموقراطية حقيقية للشعب الفلســـطيني. فالأمريكيون يأملون بصدق أن يصبح العراق، العدو سابقاً، شريك الســـلام حال إقامة حكومة تمثل العراقيين. وهذا ما يستحقه الفلسطينيون أيضاً، ترشـــد الوثـــيقة. وهذا تماماً "ما تتطلبه إسرائيل من السلطة الفلسطينية منذ أمد طويـــل: أقيموا حكومة شرعية يمكن لها أن تصبح شريكاً للسلام". من الواضح أن هـــذا الكلام يهدف إلى تغطية ما يحصل على أرض الواقع ويكشف أن أحد أهـــداف عملـــية العراق، وربما الهدف الرئيسي، هو ترتيب الوضع الفلسطيني المتفجر. وكما يبدو لم تكن هذه النصائح والإرشادات ذكية، فالتطورات اللاحقة، في العراق بشكل خاص، لم تأت كما كان يأمل "مشروع إسرائيل".

أسئلة بلاغية وجواب وحيد عليها

تشـــير الوثيقة إلى نتيجة جوهرية، وهي مدى فعالية الأسئلة البلاغية، أي الفارغـــة مـــن المضمون، وتدرج الوثيقة مجموعة منها، مثال: "لماذا بقي ياسر عـــرفات في السلطة لهذه الفترة الطويلة من الزمن دون أن يحقق إلا القليل في الـــتقدم نحـــو حل سلمي؟ لو كان ملتزماً فعلاً بإخلاص بعملية السلام، أما كان توصـــل إلـــى تحقيق هذا الهدف الآن؟". ومهما تعددت الأسئلة من هذا النوع، فـــالجواب علـــيها هـــو دائماً نفسه: "سيأتي السلام عندما يتم الإصلاح فعلاً في القـــيادة الفلســـطينية الحالـــية وتتوقف تكتيكات الإرهاب". ويبدو الجواب بلاغيا

أيضـــاً، ولكـــن الوثيقة عندما تنصح أن "يبهر" الخطاب بالأسئلة البلاغية، فإنها تقـــول: "هكذا يتكلم اليهود على جميع الأحوال". وفي هذا السياق تتساءل الوثيقة فيما إذا كان إنكار محمود عباس رئيس الوزراء الفلسطيني آنذاك للمحرقة، في إشــارة إلــى أطروحــته للدكتوراه في الاتحاد السوفياتي، مبعثاً للقلق، وتجيب: "بالتأكيد". ولكن السؤال هو هل إنكاره للمحرقة سيقنع الأمريكيين بأنه لا يصلح لــتقديم عرض مخلص للسلام مع الفلسطينيين. تجيب الوثيقة: بالكاد. لماذا؟ لأن الأمريكيين لم يعودوا يرغبون بسماع شيء عن المحرقة، وبشكل خاص إذا جاء مـــن الجماعة اليهودية. ونحن نتساءل بدورنا هل أجريت دراسات حول موقف الأمريكيين من خطاب المحرقة؟ ومن قبل من؟ ولكن الأهم من ذلك، أن الوثيقة تقدم إرشاداتها لإسرائيل، وبشكل مماثل، لمجموعات الضغط اليهودية وأذرعها فـــي الولايـــات المـــتحدة للتأثـــير على الرأي العام الأمريكي. وهذا ما يدعم الافتراض أن وسائل الإعلام الأمريكية يسيطر عليها اليهود بهذا الشكل أو ذاك، كما يظهر من القائمة التي جمعها اليهودي جيفري بلانكفورت[1]، وتشمل خمسة وثمانيـــن شخصـــية يهودية تملك وسائل إعلام أو ترأسها، أو تلعب دوراً فعالاً فيها[2].

"الشعور بالمسؤولية"

في إسرائيل كان معروفا متى سيشن العدوان الأمريكي على العراق. ففي نهايـــة أيلول عام 2002، صرح بينيامين بن-إليعيزر، وزير الدفاع الإسرائيلي آنـــذاك، بـــأن الأمريكييـــن ســـيهاجمون العراق في نهاية شهر تشرين الثاني. وبصـــرف الـــنظر عـــن الهدف الخفي وراء تصريح من هذا النوع فإنه يعكس التنســـيق الذي كان يجرى بين الولايات المتحدة وإسرائيل قبل العدوان وبشكل عـــام المصالح الاستراتيجية الأمريكية الإسرائيلية المشتركة. وهذا ما يؤكده رد فعل أرييل شارون، رئيس الوزراء، عندما حذر وزراء حكومته في السابع من تشـــرين الأول 2002 بأن لا يدلوا بتصريحات حول المخططات الأمريكية تجاه

---

[1] انظر (San Francisco Bay Area Indymedia)، 2003/1/12.

[2] نشـــرت هـــذه القائمـــة تحت عنوان "يهود في وسائل الإعلام" كملحق لمقال "رونالد بلاير"، في (Demographic, Environmental and Security Issues Project)، نيسان 2003.

العراق. ويقول مسؤول إسرائيلي كبير: "الجميع يريدون التعبير عن رأيهم حول موضوع حيوي، وهذا أمر صحي. ولكن ينبغي أحياناً أن تشعـــروا بالمسؤولية وتصمتوا"[1]. في تشرين الأول 2002 كان وفد إسرائيلي يضم الجنرال عاموس يـــارون، من وزارة الدفاع الإسرائيلية، ومسؤولين آخرين كبار يجري محادثات فـــي واشـــنطن مـــع ريتشارد أرميتاج، نائب وزير الخارجية الأمريكي، حول "الخطر الذي يشكله صدام حسين". وفي هذه الزيارة اجتمع يارون مع دوغلاس فايـــث[2]، مســـاعد وزيـــر الدفـــاع الأمريكي للسياسة ومديـــر "مكتب الخطط الخاصة"[3]

فـــي الوزارة. وأفادت صحيفة هآريتس في هذه المناسبة أن "نقاشات هادئة حول التحضير للحرب كانت تجرى منذ أشهر، ولكن الرئيس بوش قرر تكثيف هـــذه النقاشات"[4]. وفي الشهر نفسه ترددت أنباء أن الولايات المتحدة وإسرائيل "اتفقـــتا علـــى أهـــداف العـــراق"، وأن "الأمريكيـــن سيزودون إسرائيل بقمر اصـــطناعي يقـــدم إنـــذاراً مبكراً بهجمات صاروخية عراقية، وأن قطع غيار وأجهـــزة أمريكـــية أخرى ستخزن في إسرائيل"[5]. وأثناء زيارة شاؤول موفاز لواشـــنطن، في شهر كانون الأول 2002، طمأن المسؤولون الأمريكيون الوفد الإســـرائيلي بأن الولايات المتحدة ستقوم بكل ما في وسعها للدفاع عن إسرائيل، وأن لا حاجة لمشاركة إسرائيل في العدوان المرتقب. وبالرغم من ذلك، صرح أحد المسؤولين من وزارة الدفاع الإسرائيلية لـــ "الوكالة التلغرافية اليهودية" أنه فـــي حالة تعرض إسرائيل للعدوان فإنها سترد، حتى يرى الجميع أنها هي من قام بذلك، "وأن يدركوا ما الذي يمكننا أن نفعله"[6].

"كانوا يتحركون بسرعة"

أثـــناء فترة التحضير للعدوان كانت مجموعة سرية من رجال المخابرات

---

(1) (New York Times)، 2003/10/7.
(2) (Douglas Feith).
(3) (Office of Special Plans).
(4) (Middle East Times)، 2003/10/4؛ عن معاريف وهآريتس.
(5) (New York Times)، 2003/10/7.
(6) (Jewish Telegraphic Agency)، 2002/12/27.

الإسرائيليين تزود "مكتب الخطط الخاصة" في وزارة الدفاع الأمريكية بمعلومات استخباراتية حول العراق. ولم تكن المجموعة تابعة لجهاز الموساد، وإنما مرتبطة بمكتب أرييل شارون، رئيس الوزراء. وحسب الغارديان فإن الإسرائيليين، الذين كانوا يترددون على "مكتب الخطط الخاصة" لم يدخلوا البنتاغون خلال القنوات المعهودة، وأدخلوا إلى مكتب دوغلاس فايث بدون تعبئة الاستمارات المطلوبة. وتقول كارن كفايتوفسكي[1] أنها رافقت مرة حوالي نصف دزينة من الإسرائيليين، بينهم جنرالات، من قاعة الاستقبال في الطابق الأول للبنتاغون إلى المكتب المذكور: "كان علينا ببساطة أن نتبعهم، لأنهم كانوا يعرفون تماماً وجهتهم وكانوا يتحركون بسرعة"، وتضيف أن الإسرائيليين لم يكونوا بحاجة إلى ملء أي استمارة، كما أصبح مشروطاً بعد الحادي عشر من أيلول، وترجح أن "مكتب الخطط الخاصة" تخلى عن هذه التدابير حتى لا يكون هناك أي سجل بالاجتماع[2].

"حرب لليهود"

في إسرائيل، هناك الكثير مما يقال حول العدوان على العراق. فإلى جانب "النظريات" هناك العديد من التصريحات لمسؤولين إسرائيليين، قبيل العدوان على العراق، تظهر إلى أي مدى ترى إسرائيل في هذا العدوان ما يخدم مصالحها بشكل مباشر. ففي منتصف شباط كان شاؤول موفاز يقول أمام أعضاء "مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الرئيسية": "نحن مهتمون جداً بإعادة صياغة الشرق الأوسط". ورأى إفرايم هاليفي[3] أن "موجات الصدمة التي ستنبعث من بغداد ما بعد صدام، سيكون لها تأثيرات واسعة في طهران، دمشق، ورام الله. نأمل أن تسود المنطقة أجواء مفعمة باستقرار وثقة أكبر، من الخليج الفارسي إلى سواحل الأطلسي في المغرب"[4]. جايمس بينيت،

---

(1) (Karen Kwiatkowski)، الكولونيل المتقاعد في سلاح الجو.

(2) (The Guardian)، 2003/7/17؛ (The Nation)، 2003/6/19؛ (Inter Press Service)، 2003/8/7؛ عن (Center for Cooperative Research) حول "مكتب الخطط الخاصة" (Office of Special Plans).

(3) (Efraim Halevy)، مستشار الأمن القومي لرئيس الوزراء الإسرائيلي ورئيس جهاز المخابرات السابق.

(4) (James Bennet)، (New York Times)، 2003/2/24.

مدير مكتب النيويورك تايمز في القدس، يوجز بشكل معبر الفائدة التي ستجنيها إسـرائيل من العدوان على النحو التالي: "اعتقدت إسرائيل أن اتفاقية أوسلو مع الفلسطينيين كانت ستفتح المجال نحو شرق أوسط جديد بتعايش إسرائيلي عربي مـريـح. والآن مـع تآكل أوسلو، هم يضعون آمالهم في حرب أمريكية على العـراق"[1]. ويقول أيضاً: "الموضوع بسيط وواضح: الحرب الأمريكيـة ضد العراق هي حرب لليهود"[2].

"الرب يقف معكم"

فـي إشـارة إلى إيلان رامون[3]، الذي شارك في قصف المفاعل النووي العراقـي عام 1981، وقتل في تحطم المركبة الفضائية كولومبيا في بداية شهر شـباط 2003 ، قال دانييل كورتسر[4]، السفير الأمريكي في إسرائيل: "تتشارك الولايـات المـتحدة وإسـرائيل الانتصـارات والمحـن. نحـن، الأمريكيين والإسـرائيليين، حقـاً اخوة ... على الأرض وفي الفضاء"[5]. وفي نهاية شهر آذار حضـر السـفير نفسـه قداسـاً أقيم في جامعة بار إيلان، وكذلك السفير البريطانـي ورؤساء المعاهد والكليات في الجامعة وطلابها. وفيه شكر السفير الأمريكـي جامعـة بـار إيلان قائلا بالعبرية: "تقدر دعم الحكومة الإسرائيلية وجمهـور إسـرائيل بأكمله". وبالعبرية أيضاً قال شيرارد كاوبر-كولز، السفير البريطاني[6]: "نشكر الحكومة الإسرائيلية وشعبها لدعمهم قوات التحالف العاملة فـي الخليج. ونأمل أن نشهد السلام ليس فقط من أجل إسرائيل، وإنما من أجل شـعب العراق وكل شعوب الشرق الأوسط"[7]. وفي نهاية القداس ناشد الأستاذ موشـيه كافيه[8]، رئيس جامعة بار إيلان، الجمهور الإسرائيلي أن يقوم بتلاوة

---

(1) المرجع السابق.
(2) (The New York Times)، 2003/4/3؛ عن (Arab-Israeli Politics, Role Profiles).
(3) (Ilan Ramon).
(4) (Daniel Kurtzer).
(5) (Israel21c)، 2003/2/2.
(6) (Sherard Cowper-Coles).
(7) (Israel21c)، 2003/3/30.
(8) (Moshe Kaveh).

صلاة خاصة يوم السبت الخامس من نيسان، هذا نصها:

"ليحمنا الرب من أعدائنا، الذين يهبون ضدنا، ليحمي المقدس المبارك جنود قوات الحلفاء في العراق ويقيهم من الحزن والمشقة، ومن الخطر والمرض. ليكلل بالبركة والنجاح جهودهم كلها، ليتوجهم بالخلاص والنصر ويهزم هؤلاء الذين يكرهونهم، وذلك حتى تتحقق المأثرة من خلالهم: من أجل الرب، ربكم، الذي يقف معكم ويحارب أعدائكم ... من أجلكم ولحمايتكم، لنبتهل، آمين".

مطالبة رئيس جامعة بار إيلان بتلاوة صلاة يهودية تنفي المبدأ الأكاديمي للمؤسسة الجامعية التي يمثلها، وتظهر بوضوح الاستغلال السياسي للدين اليهودي.

"الحرب مبررة"

"متى تكون الحرب مبررة؟ العراق كحالة". هذا هو السؤال، الذي كان مطروحاً في لقاء نظمه، بداية آذار *2003*، "مجلس التنسيق بين الأديان"[1] بالتعاون مع "مؤسسة كونراد

أديناور" الألمانية في القدس. ومثل رئيس جامعة بار إيلان، وجد موردبخاي بيرون[2]، الحاخام الأعظم السابق في الجيش الإسرائيلي، مبررات العدوان على العراق في الدين اليهودي. إذ بالرغم من أن "اليهودية" تعارض الحرب، فإن هناك "استثناءين كبيرين": "الأول، عندما يشن العدو هجوماً للقضاء على الشعب اليهودي والدولة اليهودية، فإن لدينا الحق بالدفاع عن أنفسنا؛ والثاني، عندما يتآمر العدو لمحوكم ويعلن بوضوح عن خطط للقضاء على شعبكم ودولتكم من خلال وسائل مدمرة، فإن لديكم الحق، ليس في الدفاع عن النفس فقط، بل شنّ حرب وقائية". ومن يتكلم هنا هو إسرائيل وليس الولايات المتحدة، فالمقصود بـ "الوقاية"، التي تذرعت بها الولايات المتحدة، هو إسرائيل[3].

---

[1] *(Interreligious Coordinating Council)*.

[2] *(Mordechai Piron)*.

[3] *المعلومات حول المؤتمر حسب "رون كرونيش" (Ron Kronish)، رئيس "مجلس التنسيق بين الأديان" في (Israel21c)، 2003/3/2.*

"اتصالات وتنسيق" من إسرائيل

فـــي شهر آب 2003 عبر أرييل شارون في واشنطن عن "امتنانه العميق للخطـــوات التي قام بها الرئيس بوش" في إشارة غير مباشرة إلى غزو العراق. وفـــي هذه المناسبة أقر بأن "هناك بعض المشاكل"، كناية عن المقاومة العراقية، التـــي أصـــبحت آنـــذاك واضحة المعالم وملموسة. ولكنه أضاف: "أن التاريخ ســـينظر إلـــى [غزو العراق] على أنه يمثل أحد أهم الخطوات التي أتخذت منذ الحـــرب العالمية الثانية"[1]. هذه الخطوة ذات الأهمية القصوى "أتخذت" من قبل من؟ إسرائيل أو أمريكا؟

وصلت إلى إسرائيل "وحدة ارتباط أمريكية" في بداية كانون الثاني 2003 لإنشاء بنية تحتية لـــ "الاتصالات والتنسيق" أثناء الحرب مع العراق بين الجيش الإسرائيلي، ووزارة الدفاع الأمريكية والقوات الأمريكية الموجودة في المنطقة. كمـــا وصـــل إلى السفارة الأمريكية في تل أبيب عدد محدود من الموظفين لـــ "تعزيـــز قـــنوات الارتباط والاتصالات، القوية أصلاً". وجرى تعيين الجنرال تشـــارلز سيمبســـون[2] لـــيكون "كبير ضباط الارتباط" مع الجيش الإسرائيلي. وأجـــرى سيمبسون مقابلات مع رئيس هيئة الأركان، موشيه يعلون[3]، وضباط كـــبار فـــي الجـــيش الإســـرائيلي[4]. ومنذ اليوم الأول للعدوان الأمريكي على العـــراق، ورغـــم أن إسرائيل كانت في حالة تأهب قصوى، قال سيلفان شالوم، وزيـــر الخارجية الإسرائيلي: "إسرائيل ليست جزءاً من الحملة ضد العراق ولا تـــريد أن تزج بها"، ولكنه أضاف: "نحن نصلي من أجل سلامة قوات التحالف. إســـرائيل تقـــف إلـــى جانب الشعب الأمريكي وحلفائه في حملتهم للقضاء على الـــتهديد الذي تمثله أسلحة الدمار الشامل العراقيـــة"[5]. صلاة سيلفان شالوم لا تعبر تماماً عن حقيقة الجهود المشتركة بين الولايات المتحدة وإسرائيل. فحسب

---

[1] مقابلـــة أجـــرتها معه مجلة "النيوزويك" ونشرت مقتطفات منها (Washington Post)، 8/3/ 2003.

[2] (Charles Simpson)، مديـــر العملـــيات الجوية والفضائية في "القيادة الأوروبية" في الجيش الأمريكي.

[3] (Moshe Ya'alon).

[4] (India Info)، القدس، 2003/1/14، عن "هآرتس".

[5] (Israel21c)، 2003/3/20.

صـــحيفة "نـــيويورك دايلي نيوز" كان القمـــر الاصطناعي الإسرائيلي المتطور "عاموس 4" يمد المخابرات الأمريكية بالمعلومات بشكل روتيني، في حين كان عمـــلاء المخابرات الإسرائيلية في بغداد يجمعون معلومات في غاية الحساسية. كما قامت قوة الكوماندو الإسرائيليـــة "سابيريت ماتكال"[1] بالاشتراك مع قوات أمريكـــيـــة وأسترالية خاصة بعمليات سرية في الصحراء الغربية للعراق بحثاً عـــن منصـــــات إطـــلاق صواريخ سكود. كما أن "مسؤول مخابرات عربي"، مطلع على تفاصيل هذه المهمة، أبلغ الدايلي نيوز أن الإسرائيليين دخلوا العراق بعـــد أن فشلت تكنولوجيا الأقمار الاصطناعية[2]. وفي الأسبوع الثالث من شهر كانون الثاني قامت البحرية الإسرائيلية بتدريبات مشتركة مع الأسطول السادس الأمريكي في البحر الأبيض[3]. وبعد سيمبسون، زار إسرائيل في أواخر كانون الثانـــي الجنرال تشارلز فالد[4] الذي سيكون مسؤولاً عن "الارتباط" مع الجيش الإســـرائيلي. وبهـــذا الصـــدد صرح مسؤول أمني إسرائيلي كبير بأن التنسيق الاســـتراتيجي مـــع الأمريكييـــن هـــو بمستوى أعلى بكثير مما كان عليه عام 1991[5].

تدريبات مشتركة

تعـــددت أشكال التعاون الأمريكي الإسرائيلي. ففي شهر كانون الأول عام 2002 أرســـلت قـــوة مهام أمريكية تتألف من 700 عنصر تحت قيادة الجنرال ســـتانلي غريـــن[6] للمشاركة في تدريبات دفاعية مشتركة للصواريخ البالستية. وبقيـــت تلـــك القـــوات في إسرائيل أثناء "الأزمة العراقية" لدعم سبع منصات لإطـــلاق صواريخ "باتريوت 2" في حيفا وصفد ومنطقة تل أبيب الكبرى. وقد دمـــج نظاما الدفاع الأمريكي والإسرائيلي، الباتريوت والأرو، في شبكة واحدة. وانتهـــت مهمـــة القوة الأمريكية بعد أربعة أشهر عندما سيطرت قوات التحالف علـــى مـــناطق فـــي غـــرب العراق. وقد تصرف الجنود الذين كانوا يشغلون

---

(1) (Sayeret Matkal).

(2) (Israel21c)، 2003/3/30.

(3) حسب موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، (Israel Line)، 2003/1/17.

(4) (Charles Wald)، القائد المفوض لـ "القيادة الأوروبية" في الجيش الأمريكي.

(5) حسب موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية، (Israel Line)، 2003/1/17.

(6) (Stanley Green).

النظاميـــن كـــ "أفراد عائلة واحدة"، على حد تعبير الكولونيل روجر ماثيوز[1]. وفـــي العشـــرين مـــن نيســـان احتفـــل الجنود الأمريكيون والإسرائيليون بهذه المناسبة في "قاعدة تل يونا الجوية"[2] في ريشون ليتسيون. وبمناسبة حلول عيد الفصـــح اليهودي دعي خمسون جندياً أمريكياً إلى بيوت إسرائيلية لتناول عشاء العيد[3].

أسلحة ومعدات إسرائيلية

تعتبر إسرائيل ثالث أكبر مُصدِّر للأسلحة في العالم، بعد الولايات المتحدة وبريطانـــيا، وتتقدم بذلك على روسيا بصناعاتها الحربية الضخمة، حسب مجلة "جاينمز ديفينس ويكلي"[4]. وقدر حجم المبيعات العسكرية الإسرائيلية بأكثر من 3.5 بلـــيون دولار للعـــام 2002. يقول جويل جونسون[5]: "أعتقد أننا سنسقط طائـــرات المـــيراج ثري إس (الفرنسية) إذا استخدمها العراقيون. وقد نسقطها بواســـطة صـــواريخ إسرائيلية". استخدمت القوات الأمريكية في عدوانها على العراق أنواعاً متعددة من الأسلحة والعتاد العسكري، الذي يصنع الكثير منه في فـــروع لشركات إسرائيلية في الولايات المتحدة، أو من خلال مشاريع أمريكية إســـرائيلية مشـــتركة. ويـــرى الـــبعض أن استخدام الجيش الأمريكي لأسلحة إسرائيلية لا يعدو كونه مسألة تندرج في سياق الصفقات التجارية. يقول الأستاذ غيرالد ستينبيرغ[6] من جامعة بار إيلان: "لدى إسرائيل خبرة واسعة في تطوير بعـــض الأســـلحة الذكـــية أو تلك الموجهة بالليزر، وهي على درجة عالية من الدقـــة. إنهم يصنعون هذه الأسلحة لجيش الدفاع الإسرائيلي، ولكنها أيضاً تباع

---

[1] (Roger Mathews)، قائد اللواء 69.
[2] (Tel Yona Air Force Base).
[3] (Israel21c)، 2003/4/20، عن (Associated Press).
[4] (Jane's Defense Weekly). معظـــم المعلومـــات حـــول الأســـلحة العراقـــية حسب (Associated Press)، 2003/3/21 و(Israel21c)، 2003/3/23.
[5] (Joel Johnson)، الـــناطق باســـم "رابطـــة الصـــناعات الفضائية الجوية" (Aerospace Industries Association)، وهي مجموعة ضغط لصناعات الأسلحة في واشنطن.
[6] (Gerald Steinberg)، رئـــيس "بـــرنامج إدارة الصراع والمفاوضات" (Program on Conflict Management and Negotiation).

للولايـــات المـــتحدة من بين دول أخرى". لكن يفتاح شابير[1] من "مركز جافي للدراســـات الاســـتراتيجية"[2] في جامعة تل أبيب يضيف بعداً آخر: "إن وجود أسلحة إسرائيلية في الجهاز العسكري الأمريكي الضخم يشير إلى التفوق التقني للـــبلاد وإلـــى مكانتها كحليف مفضل". ويتراجع شابير بعض الشيء في تقييمه لهـــذا التحالف عندما يقول أن الصداقة الأمريكية الإسرائيلية "تساعد إلى حد ما، ولكن عندما يصل الأمر إلى المنافسة التجارية، توضع هذه المشاعر جانباً. هذه الأجهـــزة مـــتقدمة جـــداً، وأسعارها باهظة للغاية". ويلخص ستينبيرغ برنامج التعاون العسكري الأمريكي الإسرائيلي بقوله: "إن مساهمة إسرائيل في الإطار الواســـع للأشياء صغيرة، ولكنها هامة. إنها تعكس الإمكانيات التقنية لإسرائيل، وإلـــى حـــد مـــا تحالفها الوثيق مع الولايات المتحدة. ولكن من الخطأ القول أن إسرائيل تساهم بالحرب ضد العراق لأنها تزود أمريكا بالسلاح. هذه الأسلحة قد تكون استخدمت أيضاً في أفغانستان وكوسوفو".

الأســـلحة الإســـرائيلية، التـــي يرى فيها شابير وستينبيرغ مجرد بضاعة تجاريـــة، كـــان لهـــا، إذن، دور فـــي إحـــلال الدمـــار والقـــتل في أفغانستان ويوغوســـلافيا، والـــيوم في العراق. ولا يبدو أن العامـــل التجاري فقط هو ما يقـــف وراء تطويـــر الأســـلحة الإسرائيلية، فالهدف الرئيسي لـــ "مركز جافي للدراسات الاستراتيجية" هو إجراء أبحاث ذات مستوى أكاديمي عالٍ في قضايا تهـــم "الأمن القومي الإسرائيلي وقضايا الأمن الإقليمية والدولية". هذا المركز، كـــان يترأســـه لـــدى تأسيســـه أهارون ياريف[3]، مدير المخابرات العسكرية الإسرائيلية، وجاء الدعم لـــه من قبل أمريكيين يهود[4].

أجهزة تصوير بالأشعة

فـــي بدايـــة شـــباط *2003* ظهرت تقارير تفيد بأن شركة إسرائيلية، تنتج الإلكترونـــيات في المجالات الطبية، هي "أوركس للتصوير المحوسب بالأشعة

---

(1) *(Yiftah Shapir).*

(2) *(Jaffee Center for Strategic Studies).*

(3) *(Aharon Yariv).*

(4) *المعلومات حول "مركز جافي للدراسات الاستراتيجية" من موقعه على الإنترنت.*

"[1] باعـــت القـــوات الأمريكية أجهزة تصوير بالأشعة قابلة للحمل، لاستخدامها أثناء المعارك. ومقارنة بأجهزة التصوير بالأشعة المستخدمة حالياً في الميدان، التـــي تحتاج إلى رجلين لحملها وتتطلب إعادة تعيير كلما حركت، فإن ما تنتجه الشـــركة يعتبر متطورا جدا، ويقول هيليل باخراخ[2] أن الأجهزة الجديدة خفيفة (40 كـــغ) ولا تتطلـــب أي مـــواد كيماوية للتظهير، وأحد مزاياها قدرتها على إرســـال صور الأشعة عبر الإنترنت. وقامت الشركة بتدريب *30* عنصراً من القوات الأمريكية على استخدام هذه الأجهزة. وقد سلمت *50* قطعة كدفعة أولى فـــي شهر آذار، و26 قطعة في نيسان وبلغت كلفة الصفقة *7.5* مليون دولار. ويضيف باخراخ: "عندما تكونون في العراق لستم

بحاجـــة إلى نقل كل هذه المواد الكيماوية"[3]. ونضيف أن ميزة إرسال الصور بالإنترنت تتمثل أيضاً بإمكانية إرسالها إلى أي مكان في العالم، بما فيه إسرائيل.

الصاروخ الذي قتل أبو علي مصطفى

تســـتطيع طائـــرات البـــي 52 إطلاق صواريخ جو أرض المعروفة باسم "بوبيي"[4]، وقامت بتطويرها رافائيل[5]، وهي شركة تملكها الحكومة الإسرائيلية جزئيا. ويقول ستينبيرغ: "يشتهر بوبيي بأنه يمكن إطلاقه ليخترق نافذة شقة. لقد اســـتخدم جـــيش الدفـــاع الإســـرائيلي هـــذه الأسلحة لاستهداف قادة الإرهاب

لبنيين خلال السنتين والنصف الماضية، وعلى الأرجح أن هذا الصاروخ يســـتخدم من قبل الجيش الأمريكي". و"الاستهداف" هنا يعني القتـــل، ولا نعرف مـــن اســـتهدف هذا الصاروخ أو النسخة المعدلة منه[6] في العراق، ولكن على الأغلـــب فـــإن هذا الصاروخ هو ذاته الذي اخترق نافذة مكتب في مدينة البيرة

---

(1) *(Orex Computerized Radiography Inc.)*.

(2) *(Hillel Bachrach)*، رئيس الشركة ومديرها التنفيذي.

(3) *(Israel21c)*، *2003/4/2*، عن *(Boston Herald)*، *2003/4/2*. أنظر موقع الشركة *(http://www.orex-cr.com/MilitaryContractAward)*، *2003/2/12*.

(4) *(Popeye)*.

(5) *(Rafael)*.

(6) تشـــير بعض المصادر أن الشركات الأمريكية والإسرائيلية طورت نـــسخة معدلة *(HaveLite)* من صـــاروخ بوبـــيي، أصـــغر وأخف، لاستخدامه في الطائرات المقاتلة إف *16*. أنظر *(Globes Online)*، *2003/5/13*.

الفلسطينية في السابع والعشرين من آب عام 2002 ليقتل أبو علي مصطفى، الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

ومن الأسلحة الإسرائيلية التي استخدمتها القوات الأمريكية في العراق، الطائرات بدون طيار "هانتر" و"بيونير"، واستخدمهما المارينز في استكشاف الدفاعات العراقية. وكلا الطائرتان من إنتاج "صناعات إسرائيل الجوية"[1]، وهي أكبر شركة خاصة في إسرائيل. ويقول شابير أن عربات برادلي الأمريكية المصفحة مزودة بحواسيب تنتجها شركة تابعة لـ "أنظمة إلبيت"[2]. والجنود الذين يستقلون هذه العربات قد يكونون محميين بدروع من إنتاج رافائيل، كما صرح لوفا دروري[3]، رئيس فرع التسويق العالمي في هذه الشركة. وقد أصبح استخدام الأسلحة الإسرائيلية في الحرب ضد العراق مؤكداً عندما بث التلفزيون العراقي، في الأسبوع الثالث من آذار 2003، مشاهد لصواريخ إسرائيلية أطلقت من طائرات أمريكية تحمل الأحرف "آي إم آي"، الذي تبين أنه يعني "صناعات إسرائيل العسكرية"[4]، كما أوضح شاؤول موفاز، وزير الدفاع الإسرائيلي، في اجتماع حكومي في الثالث والعشرين من آذار. وأضاف الوزير أن هذه الصواريخ استخدمت كـ "طعم" لتضليل المضادات الجوية العراقية[5].

احتلالان!

مع اقتراب القوات الأمريكية من بغداد في بداية نيسان 2003 كانت صحيفة يو إس إي توداي الأمريكية تتحدث عن دور سري هام لعبته إسرائيل في تدريب الجنود والمارينز الأمريكيين على حرب المدن. وذكرت الصحيفة أن الإسرائيليين بنوا لهذا الهدف مدينتين في وسط مكان بقي سرياً تتضمنان مساجد وألبسة معلقة أمام النوافذ وحمير تتجول في الأزقة. وصرح ماير بايل[6]،

(1) (*Israel Aircraft Industries*).

(2) (*Elbit Systems*).

(3) (*Lova Drori*).

(4) (*Israel Military Industries*).

(5) على الأغلب أن هذا الجهاز هو (*Tactical Air-Launched Decoy*)، الذي طورته الشركة للاستخدام في الطيران الحربي. أنظر (*Israel21c*)، *2003/4/6*.

(6) (*Meir Payil*).

مـؤرخ عسـكري وكولونيل احتياط في الجيش الإسرائيلي، بأن "التقنيات التي سيسـتخدمها الأمريكـيون تشبه إلى حد كبير أسلوبنا"[1]. الشبه بين الاحتلالين، الإسـرائيلي والأمريكي، واضح لأي "إسرائيلي أو فلسطيني"، كما عبر عن ذلك جـايمس بينيت من النيويورك تايمز. فالجنود الأمريكيون والبريطانيون يقيمون الحواجز، يدققون في الهويات، يفتشون الرجال، ويفحصون رزما بريئة للغاية، أي أنهم يفعلون ما يفعله الجنود الإسرائيليون كل يوم في الضفة الغربية وغزة. ويعـتمد الأمريكـيون، كالإسـرائيليين، على العملاء والسجناء للقيام بعمليات مداهمـة للبحث عن مطلوبين، أسلحة، ولجمع معلومات جديدة. ومثلهم يجرفون الأشجار والبيوت للحصول على مناطق مكشوفـة لإطلاق النار. وبدون تردد يطلقـون النار على الأشخاص الذين يدخلون في مناطق محظورة. وكذلك مثل الإسـرائيليين يدعـي الأمريكيون أنهم لا يملكون خياراً آخر لأن "العدو" يتعمد إطـلاق النار على المدنيين لتشويه صورتهم أمام المراقب الخارجي. وفي نهاية آذار نشرت معاريف صوراً عديدة تظهر أوجه الشبه، من بينها صورة لأطفال عراقيين يقفون وسط ركام منازلهم التي دمرها القصف، وصورة أخرى مشابهة لأطفال فلسطينيين في غزة[2].

"خبرة" جنين

كان العسكريون الأمريكيون قبل سقوط بغداد بفترة طويلة "يستمعون بانتباه إلـى خـبراء إسرائيليين، ويجمعون نصائح عن تجارب الجيش الإسرائيلي في الضـفة الغربـية ولبـنان". ففي أيلول عام 2002 كان الإسرائيلي مارتن فان كريفـيلد[3] يعـرض علـى ضـباط من المارينز في "معسكر ليجون" (نورث كارولايـنا) مـا حصل في مخيم جنين في نيسان 2002. يقول فان كريفيلد أن الأمريكيـن كانوا مهتمين "بالوضع" لدى مواجهة حرب عصابات، كما حصل فـي جنين. وقال أنه ركز على ثلاثة مجالات: استخدام الجرافات والمروحيات، والأخـلاق. في المخيم منعت الأزقة الضيقة في البداية الدبابات الإسرائيلية من الـتقدم والعمـل "ضـد حوالي 150 فلسطينياً مسلحاً"، لذلك، تقدم ببطء المشاة

---

(1) *(Agence France-Presse)*، *2003/4/5*.

(2) *(New York Times)*، *2003/4/1*

(3) *(Martin van Creveld)*، أستاذ التاريخ العسكري والاستراتيجية في الجامعة العبرية (القدس).

المدعومـون بالمروحـيات "وتنقلوا من بيت إلى بيت وقاموا بتفجيرات لإحداث ثقـوب فـي جدران البيوت، وتحديد نطاق العمليات في الشوارع الخطرة، التي زرع المسلحون فيها ألغاماً، وأسطح المنازل التي وضعوا عليها قناصة". وأخبر الحضـور أن جرافات الـ "دي ناين" الضخمة شقت معابر عريضة في الأزقة مكنت الدبابات من العبور. وقال أن الجيش الأمريكي اشترى تسع جرافات من إسـرائيل. وحـذر الأسـتاذ الحضور من "استخدام" المروحيات، وأن إسرائيل اسـتطاعت استخدامها في جنين لأن الفلسطينيين لم يكونوا مسلحين بشكل جيد: "لا يمكن أن تفعلوا ذلك إذا كنتم بمواجهة إطلاق نار من الأرض، فالمروحيات معرضـة للخطـر بشكل كبير". وركزّ فان كريفيلد بشكل خاص على "المشاكل الأخلاقـية" التي من المؤكد أنها ستظهر نتيجة حرب تشن بين "غير مسلحين"، ويقصـد مدنييـن. ونـبه إلـى أهمـية تجنب "حملة طويلة يقودها القوي ضد الضـعيف". وحسـب مصـادر إسـرائيلية طلـب المسـؤولون العسكريـون الأمريكيـون تقارير تصـف "تقنيات الجيش

الإسـرائيلي" المسـتخدمة فـي مناطق فلسطينية مأهولة، وحصلوا عليها، بالإضافة إلى شرائط فيديو تصور "عمليات التغلغل" الإسرائيلية[1]. فان كريفيلد، فـي وقـت لاحـق، حذر من أنه لا يمكن للولايات المتحدة أن تتوقع الخروج منتصـرة مـن العـراق، وقارنهـا بإسـرائيل، التـي لم تنجح بالقضاء على "المجموعـات المتشـددة والمفجرين الانتحاريين". وقال: "لا أدري بحق السماء كيف يمكنهم الانتصار. سينتهي الأمر كما حصل في فيتنام. سيفرون من البلاد معلقين بالحبال المتدلية من المروحيات"، مشيراً إلى مغادرة الأمريكيين لسايغون عـام 1975[2]. وفـي مجلة يصدرها الجيش الأمريكي نشرت رسالة في تموز 2003 لقـائد اللـواء مايكل فاين[3] (فورت مونرو، فيرجينيا)، يقول فيها أنهم كانوا مؤخراً في إسرائيل للاستفادة من دروس "العمليات المناهضة للإرهاب في

---

(1) (Israel21c)، 2003/3/30؛ (Associated Press)، 2003/3/31؛ أنظـر أيضـاً (New York Times)، 2003/4/1.

(2) (Associated Press)، 2003/12/13. خروج الأمريكيين من سايغون حصل عام 1975؛ أنظر جون بريكن، ملعون هو صانع السلام. بيروت: دار النهار للنشر، 2002، ص 69.

(3) (Michael Vane) في "قـيادة التدريـب والتعلـيمات" (Training and Doctrine Command).

المدن" التي قام بها الإسرائيليون[1]. وذكر أيضاً أن "وفداً كبيراً" من "قيادة التدريب والتعليمات" زار إسرائيل في بداية شهر كانون الأول، ولكن الناطق المدني للقيادة المذكورة اعتبر هذه الزيارة "روتينية" بدون إيضاح طبيعتها[2].

وحسب الكولونيل الإسرائيلي يوني فايغل[3] فإنه بالإمكان الاستفادة من "الخبرة" الإسرائيلية، ولكنه يعتقد أن "النظام العراقي استلهم أيضاً بعض النتائج من الضفة الغربية وغزة". فايغل وصف "العمليات الانتحارية وحرب العصابات" بأنها "وسيلة ممتازة لبناء حاجز" بين الجنود الأمريكيين والبريطانيين من جهة، والمدنيين الذين يحاول الجنود الأمريكيون كسب ثقتهم من جهة أخرى[4]. مسؤول عسكري أمريكي، فضل عدم ذكر اسمه، أكد أن البنتاغون "بحث عن الخبرة الإسرائيلية في معارك المدن". وقال كولونيل المشاة المتقاعد راندي غانغل[5] أن ضباطاً إسرائيليين كانوا بين عسكريين من عدة دول جاؤوا إلى الولايات المتحدة "لتبادل الآراء حول معارك المدن وقضايا تكتيكية أخرى". وأخبر المسؤول الأمريكي الأسوشييتد بريس: "لقد قدرنا خبرة الإسرائيليين في الانتفاضة"[6]. وذكرت المصادر بناء على مصدر أمني إسرائيلي أن ضباطاً أمريكيين زاروا "نموذجاً لقرية عربية" تستخدم في التدريبات الإسرائيلية[7].

"برنامج تعليمي"

ثمة تعاون من نوع آخر بين القوات الأمريكية في العراق والجيش الإسرائيلي تمثل باطلاع مسؤولين عسكريين أمريكيين على برنامج "تعليمي"

---

(1) (*The New York Times*)، *2003/12/7*؛ أنظر أيضاً (*The Guardian*)، */12/9 2003*.

(2) (*Associated Press*)، النشر، *2003/12/13*.

(3) (*Yoni Fighel*). خدم في "الحرب اللبنانية" كضابط مخابرات، وفيما بعد كحاكم عسكري في الضفة الغربية وأصبح "باحثاً" في "معهد السياسة العالمية لمناهضة الإرهاب" (*International Policy Institute for Counterterrorism*)، التابع لـ "مركز الاختصاصات المتداخلة" (*Interdisciplinary Center*)، هرتسليا.

(4) (*New York Times*)، *2003/4/1*.

(5) (*Randy Gangle*). يعمل غانغل في "مختبر معارك الحروب التابع لقوات المارينز" (*Marine Corps Warfighting Lab*) في كوانتيكو (فرجينيا).

(6) (*Israel21c*)، *2003/3/30*.

(7) (*Associated Press*)، *2003/12/13*.

حاسوبي[1] يجري استخدامه في الأراضي الفلسطينية المحتلة[2]. يعتمد البرنامج علـى مجموعـة مـن المـبادئ تشمل "جوانب أخلاقية وإنسانية، مثلاً، كيفية التصرف عند الحواجز، وعند القيام بالاعتقالات والتفتيش، وفي حالات الشغب، وهـو مـا يواجهه الجنود يومياً في الضفة الغربية وقطاع غزة". وفي حين يقر المقـدم عـاموس غـيورا[3] بـأن "القـوات الإسرائيلية أحياناً تؤذي المدنيين الفلسطينيين"، فإنه يرى أن استيعاب مبادئ البرنامج من قبل الجنود "سيرفع من مسـتوى العملـيات لدى القادة العسكريين لأنهم سيعرفون أن رد فعل جنودهم سيكون حسبما هو مطلوب". ويضيف "إن الضغط على جندي في التاسعة عشرة مـن العمـر بشـأن القـرار بما عليه عمله مخيف جداً". وقد تعرض الجيش الإسرائيلي للنقد بسبب معاملته السيئة للمدنيين الفلسطينيين، وبشكل خاص على الحواجـز، ولكـن "رابطة الحقوق المدنية"[4] الإسرائيلية تقول أن ذلك لا يشكل القاعدة. و"المبادئ المفيدة" التي على الجنود استيعابها هي:

* يستخدم النشاط العسكري ضد أهداف عسكرية فقط.
* ينبغي أن يكون استخدام القوة متناسباً.
* يستطيع الجنود استخدام أسلحة صادرة عن الجيش الإسرائيلي فقط.
* لا يمكن مهاجمة أي شخص يستسلم.
* يستطيع المدربون بشكل جيد فقط استجواب السجناء.
* ينبغـي أن يـبدي الجـنود الاحـترام لسكان الفلسطينيين ولمن يجري اعتقاله.
* ينبغـي أن يحصـل الجنود على عناية طبية مناسبة لهم وللعدو، عندما تسمح الظروف بذلك.

---

(1) قام بتطوير البرنامج "مكتب ممثل النيابة العامة" (Judge Advocate General's Office) بناء على طلب الجيش الإسرائيلي، بالتعاون مع "دائرة التربية والتكنولوجيا"، التابعة لـ "قيادة القوات البرية".

(2) (Israel21c)، 2003/9/21، عن (The Jerusalem Post)؛ (Associated Press)؛ الشرق، 2003/10/25؛ (Israel21c)، 2003/10/26.

(3) (Amos Giora)، "مدرسة القانون العسكري" (School of Military Law)، التابعة للجيش الإسرائيلي.

(4) (Association of Civil Rights).

* النهب غير مشروع أبداً.
* ينبغي أن يبدي الجنود الاحترام اللازم للمواقع الدينية والحضارية والمواد الحضارية.
* على الجنود حماية عناصر منظمات الإغاثة الدولية، بما فيه ممتلكاتهم وعرباتهم.
* ينبغي على الجنود أن يبلغوا عن أي انتهاك قد يحصل لهذه المبادئ.

وزع البرنامج الحاسوبي فعلاً على قادة الجيش الميدانيين وحرس الحدود في شهر تشرين الأول عام *2003* ليطلع عليه جنود الوحدات في مساقات التدريب. ويستخدم البرنامج مقاطع من أفلام سينمائية، حالات متخيلة، وسيناريوهات ليرى الجنود "وسائل التصرف، الصحيحة والخاطئة، في النطاق الحساس للمعارك المحدودة". ويقول غيورا: "البرنامج معد لما يحصل في المناطق [الضفة الغربية وغزة]، ولكن يمكن تطبيقه في الحروب والمعارك" الأخرى. ويضيف: "لقد عرضنا هذا البرنامج على الأمريكيين وتكلمنا عنه، وبرز بوضوح موضوع ترجمته. هذا ما أخبرونا به من وجهة نظرهم، فمن الواضح أن بعض أجزائه ذات أهمية بالنسبة لما يواجهونه في العراق". فالاحتلال هو الاحتلال: "إذا نظرتم إلى تجاربنا وتجاربهم، فبإمكانكم رؤية التشابه بينهما بوضوح". وقد أكدت السفارة الأمريكية في تل أبيب أن مسؤولين عسكريين أمريكيين اطلعوا على البرنامج ووافقوا على أنه سيكون مفيداً للجنود. ولكنهم أحجموا عن إبداء أي تعليق إضافي.

"ضغطة زر"

ويمكن استخدام البرنامج في صفوف التدريب وفي حواسيب محمولة. ومدة البرنامج *30* إلى *90* دقيقة، ولكن يمكن الحصول على تفاصيل أي موضوع فرعي بمجرد "ضغطة زر"، وتتضمن "الحالات المتخيلة" أوضاعاً صعبة، مثلاً، كيف يتصرف الجنود مع "سيارات إسعاف استخدمها الإرهابيون الفلسطينيون أحياناً لنقل مسلحين وانتحاريين". وبضغطة زر نرى "سيارة إسعاف تسير عبر الشاشة، وفجأة يظهر مسلح ويبدأ بإطلاق النار من داخلها"، وهكذا يتعلم الجنود أن وضع سيارة الإسعاف يمكن أن يتغير. وهناك جنديان

يصـــلان إلـــى حاجز من الحجارة ولكن "يواجه الاثنان مشكلة. هل يستطيعان الطلـــب مـــن الفلسطينيين القيام بإزاحة الأحجار؟ أم عليهما الانتظار حتى يأتي خبـــير ألغـــام؟ هـــل يمكـــن أن يزيحوا الأحجار بأنفسهم؟" تجدون الجواب في البرنامج. كما أنه يمكن الحصول على أمثلة من أفلام سينمائية مثل "نهاية العالم الآن"[1]، "المريض الإنجليزي"[2] و"بلاتون"[3]، والدمـــج بين "الحالات المتخيلة" ومقـــاطع من الأفلام يضفي على البرنامج "طابعاً وديا"، على حد تعبير غيوراً، خاصـــة إذا ما قورن بمحاضرة طويلة تبعث على الضجر حول القانون الدولي. وقـــد بوشر بترجمة البرنامج إلى الإنجليزية حتى يستطيع الأمريكيون الاستفادة منه.

يفهمون القوة فقط

تتعدى استفادة القوات الأمريكية من "الخبرة" الإسرائيلية التدابير العسكرية، لتشـــمل ممارسات تخصصت بها إسرائيل في التعامل مع المدنيين الفلسطينيين منذ احتلال فلسطين عام *1948*. ديكستر فيلكينز مراسل النيويورك تايمز[4] في العراق يشير إلى أن القوات الأمريكية "درست بدقة التجربة الإسرائيلية" وقيَّمت تقاريـــر لـــــ "خبراء عسكريين إسرائيليين". الممارسات، التي ذكرها فيلكينز، تشمل "تسييج قرى بأكملها بأسلاك شائكة، هدم البيوت التي يعتقد أن المهاجمين قـــد اســـتخدموها، اعـــتقال أقـــارب مقاومين مشتبه بهم". ففي قرية أبو حشمة العراقـــية، التـــي ســـيجت بالأسلاك الشائكة، أجبر السكان على حمل بطاقات تعـــريف مطبوعة بالإنجليزية. وأشار أحد العراقيين إلى هذه التدابير قائلاً: "لا أرى أي فرق بيننا وبين الفلسطينيين. لم نتوقع شيئاً كهذا بعد سقوطِ نظامِ صدام حســـين". ومـــع تصـــاعد المقاومة العراقية أخذت القوات الأمريكيـــة تستخدم "اســـتراتيجية الشـــدة"[5]. يقـــول الكابتن تود براون[6]: "عليكم أن تفهموا العقلية العربـــية. الشيء الوحيد الذي يفهمونه هو القوة ... القوة، الكرامة، وحفظ ماء

---

(1) .(Apocalypse now)

(2) .(The English Patient)

(3) .(Platoon)

(4) .2003/12/7 ،(The New York Times) ،(Dexter Felkins)

(5) .(get-tough strategy)

(6) .(Todd Brown)

الوجه". ويقول المقدم ناتان ساسامان[1]، الذي أمر بتسييج القرية: "بجرعات كبيرة من الخوف والعنف، والكثير من المال للمشاريع، أعتقد أنه يمكننا إقناع هؤلاء الناس بأننا هنا لمساعدتهم". وكانت مقاتلة أمريكية قد ألقت قنبلة تزن نصف طن على بيت في القرية يفترض أن قذيفة صاروخية أطلقت منه. وقد لاحظ التشابه بين الممارسات الأمريكية والإسرائيلية جيم سوليش من الواشنطن بوست، ولكنه لا يعترض من حيث المبدأ على النهج الذي تستخدمه إسرائيل مع الفلسطينيين، فهو يقول: "إنني يهودي ومع أنني أؤيد إسرائيل فإنني لا أؤيد سياستها 'العين بالعين'. وأنا لا أقول هذا كإنسان مثالي بل أقوله كإنسان واقعي ... جيشنا اختار نموذجاً أثبت فشله الواضح في إسرائيل بكل المعايير، فكل تفجير انتحاري يؤدي إلى انتقام إسرائيلي يؤدي بدوره إلى تفجير انتحاري آخر، والأسوأ من ذلك أنه يخلق ألف انتحاري محتمل"[2].

"أولئك الملطخة أيديهم بالدماء"

يضاف إلى هذه الممارسات ما أعلن عنه بول بريمر، الحاكم الفعلي للعراق المحتل، في السابع من كانون الثاني عام *2004* من أن قرار إطلاق سراح بعض الأسرى لا يشمل "أولئك الملطخة أيديهم بالدماء"[3]. وعندما يصدر تصريح من هذا النوع، فلن يكون هناك فلسطيني أو عربي إلا ويتذكر ما تكرره المصادر الإسرائيلية إلى حد الضجر وبالعبارات نفسها حول الأسرى الفلسطينيين. إسرائيل هي النموذج المثالي لما يمكن للولايات المتحدة أن تقتدي به عندما تقوم بعمليات تخريبية. فالحاكم بريمر عندما سئل عام *1989* فيما إذا كان يمكن للولايات المتحدة أن تفكر باختطاف أفراد مستهدفين كما اختطفت إسرائيل الشيخ عبد الكريم عبيد من لبنان، أجاب: "بالتأكيد". ويوضح بريمر، الذي يعتبر أحد الخبراء العالميين الرواد في "إدارة الأزمات، الإرهاب، والأمن القومي"[4]: "هناك أعمال عسكرية مناسبة، ولكن المشكلة تعتمد بشكل حيوي

---

(1) *(Nathan Sassaman)*.

(2) *(Jim Sollisch)، (Washington Post)، 2003/12/14*.

(3) أنظر الموقع الرسمي لـ "سلطة الائتلاف المؤقتة" *(http://cpa-iraq.org/transcripts/Jan7Bremer_Conditional.htm)*.

(4) هكذا شخصه موقع "سلطة الائتلاف المؤقتة"؛ أنظر سيرة حياته *(http://cpa-iraq.org/bios/)*.

على الاستخبارات الجيدة والتنفيذ السريع"[1].

"دروس"

مـــع نهاية عام 2003 كشفت النيويوركر[2] عن تفاصيل خطة لإنشاء قوة خاصـــة[3]، وذلك لمجابهة المقاومة العراقية المتصاعدة بأساليب جديدة، وستبدأ هـــذه الفرقة العمل في كانون الثاني 2004. وفي هذا السياق ذكرت النيويوركر أن إحـــدى الخطوات التي اتخذها البنتاغون هي طلب المساعدة الفعلية والسرية من إسرائيل. وحسب مصادر أمريكية وإسرائيلية عسكرية واستخباراتية، كانت فـــرق كومـــاندو ومخابـــرات إســـرائيلية تعمـــل بشكل وثيق مع نظرائها من الأمريكيين فـــي قـــاعدة تدريـــب القـــوات الخاصة في "فورت براغ" (نورث كارولايـــنا) وفي إسرائيل[4]. ويفترض أن يعمل عناصر كوماندو كمستشارين للقـــوة الخاصـــة عـــندما تبدأ عملها على مستوى واسع. وتشير الغارديان إلى مصـــادر أمريكـــية تؤكد أن هؤلاء المستشارين قد زاروا العراق فعلاً. القضية الأساســـية إذن هـــي الاســـتخبارات، لهذا يحاول الأمريكيون حل مشكلتهم في الميدان بـــ "استقطاب فرق من الشرائح العليا لجهاز المخابرات العراقية السابق وتدريـــبهم لاخـــتـــراق الـــتمرد". واستشـــهدت النيويوركر بأمريكي كان يقدم المشورة للإدارة المدنية: "الوسيلة الوحيدة لتحقيق النجاح هو العمل بطريقة غير تقلـــيدية. ينبغي علينا أن نلعب لعبتهم، حرب العصابات ضد حرب العصابات، الإرهاب ضد الإرهاب. علينـــا أن نرعب العراقيين إلى حد الاستسلام". ويتمثل التعاون الأمريكي الإسرائيلي المطلوب بتدريب الأمريكيين على "تفكيك التمرد". ويـــتلخص "الـــدرس الأساســـي"، حسب ضابط سابق في المخابرات العسكرية

---

(1) حســـب مقابلة أجريت مع موشي أراد (*Moshe Arad*) السفير الإسرائيلي في الولايات المتحدة وعضوي مجلس الشيوخ لوغار (*Lugar*) ودود (*Dodd*)، و"خبير محاربة الإرهاب"، نويل كوخ (*Noel Koch*). نشـــرت المقابلـــة في موقع "السفارات الإسرائيلية" بتاريخ 1989/7/21: (*http://www.israelemb.org/bios/Speeches/arad/890731.html*).

(2) (*The New Yorker*)، 2003/12/8؛ أنظر أيضاً (*The Guardian*)، 2003/12/9.

(3) (*Task Force 121*).

(4) المقدم هانس بوش (*Hans Bush*) من "قيادة العمليات الخاصة" (*Special Operations Command*) نفـــى أن تكـــون هناك في ذلك الوقت، أي بداية شهر كانون الأول، "أي قوات إسرائيلية في فورت براغ"، أنظر (*Associated Press*)، 2003/12/13.

الإسـرائيلية، فـي كيفـية "القـيام بالقـتل المستهدف". والنموذج هنا هو فرق المسـتعربين الذيـن تسـتخدمهم إسـرائيل للقيام بعمليات اغتيال في الأراضي الفلسطينية المحتلة. ويقول الضابط أن على وحدات الفرق الخاصة أن تقيم شبكة من العملاء، كالتي نظمتها إسرائيل ومكنتها "من اختراق المنظمات التي تسيطر علـيها مجموعـات كحماس". ويشير الضابط إلى أن إسرائيل قتلت أو اعتقلت الكثيريـن من "المخططين الميدانيين على مستوى الوسط وأن حماس هي الآن، وإلـى حـد بعـيد، خلايـا معزولـة تقوم بهجمات إرهابية ضد إسرائيل على عاتقهـا". وأوضـح الضـابط أنه "لا توجد سيطرة مركزيـة على الكثير من المفجرين الانتحاريين. ونحن نحاول إخبار الأمريكيين أن الغرض ليس القضاء علـى المركـز، وليست الفكرة أن يصبح هناك [في العراق] أشخاص يعملون بشـكل مسـتقل[1]". وتستشهد الغارديان بضابط مخابرات أمريكي سابق حول الخطط الأمريكية الجديدة، الذي يقول: "هذا، بشكل أساسي، برنامج اغتيال".

■■■

(1) (freelancers).

إسرائيليون في العراق

وعراقيون في إسرائيل

"العراقيون لم يلفظوا من قبل كلمة 'إسرائيل' على الإطلاق وأشاروا إليها دائماً بالعدو الصهيوني. من كان يتصور أن بغداد ستحوي في يوم من الأيام مركزاً يخدم المخططات والمؤامرات الإسرائيلية؟؟!!".

الدكتورة سعاد بهاء الدين الموصلي، جامعة الرافدين

أصبح العراق بعد سقوط بغداد مفتوحاً بشكل كامل أمام أي اختراق إسرائيلي أو يهودي، فما تسرب من أخبار يشير إلى وصول مسؤول إسرائيلي بعد أيام من سقوط بغداد، بذريعة تفقد أوضاع الجالية اليهودية هناك. وتمكنت الوكالة اليهودية، بمساعدة منظمة يهودية أمريكية، من نقل ستة من اليهود العراقيين إلى إسرائيل، وصهيونياً، جرى استغلال هذا الموضوع بشكل منظم. وفيما بعد نظمت الوكالة نفسها عمليتين إضافيتين لنقل يهود عراقيين. وفي تموز افتتحت ميمري مكتبا لها في بغداد، وهي مؤسسة لا يمكن فهمها إلا كمركز للاستخبارات الإسرائيلية. وما يؤكد هذا الاعتقاد خلفية المسؤولين عن هذا المؤسسة ونشاطاتها، التي تركز ظاهرياً على رصد وسائل الإعلام العراقية الجديدة. كما تم تسجيل عدد من النشاطات التي يقوم بها الموساد، بالأخص في شمال العراق. وفي آذار بدأ الحديث عن إقامة علاقات مع إسرائيل، وبالأخص من قبل أعضاء في "المؤتمر الوطني العراقي" وفيما بعد أطراف كردية. وتمكنت منظمة مسيحية صهيونية من تنظيم عملية نقل لطفلة عراقية لإجراء عملية جراحية لها في تل أبيب، وتفاصيل هذه العملية تكشف عن العلاقات بين إسرائيل والمنظمات المسيحية الصهيونية من جهة، ومدى اختراق الصهيونية لشمال العراق من جهة أخرى. وتمكن من دخول العراق العديد من الصحافيين الإسرائيليين، أو اليهود الأمريكيين، ورجال أعمال يهود من أصل عراقي مرتبطين بمنظمات يهودية عالمية ولهم نشاط سياسي. وأخيراً قامت "سلطة الائتلاف المؤقتة" بتعيين يهودي أمريكي، ذي تدريب ديني منذ الصغر، ليشرف على صياغة دستور عراقي جديد.

"بنى تحتية مدمرة"

لم تخف بعض الأصوات في إسرائيل رغبتها بالدخول إلى العراق مباشرة بعد سقوط بغداد، فبعد أقل من أسبوعين من سقوط بغداد ذكر أن شامويل بن

نافتالـــي[1] أخـــذ يـــدرب أدلاء سياحيين إسرائيليين لتنظيم رحلات سياحية إلى العراق في شهر تشرين الأول. وبدأ أرييه اسحاقي[2]، "المؤرخ العسكري" المقيم فـــي إحـــدى المستوطنات في قطاع غزة، بتحضير قوائم للراغبين بالسفر إلى العراق[3]. وبين *26*-28 آب *2003* بادر "المؤتمر اليهودي الأمريكي" إلى عقد مؤتمـــر فـــي القدس تحت العنوان المريب "التعاون من أجل استقلال الطاقة في ديموقراطـــيات القـــرن الحادي والعشرين"[4] بمشاركة وزارة الطاقة الأمريكية ووزارة البـــنى التحتـــية الإسرائيلية. ومن المواضيع التي نوقشت في المؤتمر "الاعتماد على الأوبيك، بما في ذلك علاقة هذه المنظمة بالإرهاب". وكان هناك ورقـــة لعـــوزي لانـــداو[5] بعـــنوان: "الإرهـــاب وتـــزويد الطاقة". ونبه دافيد هابـــرمان[6]، رئيس المؤتمر، إلى أن العراق وأفغانستان "يتشاركان في فترة ما بعـــد الحـــرب ببـــنى تحتية مدمرة ويتطلعان إلى وسائل محسنة لإنتاج الطاقة واستغلالها. ففي الخمس سنوات القادمة سيستخدم كلا البلدين أشكالاً مختلفة من تطويـــر الطاقـــة تكـــون نماذج عالمية". والهدف من المؤتمر هو التخفيف من اعتماد "الولايات المتحدة، إسرائيل، وحلفائهما الديموقراطيين على مصادر طاقة مســـتوردة"، أي البـــترول ومشـــتقاته، ولكن أيضاً تسويق وسائل جديدة لإنتاج الطاقة، كالهيدروجين، في العراق وأفغانستان[7].

"العام القادم في القدس"

قـــبل اعلان الرئيس بوش انتهاء العمليات العسكرية، ومباشرة بعد سقوط بغداد في التاسع من نيسان وصل مسؤول إسرائيلي إلى العاصمة العراقية، كما كشـــف عن ذلك مراسل الأسوشييتد بريس[8]: "كان مبعوث إسرائيلي في طريقه

---

(1) *(Shamuel bin Naftali)*.

(2) *(Arieh Ishaqi)*.

(3) *(Arabic News.com)*، *2003/4/22*، عن "معاريف" و"يديعوت أحرونوت"

(4) *(Cooperation for Energy Independence of Democracies in the 21st Century)*.

(5) *(Uzi Landau)*، وزير "التعاون الاستراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل".

(6) *(David Haberman)*، خبير الطاقة في "المؤتمر اليهودي الأمريكي".

(7) المعلومات من موقع المؤتمر *(http://www.energycooperation.org/)*.

(8) *(The Jewish Agency for Israel – In the News)*، *2003/7/29*.

إلى بغداد لتفقد أوضاع اليهود بعد بضعة أيام من الإطاحة بصدام حسين". وعلى الأغلب أن هذا المبعوث، الذي لم يكشف عن أسمه، كان يقوم بالتنسيق مع حكومته من بغداد. فأثناء عيد الفصح الذي ابتدأ في السادس عشر من الشهر أرسل أرييل شارون رسالة إلى اليهود العراقيين قائلاً فيها: "آمل أن تتمكنوا من تناول وجبة العيد (السيدر) العام القادم في القدس". وقد نقل هذه الرسالة إلى بغداد خمسة صحافيين إيطاليين. وحسب الصحيفة، رفضت الجماعة اليهودية هذا العرض قائلة أن أفرادها متقدمين في العمر. ولكن أصوات أخرى عبرت عن نفسها بشكل أوضح كخالدة صالح، الأصغر سناً من بين المجموعة، عندما قالت: "أنا عراقية قبل أن أكون يهودية"، وأضافت أنها إذا أرادت أن تترك العراق فستذهب إلى بزيطانيا أو هولندة، وليس إسرائيل، التي سمعت أنها سيئة[1]. توفيق سفر، التسعيني، شكر رئيس الوزراء، ولكنه قال: "ستبقى القدس حلماً"[2]. واستغلت وكالات الأنباء حلول عيد الفصح اليهودي مع بداية احتلال العراق لتوحي بأوضاع سيئة يعيشها اليهود العزاقيون[3]. زيارة المسؤول الإسرائيلي كشف عنها بعد أن تمكنت الوكالة من نقل ستة من اليهود العراقيين إلى إسرائيل في الخامس والعشرين من تموز *2003*. ويذكر موقع "أروتس شيفا" أن مسؤولين من "الوكالة اليهودية" أمضوا أسابيع في العراق يفتشون عن اليهود ووجدوا هناك ثلاثة وأربعين منهم[4].

جيف كاي يصل إلى بغداد

بالتنسيق مع رئيس الوزراء الإسرائيلي وهيئات في "إسرائيل والخارج"، كـ "جمعية معونة المهاجرين العبريين"، شكلت الوكالة اليهودية فريقاً من ثلاثة

---

[1] أنظر (World War 3 Report)، 2003/5/12. أنظر أيضاً تقريراً سابقاً لوكالة الصحافة الفرنسية بتاريخ 2003/4/19 قيمه خليل السواحري، "الدستور" الأردنية، 2003/4/21، الذي يشير إلى أن خالدة صالح قالت "لا أريد الرحيل، أريد الموت في العراق في بلدي". "خالدة صالح" قد تكون هي نفسها "نضال صالحي"، التي أجرت قناة الجزيرة مقابلة معها (أنظر ص 56). كذلك المسن يعقوب يوسف قد يكون هو يعقوب في تحقيق قناة الجزيرة. حول تصريحات يعقوب يوسف، خال أو عم خالدة، أنظر أيضاً ص 126.

[2] "معاريف"، 2003/4/16 عن (Dispatch Online)، 2003/4/17.

[3] (Associated Press)، 2003/4/17

[4] (Arutz Sheva)، 2003/8/21.

أشخاص ترأسه جيف كاي[1]، وسافر الفريق، الذي ضم مبعوثاً من الجمعية المذكورة[2]، إلى بغداد في الحادي عشر من حزيران[3]، بغرض التأكد من الأمور التالية:

- الوضع الأمني الحساس للجماعة اليهودية في بغداد وتعزيز العلاقة مع قوات الأمن الأمريكية.
- التعرف على الأوضاع المادية للجماعة اليهودية.
- تشجيع الجماعة معنوياً بإعطائهم مواد دينية من إسرائيل.
- التحقق من عدد اليهود العراقيين، وفيما إذا كان بينهم يهود زائفون[4].
- معالجة موضوع محفوظات الجماعة اليهودية، التي عثر عليها في مكاتب المخابرات العراقية، بغرض جلبها إلى إسرائيل.
- توثيق مكتوب ومصور لأعضاء الجماعة اليهودية وممتلكاتها.

ووجد كاي *34* يهودياً عراقياً، معظمهم مسنون يقيمون في بغداد والبصرة. ستة منهم فقط أبدوا استعدادهم للهجرة إلى إسرائيل، أما البقية فكانوا "إما مترددين في ترك الوطن الوحيد الذي عرفوه أو أنهم كانوا بحاجة للمزيد من الوقت لأخذ القرار"[5]. وربما لمساعدتهم بأخذ هذا القرار قام كاي بتزويدهم بـ "مواد دينية لم تتوفر في العراق منذ الخمسينات". وقد أحيطت التفاصيل الأخرى للرحلة بسرية تامة لأن "الأساليب نفسها قد تستخدم في المستقبل" كما أوضح مسؤولون. سالاي ميريدور[6]، رئيس الوكالة اليهودية، قال: "أفضل أن لا أدخل في التفاصيل لأسباب واضحة". وتمكن جيف كاي أثناء زيارته لبغداد في حزيران من تحقيق الاتصال المنشود بين الجماعة اليهودية والقوات

---

(1) (*Jeff Kaye*)، مدير مكتب الموارد المالية التابع للوكالة اليهودية (*Israel Education Fund and Financial Resource Development*).

(2) على الأغلب راتشيل زيلون.

(3) التاريخ حسب (*The Jewish Agency for Israel – In the News*)، *2003/7/29*.

(4) (*crypto-Jews*).

(5) أنظر أيضاً (*USA Today*)، *2003/7/27*: "على الأقل ثلاث عائلات قررت البقاء، في حين أن آخرين مترددون"

(6) (*Salai Meridor*).

الأمريكـــية فـــي بغداد. وحصل أيضاً على معلومات إضافية حول "محفوظات الجماعـــة اليهودية"، التي "صادرتها" السلطات العراقية "في السبعينات"[1]. وقدم كـــاي نتائج رحلته في حزيران إلى مجلس مدراء الوكالة اليهودية وإلى رئيس الوزراء، أرييل شارون[2].

"صندوق ضحايا الإرهاب"

جـــيف كـــاي[3] كان عام *2002* منهمكاً في جمع التبرعات من "اتحادات، متبرعيـــن أفراد، ومؤسسات من جميع أنحاء العالم" لتصب في "صندوق ضحايا الإرهاب"، الذي يقع تحت مسؤوليته ويتبع الوكالة اليهودية. وكان هذا الصندوق قد وزع في الفترة الواقعة بين نيسان وحزيران *2002* ما يعادل مليون ونصف ملـــيون دولار علـــى "أفـــراد تأثـــرت حياتهم بموجة الإرهاب المتواصلة التي تواجههـــا إسرائيل على مدى الــ 21 شهراً السابقة". فهذا الصندوق "سدد إيجار بيـــت إلا نيلـــيموف[4]، التي فقدت ابنتيها في عملية تفجير ديسكو الدولفيناريوم، وتكاليف المعيشة لأرملة وأطفالها الستة قتل زوجها على يد إرهابي وتعاني من سرطان متقدم. وأمنت أيضاً علاجاً نفسياً لطفلين قتل والداهما برصاص قناص فلســـطيني ويتولى تربيتهما عمتهما وعمهما، وكان الطفلان كثيراً ما يستيقظان لـــيلاً ، همـــا يبكيان". وبعد العدوان على العراق في آذار *2003* استدعي كاي

---

(1) انظر أدناه ص ص 136-138.

(2) المعلومات حول نقل العراقيين اليهود الستة من موقع "الوكالة اليهودية لإسرائيل" (The Jewish Agency for Israel)، "بيانات صحفية"، 2003/6/21؛ (Haaretz)، 2003/6/22؛ (The Jewish Agency for Israel – In the News)، 2003/7/29؛ وتقريــر لــ "كيرين هايسود" (Keren Hayesod – Solidarity Update)، رقم 231، 2003/8/4.

(3) المعلومـــات حول جيف كاي من (Jewish Telegraphic Agency)، نيويورك، 2003/3/28 وموقـــع (Partnership 2000)، التابع للوكالة اليهودية، دائرة إسرائيل، الذي يدرج خـــبراً بعـــنوان: "حملـــة تورونـــتو لإسرائيل تحطم الأرقام القياسية"، بتاريخ تموز 2002. أنظر (http://www.partner.org.il/eilat/news-0207-campaign.html)، ومن (Chicago Jewish Community Online)، التابع لــ (Jewish United Fund)، أنظر (http://www.juf.org/news_public_affairs/article.asp?key=3255).

(4) (Ella Nelimov).

كجـــندي احتـــياط ليشــــارك في وحدة تابعة لـــ "الجبهة الداخلية" للجيش لاتخاذ التدابـــير اللازمة في حالة التعرض لهجوم بأسلحة كيماوية. انضم إلى وحدة لم يعلن عن مكانها في "المنطقة الوسطى"، وتضم حوالي 500 فرد، وكان مسؤولا عـــن البـــيانات الموجهة إلى الجمهور العام. هذه التدابير الضخمة ضد الهجوم بالأســـلحة الكـــيماوية، بتكالـــيفها العالية التي لا يستفيد منها غير مصانع أقنعة الغاز، يبدو الهدف منها رفع الروح المعنوية لا غير وإنقاذ الشعور بالانتماء إلى كـــيان علـــى وشك الانهيار ... بسبب الانتفاضة الفلسطينية، ولكن جيف كاي، ورغـــم كـــل شـــيء لم يفقد انتماءه لإسرائيل ويقول مبرراً ذلك: "ارتداء البزة العســـكرية الكاكـــية اللون هو سبب وجودي في هذا البلد منذ البداية، هذا سبب حضـــوري إلى هنا". والبداية كانت عام 1981، عندما حضر إلى فلسطين وهو في الواحدة وعشرين من عمره.

يهود في كل مكان

جـــيف كاي، الذي ولد في إسكوتلندة، ليس شخصاً عادياً، فمنذ الصغر كان يقوم بمهام مشابهة في الولايات المتحدة كممثل للوكالة اليهودية[1]. ففي التاسعة عشـــرة مـــن عمره أجرى اتصالات مع يهود في موسكو، سانت بيترسبورغ، وكييف، والكثير من هؤلاء أصبحوا يعيشون في إسرائيل. يقول كاي حول عمله فـــي الوكالة اليهودية: "تصل بسرعة إلى كل مكان يتعرض اليهود فيه للخطر، إن كانوا في كوسوفو، شيشنيا، الحبشة، أو الأرجنتين". ومهمته، التي أوكل إليه القـــيام بهـــا في العراق، تعنيه بشكل خاص، فوالدي زوجته من يهود العراق، الذيـــن غادروا البلاد عام 1951. وهو يكرر ما كانت تقوله لـــه حماته: "كيف أنهـــم تعرضـــوا للإهانـــة وانتزعت منهم كل ممتلكاتهم وألقي بهم عند الحدود، لمجـــرد أنهـــم كانوا يريدون الذهاب إلى إسرائيل"[2]. ولا يتفق هذا الوصف مع شـــهادات الـــيهود العراقيـــن، الذين لم تصادر ممتلكاتهم وتركوا العراق ضمن ظـــروف ضـــغط تعرضت لها الحكومة العراقية آنذاك وبعد تفجيرات يعتقد أن

---

(1) (*The Jewish Week*)، *2003/8/1*: "ممثل سابق [للوكالة اليهودية] في الولايات المتحدة" على الأغلب أن كاي ترعرع في مدينة ديترويت.

(2) (*Jewish Telegraphic Agency*)، *2003/6/24*.

عملاء المخابرات الصهيونية قاموا بتخطيطها[1]. الوكالة اليهودية قامت بتعيين كاي ليكون "شالياخ ("مبعوث") ديترويت" للأعوام 1993-1997. حنان ليز[2]، رئيس "مركز الجماعة اليهودية لمدينة ديترويت"[3]، أشاد بعمل المبعوث الإسرائيلي قائلا: "كان جيف أكثر المبعوثين نجاحاً لجماعة ديترويت". فحتى نهاية عام 2003 أخرج كاي ثلاث مجموعات من اليهود العراقيين. لكنه أيضا يريد إضافة المزيد من أسماء اليهود العراقيين إلى قائمته: "الأشخاص في قائمتي ليسوا اليهود الوحيدين في العراق. كل من تحدثت معه في العراق أخبرني عن يهود آخرين اندمجوا في المجتمع العراقي، أو يعيشون بهدوء (خارج الجماعة اليهودية). البعض قال أن هناك المئات من اليهود، ولكننا لا نعرف عنهم شيئا"[4].

"جمعية معونة المهاجرين العبريين"

تختلف الرواية حول نقل اليهود العراقيين الستة بعض الشيء في تقارير "جمعية معونة المهاجرين العبريين"، التي تذكر أن العملية نفذت "بالاشتراك والتعاون مع الوكالة اليهودية لإسرائيل"[5]. وعلاقة "الجمعية" مع اليهود العراقيين قديمة عندما كانت تساعد "الهاربين" من العراق بإعادة توطينهم في

---

(1) انظر أدناه ص ص 127-129.

(2) (Hannan Lis).

(3) (Jewish Community Center of Metropolitan Detroit).

(4) (Jewish.com)، 2003/12/10. يشير هذا المصدر إلى عملية نقل ليهود عراقيين جرت في أوائل كانون الأول 2003.

(5) المعلومات حول نشاط "جمعية معونة المهاجرين العبريين" (Hebrew Immigrants Aid Society) بما يخص اليهود العراقيين استمدت من تقريرين وبيان للجمعية بالتواريخ التالية: 2003/7/24؛ 2003/7/25؛ 2003/7/28؛ أنظر موقع "الجمعية" (http://www.hias.org/home.html). تأسست هذه الجمعية في نيويورك عام 1881 من قبل مهاجرين ألمان يهود. وساهمت بالتعاون مع "الوكالة اليهودية" بإعادة توطين مليون يهودي في إسرائيل والآلاف في كندا، أمريكا اللاتينية، أستراليا، نيوزيلندة وأماكن أخرى ولعبت دوراً رئيساً في "إنقاذ وإعادة استقرار الناجين مما يسمى المحرقة واليهود من المغرب، الحبشة، ومصر والبلاد الشيوعية في أوروبا الشرقية". ومؤخراً ساعدت الجمعية أكثر من 300000 يهودي بالهرب من "الاضطهاد" في الاتحاد السوفييتي سابقاً ليستقروا في الولايات المتحدة. وتمثل الجمعية ذراع "الجماعات اليهودية الأمريكية المنظمة" ولهذا تقوم بالدفاع عن "اللاجئين والمهاجرين على المستوى الدولي والأمريكي القومي".

بريطانيا بالتعاون مع "لجنة اللاجئين اليهود"[1] في لندن. بعد حصول "العداوات" فــي العــراق، والمقصــود العــدوان الأمريكــي على العراق، تقدمت قيادات المجموعــات الــيهودية الأوروبــية إلــى "جمعية معونة المهاجرين العبريين" لمساعدة اليهود المتبقين في العراق على مغادرة البلاد. وكذلك وصلت المنظمة استفسارات من "ناشطين عراقيين يهود عبر البحار". ويقول ليونارد غليكمان[2]، رئــيس الجمعــية: "استجابة لهذه الطلبات، ولتحقيق مهمة الجمعية في مساعدة اليهود المحتاجين، وبعد استشارة زملاء يهود في منظمات عالمية أخرى، اتخذنا قــراراً بالقيام برحلات عمل إلى بغداد لتحديد استراتيجية طويلة الأمد لمساعدة هذه الجماعة المهددة". إحدى "رحلتي العمل" إلى العراق قامت بها "في الصيف" راتشــيل زيلون[3]، نائبة مدير "برنامج العمليات" في الجمعية. وخلال تسعة أيام قيّمــت الوضع وعادت إلى مقر الجمعية في نيويورك لتضع نتائج زيارتها أمام الجمعــية، وتقرر أن تعود إلى العراق مع الوكالة اليهودية لمساعدة من يرغب من يهود العراق بالخروج منه. وفي إشارة مقتضبة تذكر رحلة ثانية لأفراد من المــنظمة إلــى العراق، قام بها مدير "برنامج العمليات" في المنظمة دون تحديد تاريخها.

"جماعة مهددة"

تقــول زيلون: "هذه مجموعــة مهددة جداً، وكانت معزولة عن بقية العالم خــلال الســنوات الثلاثين الماضية"[4]، وتسجل مشاهداتها في العراق بقولها أن "الجماعــة اليهودية الصغيرة كانت تعيش تحت نظام قمعي لعقود. إنهم يعيشون ضمن مجتمع يحتقر معظم سكانه اليهود وإسرائيل. معظمهم كان يعيش محاولاً إخفــاء هويــته الــيهودية ما عدا أمام الأصدقاء المقربين والزملاء والجيران". وتضــيف: "بالنظر إلى التوتر المتصاعد في العراق وتزايد العداء للسامية، من الواضح أن هذه الجماعة مهددة إلى حد بعيد. رأيت علامات في الشوارع تحذر

---

(1) (Jewish Refugees Committee).

(2) (Leonard Glickman).

(3) (Rachel Zelon).

(4) (USA Today)، 2003/7/27. هــناك عدة تصريحات لراتشــيل زيلون، من بينها ما قالته لــ "أوريــيل هايلمان" (Uriel Heilman) من "الوكالة التلغرافية اليهودية" في أحد فنادق العاصمة الأردنية عمان. أنظر (Jewish Telegraphic Agency)، 2003/6/24.

السكان من التعامل مع اليهود، وعلمت أن منشورات معادية للسامية كانت توزع في الأماكن العامة والمستشفيات والعيادات". وبذلك تتجاهل زيلون أن هذا "التحذير من التعامل مع اليهود" لا يقصد به اليهود العراقيون بل أولئك الذين جاؤوا مع الغزو والاحتلال. وحسب شهادة جيف كاي حافظت الجماعة اليهودية على وجودها أثناء فترة "النظام السابق" بسبب حماية الحكومة لها[1]. ولكن كاي، وبالرغم من تصريحه هذا، يقول في مكان آخر بشكل مضلل أن اليهود العراقيين "اضطهدوا في نظام صدام حسين وصودرت أملاكهم، ولكنهم بشكل عام تمتعوا بالحماية"[2].

حصلت زيلون على معلومات بشأن اليهود العراقيين من يهود عراقيين غادروا العراق في السابق وقامت الجمعية بدعمهم، وشمل ذلك "أسماء، عناوين، ووصف موجز لكل يهودي ما زال في العراق، ورسالتي تعريف بشخصها لتسهيل مهمتها والتعاون معها"، وهو ما يكشف أن اليهود في العراق لم يكونوا معزولين وأنهم كانوا على اتصال وثيق مع اليهود في الخارج. ولم يكن وضع اليهود في العراق سيئاً، كما تصفه المنظمة، لأن أول اتصال لزيلون كان مع "طبيبة أسنان تعيش مع أمها، التي هي أيضاً طبيبة متقاعدة في الثالثة والثمانين من العمر، وأخيها أخصائي جراحة المفاصل". كما قابلت شخصاً "يعمل في مستشفى الرشاد للأمراض العصبية" ولكنه كان "مفقوداً" أثناء إخراج اليهود الستة من العراق في تموز. وحسب جيف كاي[3]، كان اليهود العراقيون يستفيدون من ريع عقارات يملكونها، ومن الواضح أن هؤلاء، أو على الأقل الأطباء منهم، لم يكونوا يعانون من أوضاع "كئيبة".

لا يريدون الذهاب إلى إسرائيل

ادعت الجمعية أن اليهود الثمانية وعشرين المتبقين في العراق يرغبون بترك العراق، وجرى تحديد بريطانيا وهولندة مكاناً لإعادة استقرارهم فيهما. وهذا الأمر لا يتفق مع نتائج تقرير جيف كاي ولا مع ما ذكرته مصادر أخرى، على الأغلب بالاعتماد على زيلون نفسها، وهي أن "ثلاث عائلات على الأقل

---

(1) (Haaretz)، 2003/6/22.

(2) (Jewish Telegraphic Agency)، 2003/6/24.

(3) هآرتس، حسب موقع "كرين هايسود" بالألمانية بتاريخ 2003/6/25.

عبرت عن رغبتها بالبقاء. والبقية مترددون". ومن هؤلاء توفيق سفر، الذي أفاد لرويترز في بداية تموز أن "صدام" كان جيداً معهم. ولكن زيلون تفسر ذلك بالقول: "الذهاب إلى المجهول أصعب من الإبحار في حقل ألغام يعرفونه"[1]. واختيرت بريطانيا بسبب "علاقتها التاريخية مع العراق" وهولندة لأن يهوداً عراقيين استقروا فيها في السابق "بنجاح". ولكن طبيبة الأسنان خالدة فؤاد إلياهو، التي كانت "مستميتة" لترك العراق، تقول أنها لم تكن متحمسة للذهاب إلى إسرائيل واعتبرتها "خطرة جداً". وتدعي وكالة الأنباء "أروتس شيفا" بأن ساسون صالح قال: "المسلمون العراقيون لا يهتمون بنا"، وتشير إلى أنه يقرأ التلمود "ويحفظه غيباً"، ولكنه لا يفكر بالذهاب إلى إسرائيل. وتذكر "جمعية معونة المهاجرين العبريين" أنها و"لجنة اللاجئين اليهود" و"الوكالة اليهودية" و"لجنة التوزيع المشتركة اليهودية"[2] ستبقى على اتصال مع الجماعة المتبقية في العراق[3].

"أتمنى لو يعود صدام"

نضال صالحي في أواخر الأربعينات من عمرها، والأصغر سناً بين اليهود الذين بقوا في العراق. وفي تحقيق أجرته قناة الجزيرة في شهر تشرين الأول *2003* كان كلامها مفاجئاً عندما قالت: "أتمنى لو يعود صدام". لم يكن قائل هذا الكلام شخصاً متعاطفاً مع البعثيين أو من المخابرات، وإنما يهودية عراقية، تقول الجزيرة. وتقول صبحية، المسيحية التي شاركت في اللقاء: "في زمن صدام حكم القانون، كان هناك أمن. اليوم لا أجرؤ على إخراج ابنتي إلى الشارع. لن يكون بوسعها إكمال دراستها. هذا ما جلبه الأمريكيون". وقد حاول مراسل قناة الجزيرة إنقاذ الموقف عندما قال أن الوضع الأمني سيتحسن، وأنه أخيراً ستكون هناك حكومة ديموقراطية جديدة. ولكن نضال ردت عليه: "ماذا يفيدنا ذلك؟ أنظر إلى بيوتنا، أنظر كيف نعيش ... هل جلبت الديموقراطية

---

(1) *(USA Today)*، *2003/7/27*.

(2) *(Jewish Joint Distribution Committee)*. منظمة يهودية تأسست عام *1914* لرعاية مصالح اليهود، وبشكل خاص "حماية" اليهود عبر البحار؛ للمنظمة برامج في مختلف أنحاء العالم.

(3) *(Associated Press)*، *2003/4/17*؛ *(Arutz Sheva)*، *2003/7/27*.

الطعام إلى موائدنا، الأمن إلى الشوارع، الكهرباء إلى البيوت؟ كل هذه الأشياء جلـبها لـنا صـدام". وانضم إلى المجموعة اليهودي المسن يعقوب قائلا: "لولا البريطانيـن لما ترك أي يهودي العراق"، وهنا ضحك الجميع وعلقت نضال: "دائمـاً يلوم يعقوب البريطانيين على نهاية جماعتنا". يعقوب محق في ما قاله، ولكـن مراسـل الجزيرة لم يرغب بالإشارة إلى نعيم غيلادي[1]، وهو يهودي عراقي "مشهور نسبياً" لئلا ينتهي الحوار بالتاريخ. ولكن التاريخ ظل يطفو على السطح، إذ عندما سأل مراسل الجزيرة يعقوب فيما إذا كان يعتقد أن الأمريكيين سـيخرجون مـن العـراق، كما يعدون دائماً، أجابه يعقوب: "لا أدري، ولكن البريطانيين كانوا يقولون الشيء نفسه. كل ما نستطيعه هو أن نأمل"[2].

"الديموقراطية في سومر"

تقـوم "جمعـية معونـة المهاجرين العبريين" بإعادة كتابة التاريخ وتوزيع "النعم" على من تشاء وبسخاء، ففي تقديمها لموضوع اليهـود في العراق كتبت تقـول أن جذور هؤلاء "كانت تعود إلى قرون عندما كانت بلادهم تسمى سومر ... مسـقط رأس إبراهيم، أب اليهودية، المسيحية، والإسلام". وتصف المنطقة آنـذاك بأنهـا كانـت "غنـية بالحضارات التي كانت تعمل بشكل ديموقراطي وتشـاركت بـالآداب والشـعر وبنـت المعابد وطبقت أنظمة زراعية وصحية حديثة". ونستطيع أن نفهم لماذا أقحمت "الديمقراطية" في هذه الجنة، فـ "العراق الـيوم يعيد البناء من الحرب. فالدمار المادي، إلى جانب ندوب لا يمكن محوها جـاءت نتـيجة سـنين لحكم ديكتاتوري قمعي، وهو ما جعل الأربعة والثلاثين يهوديـاً، البقـية الباقية في العالم من أصول سامية، بأمس الحاجة إلى المساعدة مـن الخارج". هذا الخطاب، الذي تتبناه الجمعية، لا علاقة لـه بالأديان الثلاثة المذكـورة ولا بالـتاريخ. الهدف هو "التأكيد" أن اليهود في كل مكان ... حتى سـومر وإدانـة العراق، الذي انعدمت فيه "الديموقراطية" منذ زمن سومر حتى تحريره من قبل الولايات المتحدة.

---

(1) أنظر أدناه ص ص 129-130.

(2) الجزيرة، 2003/10/18؛ أنظر (Aljazeera.net)، 2003/10/20.

"النجدة من صهيون"

أثيرت ضجة إعلامية كبيرة لدى وصول العراقيين الستة إلى "إسرائيل"[1]، وذكر أن العملية أجريت بسرية كاملة وأطلق عليها اسم "النجدة من صهيون"، ولم يعلن عنها إلا بعد هبوط الطائرة، التي ذكر أحد المصادر أنها أردنية الهوية[2]، في مطار تل أبيب في الخامس والعشرين من تموز *2003*. وحسب مصدر آخر فإن من قام بتنظيم الرحلة هي "الوكالة اليهودية"، في حين "قامت القوات الأمريكية بتأمين مرافقة جوية حتى مطار بغداد" حسب مايكل روزنبرغ[3]، أحد المسؤولين في الوكالة المذكورة[4]. وقالت بعض وسائل الإعلام الإسرائيلية "أن هذه أول رحلة جوية مباشرة بين البلدين منذ عملية النقل الجوي التي تمت بين *1950-1951*، وأحضرت حينها الآلاف من اليهود العراقيين إلى إسرائيل "[5]. الكثيرون رأوا أن وصول هؤلاء الستة إلى إسرائيل "تحقيق للأيديولوجية الصهيونية التي تقول بأن على جميع اليهود أن يعيشوا في إسرائيل". فبعد ثلاثة أيام، تناقلت وسائل الإعلام صورة تظهر أحد هؤلاء، وهو عزرا ليفي البالغ من العمر 82 عاماً، يقبل جداراً في القدس هو "حائط المبكى"، بالرغم من أن هذا الجدار إسلامي ويعود إلى الفترة الأموية. وفي صورة أخرى كان المذكور ينفخ في الشوفار في "الساحة" المقابلة للجدار، وهي الساحة التي كانت تشكل يوماً ما حارة المغاربة، التي هدمت بالكامل في حزيران *1967* على رؤوس من لم يتمكن من مغادرتها من سكانها. ولكن وجود ليفي في هذا المكان جعله "يشعر بالسعادة القصوى والشرف". وقد قضى الستة ليلتهم الأولى في فلسطين في فندق في مستوطنة يهود، التي أنشئت على أنقاض قرية العباسية التي دمرت عام *1948*. كان في انتظار عزرا ليفي في المطار أخته دينا التي

---

(1) حسب (*The Jewish Agency for Israel – Press Releases*)، *2003/7/26* ومصادر أخرى.

(2) حسب "إيلسيل شاخر" من "معاريف"، أنظر (*Die jüdische*)، *2003/8/21*؛ انظر أيضاً (*The Jewish Week*)، *2003/8/1*.

(3) (*Michael Rosenberg*).

(4) (*Israel21c*)، *2003/8/3*.

(5) المرجع السابق.

"هربــت" مــن العراق عام 1949 بعد "حملة اضطهاد قامت بها الدولة، بما في ذلـك الشنق العلني"، وهنا لا يبدو أن هناك فرقاً بين النظام آنذاك والنظام الذي أطاح به الغزاة الأمريكيون والبريطانيون. ومهما كان الأمر، فإن ليفي بقي في العــراق لأنــه لم يحسم أمره عام 1949 بـ "الهرب" من وطنه، وعندما وصل إلــى قــرار كان الوقت قد أصبح متأخراً "لأنه منع من المغادرة". ولا شك أن وضــع ليفي في ظل "نظام صدام" كان صعباً، لأنه عندما سئل عن ذلك لم يقل أي شيء مكتفياً بإطلاق "شخرة ساخرة قوية".

وكمــثال علــى معاناة اليهود الستة، سردت النيويورك تايمز حكاية سليمة موشي نيسيم، البالغة من العمر 79 عاماً وكانت تقطن في البصرة. تقول السيدة ســليمة: "كنــت وحيدة كلياً في البصرة، ولم أكن أبداً سعيدة لأنني لم أتمكن من رؤيــة عائلتي". ولا نعرف لماذا قرر شقيق السيدة نيسيم وشقيقتيها ترك العراق عــام 1951، بينما بقي الوالدان هناك وهي معهما. ويبدو أن سبب وحدة السيدة نيســيم كــان وفــاة عائلتها، الواحد تلو الآخر، وكان آخرهم أمها عام 1967. ولكنها تمكنت من "تدبير أمورها بإعطاء دروس بالإنجليزية، وكانت تشعر بأنها مقبولة، ولكن ليس مرحباً بها تماماً"[1].

مجموعة من سبعة عشر فرداً

فــي ليلة الأربعاء العشرين من آب 2003 وصلت إلى إسرائيل مجموعة أخــرى مؤلفــة من سبعة عشر يهودياً، قامت الوكالة اليهوديــة بإخراجهم من العــراق بالتعاون مع وزارة الخارجية. وكان في استقبال المجموعة أقاربها في إســرائيل وتسيبي ليفني[2]، الوزيرة في "وزارة استيعاب المهاجرين"، وميريلا غــال[3]، المديــرة العامــــة في الوزارة. كانت المجموعة تتألف من عائلتين، أفــراهام وتــيكفا وأربعة من بناتهما وابنين، وخالة أفراهام وزوجها وأولادهما الخمســة، بالإضــافة إلــى قريبين. راتشيل نيسان، إحدى بنات العائلة الأولى، غــادرت العــراق مــع زوجها أمير عام 2000. وحسب تعليمات مشددة من "الوكالــة اليهودية" رفض أمير، الذي يسكن في الخضيرة، إعطاء تفاصيل حول

---

(1) حسب (Israel21c)، 2003/8/3.

(2) (Tzippy Livni).

(3) (Mirela Gal).

كيفية مغادرته للعراق آنذاك، ولا كيف تمت العملية الجديدة.

عساف، شقيق أمير، يخدم في الجيش، ولكنه حصل على إذن خاص ليتمكن من استقبال أقاربه. وهو نفسه كان قد ترك العراق وهو في السادسة عشرة من عمره، وقد حصل على جواز سفر بعد أن أخبر السلطات العراقية أنه يرغب بقضاء إجازة في الأردن. وقبل مغادرته العراق اتصل بجدته في إسرائيل وأخبرها بتفاصيل "اجازته". لا يفصح عساف كيف وصل إلى إسرائيل، ولكنه يقول وابتسامة عريضة على وجهه: "وصلت إلى الأردن الساعة التاسعة صباحاً، وفي الساعة الحادية عشرة والنصف كنت في إسرائيل".

وحسب صحيفة هآريتس كان أفراهام يملك كاراجاً في بغداد وأوضاعه المادية جيِّدة. وعندما "اندلعت الحرب" قصف الحي الذي كان يسكن فيه بكثافة، لأن "مكاتب القوات الأمنية لصدام حسين كانت موجودة في الجوار"، وقتل الكثير من الجيران. وفضلت العائلة الانتظار حتى "يسقط نظام صدام". وبعد سقوط بغداد تركت العائلة بيتها في بغداد ومكثت في "مدينة" أخرى، لم يذكر أسمها، وهناك تم "الاتصال" بالوكالة اليهودية، وغادرت العائلة العراق بعد أن توقفت في "محطة انتقالية". ويقول أفراهام أنه خرج خالي الوفاض دون أن يتمكن من بيع أملاكه. وحسب معاريف كانت العائلتان تعيشان مع أطفالهما في المنطقة الكردية، وقطعوا الحدود العراقية التركية ليصلوا إلى استنبول، ثم استقلوا الطائرة إلى إسرائيل. وتقول إحدى الشخصيات الإسرائيلية الهامة في "الوكالة اليهودية": "لا تمثل العملية هذه المرة إنقاذاً لمسنين لأسباب إنسانية، وإنما عملية هجرة حقيقية من العراق". وتأمل الوكالة أن تكتمل عملية "النجدة من صهيون" قريباً لإحضار "*50* من المسنين إلى إسرائيل"[1].

"مركز أبحاث" في بغداد

افتتح في بغداد بعد الاحتلال الأمريكي مكتب في شارع أبو نواس، واعتبره البعض أول وجود علني للإسرائيليين في بغداد منذ سقوط العاصمة في التاسع من نيسان، إذ ذكر منذ البداية أن هذا المكتب مرتبط بـ "مؤسسة الشرق الأوسط للإعلام والأبحاث" (ميمري)، وهي المنظمة الأهلية التي أسست في

---

[1] (*Haaretz*)، *2003/8/22*، (*Maariv*)، حسب (*Die jüdische*)، *2003/8/21*؛ (*Arutz Sheva*، *2003/8/21*.

واشـــنطن عام 1998، ولها فروع في لندن، برلين، والقدس، "تهدف إلى متابعة وســـائل الإعـــلام المحلية في الشرق الأوسط وترجمة ما يصدر عنها إلى اللغة الإنجلـــيزية وتحلـــيل الاتجاهـــات السياسية، الأيديولوجية، الاجتماعية، الثقافية، والدينية في المنطقة". وتترجم المؤسسة مواداً من "العربية، الفارسية، والعبرية"، وتصـــدر ثـــلاث سلاســـل من المنشورات هي: "التقصي والتحليل"[1]، "تقارير خاصة"[2] و"رسائل أخبارية خاصة"[3]، وهذه الترجمات ترسل مجاناً بالفاكس أو الـــبريد الإلكترونـــي. وعلى الأغلب أن الكشف عن افتتاح المكتب جاء بعد أن ذكـــرت مـــيمري نفسها في أحد تقاريرها المؤرخ السابع والعشرين من آب أنه يعـــتمد على رسائل إخبارية قام بجمعها "مكتب ميمري في بغداد". وقد كتب هذا التقرير نمرود رفائيلي، وهو على ما يبدو إسرائيلي، ربما من أصل عراقي[4]. "الرسائل الإخبارية" تعتمد على صحف بدأت بالظهور في العراق بعد الاحتلال، وبالإمكـــان الاستنتاج أن مكتب ميمري بدأ ممارسة نشاطه على الأقل منذ بداية شهر تموز 2003، بعد فحص تواريخ[5] المقالات المجموعة من هذه الصحف.

رسائل عبر الإنترنت

بريان ويتاكر كان قد أشار في الغارديان[6] إلى أنه وزملاؤه في الصحيفة، والعديـــد من الصحافيين، السياسيين، والأكاديميين، كانت تصلهم من ميمري كل بضعة أيام ترجمات ذات مستوى عالٍ لمواد من صحف عربية وكثيراً ما تكون مثـــيرة للاهـــتمام. ولكن الصحافي البريطاني لاحظ أن هالة من السرية تحيط بالمســـؤولين عـــن هذه المؤسسة، فموقعها في الشبكة الإلكترونية لا يقدم أسماء العاملين فيها ولا عنوانا للاتصال به. والسبب في ذلك، حسب موظف سابق في المـــنظمة، "أنهـــا لا تريد أن تفاجأ بمفجر انتحاري أمام الباب". ولاحظ ويتاكر أيضـــاً أن المـــواد التي تعممها الصحيفة تتبع باستمرار نهجاً خاصاً، فالمقالات المـــترجمة عـــن لغات غير العبرية يجري اختيارها ضمن خط مألوف، وهذه

[1] (Inquiry and Analysis Series)..
[2] (Special Reports).
[3] (Special Dispatch Series).
[4] حول هذا التقرير أنظر أدناه ص 64.
[5] أقدم تاريخ هو 7/7 وأحدثها 2003/8/18.
[6] (The Guardian)، 2002/8/12.

المقالات إما أنها "تعكس صورة سيئة عن العرب، أو تقف بشكل ما مع الخط السياسي الإسرائيلي". وبالإضافة إلى أن المؤسسة تدعم الليبرالية الديموقراطية، المجتمع المدني، السوق الحرة، فإنها أيضاً "تركز على أهمية الصهيونية للشعب اليهودي وإسرائيل" كما يقول موقعها، الذي كان يحتوي على إشارة بأن ثلاثة من أعضائها كانوا يعملون في الاستخبارات الإسرائيلية. وحسب ويتاكر، كان هذا في البداية، ولكن فيما بعد حذفت هذه العبارات من موقع المنظمة. والمؤسسة تندرج في قائمة أعدتها وزارة الخارجية الإسرائيلية تحت عنوان "مؤسسات الأبحاث والمجلات الأكاديمية" الإسرائيلية، وهو ما يبدد أي شكوك في أن ميمري إسرائيلية.

ييغال كارمون

مؤسس "ميمري" هو الكولونيل ييغال كارمون[1]، الذي خدم في الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية لسنوات عديدة وكان أحد الأعضاء الرئيسيين في "الوحدة *504*"، المسؤولة عن تجنيد العملاء في الأراضي المحتلة، وحسب تيمور غوكسل[2]، قائد قوات الأمم المتحدة في لبنان، كانت هذه الوحدة مسؤولة عن قيادة "جيش لبنان الجنوبي". وكان عضواً في "الرابطة الدولية لمناهضة الإرهاب والأخصائيين الأمنيين"[3]. وأثناء عمله في الاستخبارات العسكرية التحق بالجامعة العبرية وكتب رسالة ماجستير عام 1987 حول "مفتي القدس الحاج أمين الحسيني وألمانيا النازية خلال الحرب العالمية الثانية". وعمل منذ عام 1988 كمستشار للإرهاب في حكومة يتسحاق شامير، وشارك في الوفد الإسرائيلي لمفاوضات مدريد. حول اتفاقيات أوسلو قال: "هذه الاتفاقيات

---

[1] *معظم المعلومات حول ييغال كارمون من مقال مطول بالألمانية لـ "غيرهارد لانغه" (Gerhard Lange) بعنوان: "ييغال كارمون: حياة من أجل الاحتلال: سيرة حياة رئيس ميمري" نشر في (Kommunikationssystem.de)، 2003/8/16.*

[2] *(Timur Göksel).*

[3] *(The International Association for Counterterrorism & Security Professionals). منظمة أهلية أمريكية تأسست عام 1992: لـ "مجابهة التحديات الأمنية، التي تواجه العالم مع دخوله عصر العولمة للقرن الحادي والعشرين". خلفية المنظمة يشوبها الغموض، أنظر موقعها على الإنترنت (http://www.iacsp.com/).*

مــريعة"[1]، وحمــل أيضاً موقفاً مناوئا حتى من "اتفاقية الخليل" الفرعية، التي خسر الفلسطينيون بإبرامها السيادة الكاملة على الحرم الإبراهيمي وجزءاً كبيراً مــن الــبلدة القديمــة للخليل ووافق موقعوها على "مجابهة المنظمات الإرهابية بشــكل منظم وفعال"، وكان كارمون يريــد أن تحدد هذه المنظمات بالاسم في الاتفاقيــة[2]. وبين الأعوام *1994-1996* تعاون مع بيني بيغن، ابن ميناحيم بيغــن والقــائد الســابق لحزب حيروت اليميني المتطرف. وما يمثله كارمون بمؤسسته ميمري ليس موقفاً سياسياً محدداً، كرفض اتفاقيات أوسلو، بقدر ما هو تضــليل للرأي العام العالمي لإخفاء الأهداف الحقيقية لوجود إسرائيل وعلاقتها الاســتراتيجية بالولايات المتحدة، هذا هو المبدأ وراء أشكال الخطاب السياسي الإسرائيلي الذي تتبناه المنظمات والجماعات اليهودية بانتظام في برامجها.

"التحديات السياسية"

مــيراف ورمســر[3] كانت تعمل إلى جانب بيغال كارمون كمديرة تنفيذية لمــيمري. ورمسر تحتل حالياً منصب مديرة فرع "سياسات الشرق الأوسط" في "مؤسســة هودسون"[4] (انديانابوليس)، التي تهدف إلى أن تكون "المصدر الأول لأمــريكا في الأبحاث التطبيقية حول التحديات السياسية". وإذا قمنا بإلقاء نظرة على بعض أعضاء هذه المؤسسة سنجد ما يلي:

- يــرأس مجلــس إدارتها فالتر ستيرن[5]، الذي يحتل أيضاً منصب نائب رئــيس "مؤسســة سياســة الشــرق الأوسط في واشنطن"[6] المعروفة باتجاهاتهــا الموالــية لإســرائيل وارتباطاتها بأيباك، مجموعة الضغط الإسرائيلية الرسمية في الولايات المتحدة[7].

---

[1] أنظر المقابلة، التي أجرتها معه (*Arutz Sheva*)، *1996/3/7*.

[2] أنظر مقاله في (*Yediot Ahronot*)، *1997/1/16*.

[3] (*Meyrav Wurmser*).

[4] (*Hudson Institute*).

[5] (*Walter Stern*).

[6] (*Washington Institute for Near East Policy*).

[7] أنظر "مارك ميلستين"، (*Washington Report*)، تموز *1991*.

- ستيرن هو أيضاً عضو في "مجلس العلاقات الخارجية"[1]، وعضو في مجلس الإدارة الشرفي لـ "اللجان الأمريكية للعلاقات الخارجية"[2]؛
- أحد أعضاء مجلس إدارتها هو ريتشارد بيرل، الرئيس السابق لمجلس السياسات الدفاعية التابع لوزارة الدفاع الأمريكية وأحد مخططي العدوان على العراق.

"مؤسسة هودسون" تفتخر بضمها ميراف ورمسر إلى فريقها وتصنفها بأنها "باحثة رائدة في شؤون العالم العربي"، وتقيم عملها السابق في ميمري بأنها كانت تساعد على "تثقيف صانعي السياسة" الأمريكية حول "المسار المزدوج للسلطة الفلسطينية، التي تنادي بالسلام في الصحافة الغربية وفي مفاوضاتها مع السياسيين الغربيين، وتحرض على الكراهية والعنف من خلال وسائل الإعلام العربية الرسمية". ومن بين "إنجازات" ورمسر في ميمري كتاب بعنوان: "مدارس حزب البعث – دراسة للكتب المدرسية السورية"[3]، وهي الدراسة التي عرضها كارمون أمام "لجنة العلاقات الدولية"[4] التابعة لمجلس النواب الأمريكي. ورغم أن ورمسر من السفارديم، فإنها، وبشكل مشابه لكارمون لا تخفي مواقفها الرافضة لاتفاقيات أوسلو وموقف حزب العمل منها. ففي إحدى مقالاتها بعنوان "أزمة السياسة الإسرائيلية"[5] تكتب: "معظم الإسرائيليين، الذين عليهم التعايش مع الإرهاب الفلسطيني اليومي، ينظرون إلى الجدل داخل حزب العمل حول سرعة العودة إلى طاولة المفاوضات بمشاعر مختلطة من الغضب والدهشة". وتصف اليساريين الإسرائيليين الأشكيناز بأنهم "الشماليون"، الذين يسكنون الأحياء الفاخرة في شمال تل أبيب، وتقول: "المتدينون في إسرائيل، اليهود السفارديون، المستوطنون، والمهاجرون الجدد، كلهم يشعرون بالإهانة من غطرسة هؤلاء". وفي مقال تحت عنوان "مذبحة مختلقة"[6]، في إشارة إلى مذبحة الطنطورة، تصف ما حصل بأنه "إخلاء قرية

---

[1] (Council on Foreign Relations).

[2] (American Committees on Foreign Relations).

[3] (The Schools of Ba'athism – A Study of Syrian Schoolbooks)، واشنطن: ميمري، 2000.

[4] (Committee on International Relations).

[5] (National Review Online)، 2003/1/29.

[6] صدر عن "مؤسسة هودسون" بتاريخ 2001/9/19.

عربـــية أثناء حرب الاستقلال". مذبحة الطنطورة كعشرات المذابح التي اقترفها الصهاينة بشكل منظم عام *1948*، وكانت ستبقى مجهولة في الإعلام الغربي لو لـــم يقـــم تيدي كاتس بالكشف عنها في رسالة ماجستير أنجزت في جامعة حيفا عـــام *2000*، وتجـــاوز عـــدد ضحاياها المائتين، وهي من أكبر المجازر التي تعرض لها الفلسطينيون عام *1948*.

"الدفاع عن النفس والحرية"

العـــدوان الأمريكي على العراق تقيمه ورمسر في مقال تحت عنوان "آفاق الديموقراطـــية في الشرق الأوسط"[1]. وتصف هذا العدوان بأنه "حرب أمريكا فـــي العـــراق"، وأنـــه لم يكن "بسبب البترول، أو رئيس تدفعه رغبة الانتقام أو طموحات استعمارية. لقد كانت حرباً للدفاع عن النفس والحرية". ورمسر محقة هـــنا، فـــالعدوان علـــى العراق لم يكن هدفه استعمارياً، بقدر ما كان دفاعاً عن الـــنفس. فالذي يدافع عن نفسه هو إسرائيل، والحرية تعني أن يتمكن هذا الكيان مـــن تنفـــيذ مخططاته لاستيعاب الضفة الغربية وقطاع غزة بالكامل. وفي هذا المقـــال، الـــذي تصف فيه القادة العرب بـــ "الطغاة"[2]، تكرر "الباحثة" مواقف ثابـــتة ومعـــروفة لإســـرائيل والمنظمات والجماعات اليهوديـــة الأمريكية ضد أنظمـــة المنطقة، وهي مواقف بلاغية كما يروج لها "مشروع إسرائيل"، ويجب فهمهـــا ضـــمن إطار الصراع القائم بين القوى الاستعمارية في الغرب وشعوب المنطقة، وإسرائيل، حسب ورمسر، هي جزء من الغرب. وحول الدول العربية تقول: "هذه الأنظمة التي تعتبر صديقة للغرب كالسعودية، عراق ما قبل *1990*، الســـلطة الفلســـطينية، مصـــر، وسوريا، تؤجج نيران الكراهية وتشجع مشاعر العـــداء للســـامية والغـــرب". لا توضح الباحثة طبيعة صداقة الدول المذكورة بالغرب، ولكن بالتأكيد يمكن استنتاج ما هو المطلوب من خلال إقران "الغرب" بـــ "الســـامية" ... أي "اليهـــود" أو بمعنى آخر، حسب مفهوم قومي مصطنع، إسرائيل.

---

(1) حول آراء ورمسر أنظر مقالاتها التالية: "أزمة السياسة الإسرائيلية" في (American Outlook Today)، 2003/1/31؛ "مذبحة مختلقة"، (Hudson Institute)، 2001/9/19؛ "آفاق الديموقراطية في الشرق الأوسط"، (American Outlook Today)، ربيع عام 2003.

(2) (tyrants).

الافتراء على العراق

يقــول ويتاكر أن لا أحد يشك بدقة ترجمات ميمري، ولكن ينبغي التعامل بحــذر مــع مضمون بعض هذه المقالات، ففي فقرة أخذت من صحيفة الحياة اللبنانــية، بقلم عادل عوض، يذكر فيها أن طبيباً في الجيش العراقي ادعى "أن صــدام حســين أعطى بنفســه أوامر ببتر آذان الفارين من الخدمة العسكرية". ويكتب ويتاكر أن "هذا النوع من القصص حول 'الوحشية العراقية' هو تماماً ما تقــوم الصــحف بالــتطوع بإعادة نشره دون التأكد من مصداقيته، وخاصة في أجــواء الحــرب الحالية المحمومة". ولا يمكن اعتبار هذه المادة غير منحازة، خاصة وأن كاتب المقال كان ينتمي حينها إلى "المعارضة العراقية"، وهو ما لم تذكــره صحيفة الحياة أو ميمري. ويكشف ويتاكر أن قصة بتر الآذان تعود إلى العــام 1998، وأنــه كان لراويها مصلحة خاصة في ترويجها، فقد كانت ضمن طلبه اللجوء السياسي إلى الولايات المتحدة، حسب تقرير للواشنطن بوست. وما يلفت النظر أن عوض أرسل "تصحيحا" إلى صحيفة الغارديان، نشر بتاريخ 21 آب 2002، قــال فــيه أن "مصــادر مستقلة" تدعم قصة بتر الآذان. ويبدو أن الحاجة إلى نشر هذا النوع من القصص استمرت حتى بعد الإعــلان عن انتهاء "الحــرب" في الأول من أيار 2003، ففي بداية شهر تشرين الثاني 2003، بثت إذاعة مونتي كارلو تقريراً يتضمن القصة نفسها.

أمام "لجنة العلاقات الدولية"

يــدرج ويــتاكر أمثلة متطرفة أخرى مما ينشر في وسائل الإعلام العربية وتــترجمه ميمري، ويرى أن الخطر في تعميمها يكمن في أن "الشيوخ والنواب ومن 'يصوغ الآراء' ممن يقرأ رسائل ميمري الإلكترونية، ولا يقرأ العربية، قد يتــبادر إلــى أذهــانهم أن هذه الأمثلة ليست نموذجية فحسب، بل تعكس أيضاً سياســات الحكومــات العربية". وهذا أيضاً، كما أشار ويتاكر، هو ما أراد أن يوصله كارمون عندما وقف أمام "لجنة العلاقات الدولية" التابعة لمجلس النواب الأمريكــي، مدلــياً بشهادته كخبير في وسائل الإعلام في الشرق الأوسط. فهذا المســؤول السابق في المخابرات العسكرية الإسرائيلية شهد أمام هذه اللجنة بأن "وســائل الإعــلام العربــية هــي جزء من وسائل التأثير التي تشمل الأنظمة

التعليمية، بالإضافة إلى المواعظ الدينية والتوجيه في المساجد"، وأشار إلى كتيب قدمه إلى اللجنة يسلط الضوء على هذه الاتجاهات. وحتى لا يكون هناك أدنى شك بأنه يقصد أيضاً وسائل الإعلام الرسمية، قال: "وسائل الإعلام العربية التي تسيطر عليها الحكومات العربية تنشر مشاعر الكراهية تجاه الغرب وبالتحديد الولايات المتحدة". وعناصر "عداء السامية العربي الحديث" تظهر في مجالات متعددة، من بينها: "كتابات مصدرها الغرب، كبروتوكولات حكماء صهيون؛ كره إسلامي قديم لليهود في القرآن والحديث؛ نفي المحرقة". ومرة أخرى وجه "اتهامه" إلى الحكومات العربية قائلاً أنها: "كثيراً ما تشجع مفاهيم كالجهاد والشهادة (مع استثناءات نادرة جداً). وكما رأينا في فيديو السلطة الفلسطينية[1] يأخذ ذلك أشكالاً عديدة، كالمواعظ التي تبث في شبكات التلفزة الرسمية، الأعمدة الدينية في الصحف، إلخ". ولكن كارمون كان منصفا بحق قناة الجزيرة عندما قال: "في الأعوام السابقة أحدثت قناة الجزيرة القطرية ثورة في وسائل الإعلام المستقلة في العالم العربي. وبالرغم من أن القناة تدعو ضيوفاً وتفسح المجال أمام متصلين معادين بالشكل المألوف لأمريكا والسامية، فإنني كأحد الذين ظهروا على شاشتها عدة مرات ألاحظ أن القناة تدعو على الدوام شخصاً يعبر عن رأي مناوئ". عندما نقرأ هذه الفقرة تتأكد لنا الشكوك حول هوية "الآخر" في الشعار الذي تتبناه القناة "الرأي ... والرأي الآخر"، وأن هذا الرأي الآخر يقف إلى جانب "أمريكا والسامية". وأخيراً، وبهدف "تنوير" راب فقط لا غير، قدم كارمون دراستين قامت مؤسسته بنشرهما، الأولى حول الكتب المدرسية السورية، بقلم زميلته السابقة ورمسر، والثانية حول المناهج في مناطق السلطة الفلسطينية[2].

أهداف خفية

لم يكن رد يغال كارمون على مقال بريان ويتاكر، الذي نشرته له الغارديان[3]، مقنعاً، بل إنه أضاف مؤشرات أخرى إلى أن المنظمة التي يرأسها

---

(1) كارمون لا يحدد طبيعة هذا الفيديو أو مصدره.

(2) أنظر موقع "لجنة العلاقات الدولية" التابعة لمجلس النواب الأمريكي (http://www.house.gov/international_relations/107/carm0418.htm).

(3) (The Guardian)، 2003/8/21.

تخدم أغراضاً خفيّة، بالإضافة إلى تعميم صورة مضللة عن الإعلام العربي في الغرب. فمن "المشاريع"، التي تقوم بها ميمري: "مشروع اقتصادي يشرف عليه خبير من البنك الدولي، مشروع توثيق عداء السامية العربي، دراسات للكتب المدرسية في الأنظمة التربوية العربية، ومراقبة خطب الجمعة في العالم العربي". ويصعب عدم ملاحظة الأهداف المشبوهة لـ "مشاريع" المنظمة التي ذكرها كارمون، وتتحرك على أكثر من مستوى. فـ "المشروع الاقتصادي"، الذي تعمل عليه المنظمة بدون إيضاح طبيعته ولا هوية "الخبير" الاقتصادي السابق للبنك الدولي، هو "برنامج الدراسات الاقتصادية للشرق الأوسط"، الذي يحتل فيه نمرود رافائيلي منصباً رفيعاً، ولكن ما يكتبه، كما سنرى، أبعد ما يكون عن الاقتصاد. ويشير كارمون نفسه إلى أن فريق ميمري يشمل عشرين مترجماً، وهو ما يعكس الإمكانيات المادية الضخمة، التي تتمتع بها هذه المؤسسة.

"مشروع إصلاحي"

ولكن بالنسبة للإسرائيلي كارمون المشروع الأهم والمبدع هو "مشروعنا الإصلاحي، الذي يسلّط الأضواء على الأصوات الليبرالية التي تنادي بجرأة بإصلاحات سياسية، دينية، اجتماعية، واقتصادية، مع كل ما يترتب على ذلك من مخاطرة. وهذه الأصوات ليست فقط من العواصم الغربية، ولكن من داخل العالمين العربي والإسلامي". والمثال على هذه "المشاريع" يظهر في مقال لكارمون نفسه نشر في سلسلة ميمري "تقصيات وتحليل" تحت عنوان "بشائر تغيير في الخطاب المعادي للسامية في العالم العربي". ومن بين هذه "البشائر" بيان صحفي وقع عليه عدد من المثقفين العرب يطالبون بإلغاء مؤتمر حول إنكار المحرقة كان مزمعاً عقده في بيروت في أواخر آذار 2001. ويدرج كارمون "بشائر" أخرى ويستشهد مطولاً بتصريحات من مفكرين ومثقفين عرب ترفض "عداء السامية"، ولكنه بالرغم من ذلك يقول: "إن عدد هؤلاء الذين ينتقدون عداء السامية في العالم العربي ما زال ضئيلاً، ومعظمهم لا يريدون إعادة التفكير لرفض عداء السامية العربي"[1]. وهو لا يريد أن يرى أن "عداء السامية العربي"، سواء في الكتب المدرسية أو خطب المساجد، ليس إلا تعبيراً

[1] "ميمري"، (Inquiry and Analysis)، رقم 135، 23 نيسان 2003.

عن المواقف البسيطة والمبدئية للشعوب العربية تجاه ظاهرة إسرائيل.

"خيال عراقي"

ومن التقارير، التي وضعتها ميمري مسح لموضوع "الصحافة العراقية الجديدة واليهود"، الذي نشر في نهاية شهر آب[1]. وضع التقرير الدكتور نيمرود رافائيلي، وهو "محلل كبير" في "برنامج الدراسات الاقتصادية للشرق الأوسط"[2] التابع للمؤسسة، واعتمد على مادة قام بجمعها مكتب المؤسسة في بغداد من الصحافة العراقية اليومية، وصحف أخرى كالشرق الأوسط والحياة. وفي المقدمة القصيرة للتقرير يكرر الباحث ثلاث مرات كلمة "خيال" أو "خيالي": فالمقالات العراقية "غالباً ما تنزع إلى الخيال". ولأن الصحافة العراقية الجديدة "لم تعتد على حرية الصحافة"، فإن لا شيء يقف أمام الكثير من هذه الصحف "غير حدود الخيال لمراسليها"، كاستخدام عبارة "الكيان الصهيوني" بدلاً من "إسرائيل". وحتى لا يكون هناك أدنى شك بما يزعج المؤلف في "الخيال" العراقي، فإنه يوضح أن بعض الأخبار والتعليقات حول إسرائيل بشكل عام، واليهود العراقيين السابقين بشكل خاص "جاءت نتيجة لخيال جامح". ما يقلق رافائيلي أن الصحافة العراقية امتلأت بالتقارير حول الوجود الإسرائيلي أو اليهودي في عراق ما بعد الاحتلال. ورافائيلي نفسه يجنح إلى الخيال عندما يكتب أن "بول بريمر ... أخبر العراقيين بأنه يمكنهم طباعة أي شيء طالما أنه لا يحرض على العنف"، ومصدره لهذه المعلومة هو بيان صحفي لـ "سلطة الائتلاف المؤقتة"[3] جاء فيه: "سلطة الائتلاف المؤقتة تدعم وتشجع تطوير صحافة عراقية حرة ومسؤولة"، وهو ما يمكن تفسيره على النحو الذي يرغب فيه من أصدر البيان بهدف تعطيل الصحافة الحرة، كإغلاق صحيفة المستقلة، وهو السبب المباشر في صدور بيان سلطات الاحتلال. ويلاحظ أن بعض ما جاء في الصحافة العراقية يجد قبولاً لدى رافائيلي، كمحاولة ما يسمى بـ "اتحاد المحامين العراقيين" دعم محاولات يهود عراقيين لاسترجاع أملاكهم، وهو ما لا يعلق عليه رافائيلي بتاتاً.

---

(1) *The Middle East Media Research Institute*، 2003/8/17.

(2) هكذا يعرف رفائيلي في إحدى مقالاته، المنشورة بتاريخ 2003/6/17.

(3) *Coalition Provisional Authority*، 2003/7/21.

يقول الدكتور أنور عبد العزيز، أستاذ العلوم السياسية في جامعة بغداد، أن "أهداف إسرائيل السرية في الشرق الأوسط ليست سراً. هذا المركز [ميمري] هو واجهة لهيئات استخباراتية وأمنية يشرف عليها الموساد". أما الدكتورة سعاد بهاء الدين الموصلي من جامعة الرافدين فتقول بحسرة: "العراقيون لم يلفظوا من قبل كلمة 'إسرائيل' على الإطلاق وأشاروا إليها دائماً بالعدو الصهيوني. من كان يتصور أن بغداد ستحوي في يوم من الأيام مركزاً يخدم المخططات والمؤامرات الإسرائيلية؟". وتضيف أنه قبل الإطاحة بنظام الرئيس صدام حسين "كان العراق هو البلد الوحيد في العالم العربي، وربما في العالم أجمع، الذي يطبق العقوبة القصوى بحق من يقوم باستيراد منتجات إسرائيلية. هذه حصيلة احتلال العراق، وهو ما يؤكد اعتقادنا أن إسرائيل والولايات المتحدة هما وجهان لعملة واحدة"[1]. ما يقوله جامعيون عراقيون لم يجد مكاناً له في تقييمات ميمري، على العكس من مقالات خالد القشطيني حول اليهود العراقيين، التي نشرت في "الشرق الأوسط" وأثارت جدلاً حول "مساهمة يهود العراق، والظروف التي أدت إلى إخلائهم من العراق"، حسب رافائيلي، الذي أعلن أنه سيخصص دراسة كاملة تتناول هذه المقالات. والسبب وراء الاهتمام بمقالات القشطيني يقدمه رافائيلي نفسه عندما يتكلم حول "التأثير العميق لليهود في الاقتصاد والمجتمع العراقيين".

"مقيم في بغداد"

وإن كان رافائيلي يدرج ما ينبض به الشارع العراقي في خانة "الخيال"، فالأمر يصل بالصحافي نير روزن[2] "حد الغثيان" عندما جمع في مقال مطول ما يتردد في الشارع العراقي حول اليهود وإسرائيل إذ يذكر "إشاعة" تقول "في إسرائيل يبنون بيوت الدعارة لتبدو كالمساجد". ويستشهد روزن بمقالات من الصحافة العراقية، معظمها مما جمعه رافائيلي في مقاله الذي نشرته ميمري. ويركز الكاتب على الجانب الديني، أي "اليهودية" مقابل "الإسلام"، ولكنه لا ينسى الإدانة المألوفة للنظام العراقي السابق وتبرأة العدوان الأمريكي على العراق عندما يفسر الإشارات إلى "اليهود"، التي تتردد في كل مكان بأنها "تؤكد

---

(1) (Islam Online)، 2003/8/16.

(2) (Nir Rosen)؛ المقال نشر في (Asia Times)، 2003/11/26.

مدى إساءة فهم العراقيين للعالم الخارجي وخوفهم منه وهو ما جاء نتيجة سنين من الاستبداد، السيطرة، والخوف، وقلة في مصادر المعلومات التي لا يتحكم بها البعثيون أو المراجع الدينية". ولم يلجأ الكاتب إلى أي من هذه المراجع الدينية أو غيرها قبل أن يستشهد بآيات من القرآن، ويفسرها على هواه ليستنتج بأنها تعبر عن موقف معادٍ لليهود. ويبدو أن روزن مدرك لدور إسرائيل في عداء العراقيين لليهود، إذ يقول: "مع تأسيس إسرائيل، الدولة اليهودية التي هزمت العرب والمسلمين واحتلتهم، أصبح اليهود يشكلون تهديداً، بدلاً من أن يبقوا من مخلفات الماضي. لهذا اقتبس الكتاب العرب والمسلمون أفكاراً أوروبية عنصرية ومعادية للسامية ونظريات المؤامرة لتفسير وجود إسرائيل وقوتها وتأثيرها على السياسة الأمريكية". نظريات مؤامرة؟ ولكن ماذا عن "صك الانتداب"، الذي مهد الطريق نحو تأسيس كيان يهودي في فلسطين دون أي حساب لسكان البلاد وبدعم بريطاني، وفيما بعد أمريكي، غير محدود يستمد منه هذا الكيان قوته. إن مشاعر الشارع العراقي لا علاقة لها بأي أفكار مستوردة من أوروبا حول "عداء السامية"، فما كتبه روزن نفسه مبرر كاف لهذا العداء. وقد يكون الدافع وراء كتابة المقال هو محاولة التغطية على الأسباب الحقيقية للعدوان على العراق، وهو حماية إسرائيل أو تحقيق الأمن لها، وهو ما تدركه المقاومة العراقية، التي لا يمكن لروزن القبول بها. فالموضوع برمته لا علاقة له بـ "عداء السامية" أو "نظريات المؤامرة" عندما تكتب الغارديان أن "الكثير من العراقيين يقولون أنهم يرحبون بأي فرصة تمكنهم من مهاجمة القوات الأمريكية، لأنهم يعرفون أن هناك جنودا يهودا في صفوف هذه القوات"[1]. في موقعه على الإنترنت يعرف روزن عن نفسه بأنه "ولد في نيويورك عام 1977 من أم بوسنية وأب إيراني. وهو كاتب، مصور، وسينمائي حر يقيم في بغداد منذ الخامس عشر من نيسان"[2]، وهو لا يشير من قريب أو بعيد إلى جنسيته. ولكنه في الحقيقة إسرائيلي دخل بغداد ولم تمض بضعة أيام على سقوطها.

---

[1] (The Guardian)، 2003/12/15.

[2] (http://www.nirrosen.com/).

"الوطن المحطم"

فـــي مقال تحت عنوان "الوطن المحطم"[1] يشير روزن أنه "زار إسرائيل مـــن جديد بعد غياب استمر ثلاثة أعوام" ويشير إلى أن ما عاشه هذه المرة كان تكـــراراً حرفياً لطفولته، عندما "أجبرتنا الانتفاضة (الأولى)، نحن الإسرائيليين، أن نجابـــه الحقيقة بأن هناك سكاناً عرباً ننكر عليهم تطلعاتهم ونحتل أرضهم". ويكتـــب أيضاً: "كنت في الماضي أحلم بالالتحاق بالقوات الخاصة الإسرائيلية، والـــيوم لا يمكنني تحقيق هذا الهدف حتى لو أردت ذلك. إذ أبلغني مسؤول في وزارة الخارجـــية أن لـــدى الحكومـــة الإســـرائيلية ملفاً جاء فيه أني أقف مع الفلســـطينيين، ومعادٍ للصهيونية 'وعدو للدولة'". وبالرغم من هذا "الكشف" فإن روزن فـــي مواقفـــه لا يخـــتلف عن الاتجاه السائد والمدروس الذي ينكر حق الشـــعب الفلســـطيني في تقرير مصيره ويكرس وجود إسرائيل في المنطقة، إذ يكتـــب: "الفلســـطينيون أيضـــاً ليسوا خارج إطار اللوم. لا يوجد صراع أبيض أســـود، الخير ضد الشر. إذا كان الإسرائيليون سينسحبون من المناطق المحتلة، فـــإن علـــى الفلسطينيين، وبقية العالم العربي، أن يبدؤوا بالتفكير ويتوقفوا عن وضـــع اللـــوم لفقـــرهم، جهلهم، والنقص في الإنجازات والحرية على عوامل خارجـــية. ولكـــن كيف يمكن للفلسطينيين أن ينخرطوا بأي عملية فكرية بينما يتضورون جوعاً ويذبحون؟". ألا يعبر هذا الكلام المضلل عن الموقف الرسمي لحكومـــة شـــارون والحكومـــات السابقة، التي تتفادى المسألة الجوهرية وهي الانســـحاب الكـــامل غير المشروط من الأراضي المحتلة عام *1967* وإعطاء الفلســـطينيين حـــق تقريـــر المصـــير. وتساؤل روزن لا يختلف عن "الأسئلة البلاغـــية"، التي ينصح بها "مشروع إسرائيل"[2]. أما أراضي عام *1948* فهي قصة أخرى.

صحافيون

لا يعـــرف إذا كـــان روزن هو أحد الصحافيين الإسرائيليين، الذين دخلوا العـــراق مـــع القوات الغازية ويحملون جنسيات مزدوجة. فهؤلاء حصلوا على

---

[1] *(Counterpunch)*، *2002/4/24*.

[2] *أنظر الفصل الثاني.*

بطاقات اعتماد من القوات الأمريكية ولكنهم لم يتمكنوا من دخول الكويت سوى بصفتهم مراسلين لوسائل اعلام دولية ليخفوا هويتهم الإسرائيلية. وحسب صحيفة الشرق الأوسط اللندنية دخل ثلاثة منهم بجوازات سفر إسرائيلية. وتضيف الصحيفة أن الصحافيين الإسرائيليين "يحاولون التكلم بلغات أجنبية وعندما ينقل أحدهم تقريراً فإنه يبتعد حتى لا يسمع وهو يتكلم العبرية". وواجهت كارولين غليك[1] العاملة في صحيفة الجيروساليم بوست "صعوبات" في الكويت، بالرغم من أنها تحمل بطاقة اعتماد من صحيفة "الشيكاغو صن تايمز"[2]، التي تنتمي إلى مجموعة صحفية تضم الصحيفة الإسرائيلية. إذ "أرغمت" الصحافية من قبل السلطات الكويتية على توقيع اعلان تتعهد فيه بعدم نشر أي شيء في الصحافة الإسرائيلية. ومنعت القوات الأمريكية الصحافي الإسرائيلي دان سكيماما[3]، مراسل الاذاعة والتلفزيون الاسرائيليين، من دخول الأراضي العراقية لكنه نجح في نهاية الأمر من أن "يندس بين مراسلين آخرين لتغطية الحرب". صحيفة يديعوت أحرونوت أرسلت موفداً خاصاً إلى بغداد لكنه يعمل بحسب رئاسة التحرير كصحافي فرنسي يكتب باسم مستعار أخفيت هويته بعناية كبيرة[4]. وبعد الاحتلال لم تعد هناك حاجة إلى إخفاء هوية الصحافيين الإسرائيليين كأساف حاييم[5]، مراسل صحيفة معاريف، الذي كان يتجول في العراق بحرية[6].

العلاقات مع إسرائيل

في شهر كانون الأول عام 2003 تساءل عضو مجلس الشيوخ الجمهوري

---

(1) (Caroline Glick).

(2) (Chicago Sun Times).

(3) (Dan Scemama). حسب (Haaretz)، 2003/3/29 احتجز سكيماما وبوآز بيسموث (Boaz Bismuth) لمدة 48 ساعة من قبل القوات الأمريكية بعد أن تبين أنهما لا يحملان بطاقتي اعتماد.

(4) (Agence France-Presse)، 2003/3/24. حول المعلومات من صحيفة "الشرق الأوسط" اللندنية أنظر "الرأي" الأردنية، 2003/3/24.

(5) (Assaf Haim).

(6) أنظر ص 139؛ لا يعرف فيما إذا كان مراسل "الجيروساليم بوست"، الذي ذكر تصريحات لـ "مسؤول كبير" في "مجلس الحكم الانتقالي" كان موجوداً في العراق (ص 75 أدناه).

جون كيل[1] (أريزونا) أثناء زيارته لإسرائيل "هل سيكون العراق حليفاً لأمريكا ومعادياً لإسرائيل، علينا أن نضمن أن لا يكون كذلك". وقال أن على الولايات المتحدة أن تعالج موضوع علاقات العراق بإسرائيل كـ "مسألة حساسة"، وتقنع هذا البلد بأن دعمه لإسرائيل يخدم مصالحه. أما النائبة جاين هارمان[2] (كاليفورنيا)، الديموقراطية وعضو "لجنة المجلس للمخابرات"، فقالت أن على العراقيين أن يقرروا بأنفسهم، ولكنها أوضحت "أنهم سيرغبون بلا شك باستكشاف الإمكانيات التكنولوجية، وفي الجوار هناك إسرائيل، وهي الأكثر تطوراً في هذا المجال"[3].

بدأت التصريحات بإقامة علاقات مع إسرائيل قبل بداية العدوان على العراق، ففي بداية آذار أعلن انتفاض قنبر، ممثل "المؤتمر الوطني العراقي" في واشنطن، دعمه لأن تقوم الحكومة العراقية المقبلة بالتوصل إلى "اتفاقية سلام مع إسرائيل، وسنحل جميع النزاعات الإقليمية سلمياً". وأضاف: "لا نريد أن نكون فلسطينيين أكثر من الفلسطينيين أنفسهم، ولكننا نريد للفلسطينيين أن يقيموا دولة ديموقراطية في المستقبل القريب"[4]. في أيار قال برهم صالح، رئيس حكومة "الاتحاد الوطني الكردستاني"، إن العلاقات مع إسرائيل ستكون مدار بحث في الحكومة العراقية المقبلة[5]. جلال طالباني، رئيس "الاتحاد"، صرح في تموز *2003* في دمشق "أن الحكومة العراقية المقبلة لن تقيم علاقات مع إسرائيل"، ولكنه أضاف: "إذا كانت هذه العلاقات موجودة فعلاً فلن نتردد في الحديث عنها، فنحن لا نرغب أن نكون فلسطينيين أكثر من الفلسطينيين أنفسهم. العلاقات العربية الإسرائيلية موجودة، والعلم الإسرائيلي لا يرفرف فوق كردستان ولكن في قلب أكبر بلد عربي"[6]. وأوضح طالباني نقطة أخرى: "إذا كان اليهود الأكراد يرغبون بالعودة إلى قراهم وأراضيهم التي تركوها قبل عشرات السنين بمحض إرادتهم، فهم أحرار في أن يفعلوا ذلك. لن تكون هناك مقاييس مزدوجة في كردستان". وطالباني الذي لا يريد أن يكون "فلسطينياً أكثر

---

(1) (*Jon Kyl*).

(2) (*Jane Harmann*).

(3) (*Associated Press*)، *2003/12/17*.

(4) (*Arabic News.com*)، *2003/3/8*.

(5) (*Arabic News*)، *2003/7/5*.

(6) حسب "الشرق الأوسط"، الصادرة في لندن، *2003/7/9*.

مـــن الفلسطينيين"، يوافق على عودة اليهود الأكراد إلى العراق، لكنه عندما لا يطالـــب بعودة الفلسطينيين إلى "قراهم وأراضيهم" يصبح دون أدنى شك "يهودياً أكثر من اليهود". "عودة اليهود إلى شمال العراق" عكستها مخاوف عبرت عنها صـــحف عراقـــية فـــي حزيران: "العشرات من اليهود غزوا محافظة الموصل مؤخـــراً كموطئ قدم لتأسيس مستعمرات في أجزاء مختلفة من العراق"[1]. وفي نهاية شهر تموز *2003* كان سيلفان شالوم، وزير الخارجية الإسرائيلي، يناقش آخـــر الـــتطورات في العراق مع كولن باول، وزير الخارجية الأمريكي، يقول شـــالوم: "كنا متشجعين جداً، فالوضع سيدفع قادة المنطقة للتفاوض مع إسرائيل والـــتقدم نحـــو إرساء سلام مع إسرائيل. لسنوات عديدة كان هؤلاء خائفين من اتخـــاذ خطـــوة في هذا الاتجاه وصدام حسين في السلطة". وأضاف باول معلقاً علـــى الحكم الجديد في العراق، أي مجلس الحكم الانتقالي: "مع تقدم هذا الحكم إلـــى الأمام سيجدون أن في مصلحتهم تأسيس حكومة ديموقراطية تعيش بسلام مـــع جيرانها ولا تهددهم وأن لا يفكروا بأسلحة الدمار الشامل، وكجزء من هذه العملـــية سيجدون أن في مصلحتهم إرساء سلام مع دولة إسرائيل وأنهم يريدون ذلـــك ... هـــذه توقعاتـــي"[2]. وحسب تصريح لمسؤول كبير من "مجلس الحكم الإنتقالـــي" نشـــرته الصـــحيفة الإسرائيلية الجيروسالم بوست[3] كان مسؤولون إسرائيليون يحاولون عقد "صفقة بترولية خلف الكواليس مع الأكراد".

"يهود كردستان"

طالباني محق تماماً عندما يذكّر بأكبر دولة عربية سمحت للعلم الإسرائيلي أن يرفرف في سمائها، ولكنه نسى أن هذه الرفرفة لم تحصل في ذلك البلد وهو محـــتل ومســـلوب الإرادة، كما في العراق اليوم. وأن الاحتلال الأمريكي يعني ببســـاطة اخـــتراقاً صهيونياً للعراق أكده طالباني نفسه في مناسبة أخرى. ففي شـــهر آب عـــام 1999 وافق على تأسيس حزب يهودي في محافظة السليمانية

---

[1] نشر المقال بالإنجليزية في (*Al-Hilal News*)، وذكره "جايمس بيكرتون"، الذي زار العراق، في (*Newsday.com*)، *2003/6/22*.

[2] حســـب المؤتمـــر الصـــحفي الـــذي عقـــد في واشـــنطن بـــتاريخ *2003/7/23*. أنظـــر نـــص المؤتمـــر في الموقـــع الـــرسمي لـــوزارة الخارجـــية الأمريكـــية (*http://www.state.gov/secretary/rm/2003/22710.htm*).

[3] (*The Jerusalem Post*)، *2003/12/25*.

تحت اسم "يهود كردستان". وفي حينها أشارت صحيفة بابل إلى أن "موافقة الاتحاد الوطني الكردستاني على تأسيس هذا الحزب جاءت بعد موافقة إسرائيل على تقديم الدعم المالي المطلوب". ولم تذكر في حينه أي معلومات حول رئيس الحزب[1]. وحسب مصادر أخرى ذكر أن طالباني قال في اجتماع للاتحاد آنذاك "أن معارضة فتح مقر لهذا الحزب سيدفع الولايات المتحدة إلى أن تطلب منا رسمياً فتح هذا المقر". وذكر أنه قال: "إن أي شخص يعارض ذلك عليه أن يوقف الجيوش التي ستحضرها الولايات المتحدة إلى كردستان". وفي آذار عام 2000 أشارت صحيفة العراق[2] الصادرة من السليمانية أن طالباني يدعم تشكيل مثل هذا الحزب، وأن نشاطه هو "جزء من الديموقراطية في كردستان". وتجدر الإشارة إلى "مؤسسة كردستان في واشنطن" تعمل على قضايا "تهم الأكراد في الولايات المتحدة، تركيا، إيران، العراق، سوريا، وإسرائيل" بالتنسيق مع "المؤسسة اليهودية لشؤون الأمن القومي" (جينسا)[3].

الهدف تفكيك العراق

لا تخفي إسرائيل رغبتها بتفكيك العراق إلى ما يسمى بوحدات إثنية أو دينية، وهو ما قد يكون أحد الخيارات الأساسية المطروحة في التخطيط السياسي الأمريكي لمستقبل العراق. شلومو أفينيري[4] كتب مقالاً لـ "كردستان أوبزيرفر" يروّج فيه لهذا الهدف ويقتدي بمثال الاتحاد السوفياتي ويوغوسلافيا، ويطالب بـ "حل خلاق ومبدع للعراق"، يتلخص بـ "إنشاء دولة كردية في الشمال، وواحدة سنية عربية في الوسط حول بغداد، وأخرى شيعية عربية في

---

(1) حسب (Arabic News.com)، 1999/8/11.

(2) 2000/3/21، حسب موقع (Iraq Report)، 2000/3/31 (مجلد 3، رقم 8).

(3) (Washington Kurdish Institute)؛ أنظر (Turkish Daily News)، 1996/10/5. يذكر هذا المصدر أن مايكل أميتاي (Michael Amitay)، المدير التنفيذي لـ "مؤسسة كردستان في واشنطن"، هو ابن موردخاي أميتاي، الذي كان يحتل منصب "مسؤول كبير" في جينسا. لم نستطع العثور على موردخاي أميتاي هذا في جينسا، ولكن هناك في المؤسسة موريس أميتاي (Morris Amitay)، الذي يعمل كنائب الرئيس. أميتاي مدير سابق لأيباك وأحد مؤسسي "التحالف من أجل الديموقراطية في إيران" (Coalition for Democracy in Iran).

(4) (Shlomo Avinery)، أستاذ العلوم السياسية في الجامعة العبرية؛ أنظر (Kurdistan Observer)، 2003/10/23.

الجنوب". وهذا التقسيم الذي يثير العجب يخضع مرةً لمقاييس دينية ومرة أخرى لمقاييس قومية، وإذا أردنا الإنصاف والعدل على الطريقة "الأفينيرية"، فينبغي أن يكون هناك "دولة سنية كردية"، أسوة بأختيها، وليس مجرد "كردية"، كما طالب في مقاله. الأستاذ أفينيري الذي "يفكر بما لا يفكر به أحد"، لم ينس أن يزج في مقاله "الكليشة" المعهودة حول يهود العراق، بالرغم من أن ذلك لا علاقة له بالموضوع: "لم يكن الأمر مجرد صدفة أن تشكل في بداية الأربعينات حكومة رشيد عالي الكيلاني الفاشية الموالية للنازية. لقد قمع البريطانيون هذا البلاء، ولكن ليس قبل أن يقتل المئات من اليهود في الفرهود[1]، الذي خططت له هذه الحكومة".

أكراد في تل أبيب

قصة الرضيعة، التي أجريت لها عملية جراحية في أحد مستشفيات إسرائيل في أواخر تشرين الثاني عام *2003*، تكشف عن علاقات غير معلنة بين أطراف عراقية في شمال العراق ومنظمة مسيحية صهيونية بدعم من قوات الاحتلال الأمريكية. والقصة يرويها البوق الدعائي الصهيوني من أمريكا "إسرائيل القرن الحادي والعشرون"[2] وتقول أن "الأمريكي المسيحي" جوناثان مايلز[3] يدير "شيفيت أخيم"[4]، وهي "منظمة غير ربحية توفر الخدمات في مراكز طبية إسرائيلية للمرضى من الأطفال العرب". السيد مايلز سمع بوجود رضيعة عراقية كردية تدعى بيان جاسم تعاني من خلل مرضي في القلب، فاتصل بسيمون فيشر[5] مدير منظمة "أنقذوا قلب طفل"[6] الإسرائيلية، وهي تتخصص بإحضار الأطفال الذين هم بحاجة لإجراء جراحة في القلب إلى "مركز فولفسون الطبي" في حولون، جنوب تل أبيب، وقد نقلت المنظمة جواً "أكثر من 500 طفل من دول أجنبية، بما في ذلك أطفال من الضفة الغربية

---

(1) *اضطرابات عام 1941 كما كانت تسمى في العراق؛ أنظر ص 130.*

(2) *(Israel21c)، 2003/11/30؛ أنظر أيضاً (Haaretz)، 2003/5/16؛ و (Chicago Tribune)، 2003/12/5.*

(3) *(Jonathan Miles).*

(4) *(Shevet Achim).*

(5) *(Simon Fisher).*

(6) *(Save A Child's Heart).*

وقطـــاع غزة". المهم أن "المسيحي الأمريكي واليهودي الإسرائيلي" قررا العمل معاً لإحضار الطفلة العراقية إلى إسرائيل لإجراء عملية لها.

"جسر بين الشعبين"

إحضـــار الطفلـــة بيان إلى تل أبيب كان نتيجة تعاون فريد بين "مسيحيين، مســلمين، ويهود" أو "أمريكيين، عراقيين، أردنيين، وإسرائيليين". "اليهودي" هنا هو "الإسرائيلي" و"المسلم" هو "العراقي والأردني"، و"المسيحي" هو "الأمريكي"، ولــم يــبق مكــان للفلســطيني في هذا الخليط، فهو يوصف، كما سنرى، بأنه "عربـــي". المهم أن تذكر صفة "يهودي"، حتى لا يكون هناك أدنى شك بأن من عـــالج الفتاة العراقية كان "إسرائيلياً يهودياً". كانت القرارات تتخذ "بلمح البصر" بيـــن الأطـــباء العراقيين والأطباء الإسرائيليين بواسطة هواتف فضائية للجيش الأمريكـــي، فأصـــدرت "تصاريح سفر" لبيان وعائلتها للسفر جواً، ثم براً عبر الأردن. إن ســـرعة قرار "المسؤولين العراقيين بإصدار هذه التصاريح بالسفر إلـــى إســـرائيل قد يكون مؤشراً إلى رغبة الحكومة القادمة بتطبيع العلاقات مع إســـرائيل". وقـــبل ســـفر العائلة، بادر عكيفا تامر[1]، مدير قسم جراحة القلب للأطفـــال، إلـــى "إعطـــاء إرشادات لطبيب في بغداد حول كيفية إجراء جراحة صغيرة للطفلة حتى تستقر حالتها". ولدى وصول العائلة العراقية إلى المستشفى قوبلـــت بـــ "التحية العربية السلام عليكم". ويقول موشيه ماشياح[2]، وهو نفسه يهـــودي هاجـــر من العراق عام 1951، "آمل أن تنجح الجراحة وأن تخدم هذه الطفلـــة كجســـر بيـــن الشعبين"، أي بين الشعب الذي كان ينتمي إليه الطبيب، و"الشـــعب" الـــذي أصبح ينتمي إليه. كما أن ليور ساسون[3]، الذي أدار العملية الجراحية هو أيضاً "ابن مهاجرين يهود من العراق". وبعد أسبوعين من الانتهاء مـــن العملية قال جاسم عبد الله، والد الطفلة: "في أيام صدام ربما قتلت من أجل هذا. ولكن الآن الأمر طبيعي. العراق حر الآن، ويعاملوننا هنا باحترام"، يقصد في إسرائيل.

---

(1) (Akiva Tamir).
(2) (Moshe Mashiah)، مدير "مركز فولفسون الطبي".
(3) (Lior Sasson).

"عالم صغير"

ومـــنذ وصـــول العائلة "الكردية"، قدم الإسرائيليون "يهوداً وعرباً، الطعام، المـــأوى والعطـــف". وصرّح والد الطفلة ليديعوت أحرونوت: "لم أكن أحلم قط بالمجـــيء إلى إسرائيل. لقد أخبروني في الماضي أن إسرائيل مكان سيئ، وما أراه أن الـــناس هنا طيبون، الجميع يريد المساعدة". وبعيداً عن براءة الأطفال، أفـــاد فيشر، مدير منظمة "أنقذوا قلب طفل"، "أريد لهذا التعاون أن ينتشر بشكل أكـــبر. إنهـــا بداية جيّدة لتعاون واسع بين الولايات المتحدة، إسرائيل، العراق، والأردن. هناك أكراد من العراق، يهود من إسرائيل، الجميع ملتزمون ويعملون معاً. وفي الحقيقة فإن د. ماشياح من العراق، وكذلك عائلة د. ساسون، كل هذا يـــدل على أننا نعيش في عالم صغير". إنه حقاً عالم صغير، ذلك أن "الأمريكي المســـيحي" جوناثـــان مايلز يحمل معتقدات تدعو إلى عودة اليهود إلى "الأرض المقدســـة". بدأت مسيرة مايلز المهنية كصحفي تلفزيوني في ألباني (نيويورك)، ثـــم درس فـــي "كلـــيـــة فولر للاهوت"[1] في باسادينا (كاليفورنيا)، وهنا تأثر بتركـــيز "الأنبياء العبريين على العودة إلى الشرق الأوسط". فجاء إلى إسرائيل مصـــمماً علـــى "مساعدة المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفياتي سابقاً، ولكنه واصـــل توســـيع مجـــال نشـــاطاته". فقـــد اكتشف بعد زيارته لغزة أن "أطفالاً فلســـطينيين يموتـــون لنقص العناية الطبية، التي يمكن الحصول عليها على بعد بضـــعة أمـــيال من غزة لا غير". وقرأ في إحدى المجلات أن طبيباً إسرائيلياً يرغـــب فـــي أن يعـــالج أطفالاً فلسطينيين. وهكذا أخذ د. كوهين في مستشفى فولفســـون يعـــالج الحالات التي يرسلها لـــه مايلز، الذي انتقل إلى قطاع غزة وســـكن فـــي رفـــح لمدة خمس سنوات، وأرسل بناته، اللواتي ارتدين الحجاب "كملبس تقليدي وللتواضع"، إلى مدارس عربية.

"اخوة معاً"

أطلـــق مايلـــز علـــى منظمته اسم "شيفات أخيم"، وقد استوحاه من مطلع المزمور 133 ("هوذا ما أحسن وما أجمل أن يسكن الأخوة معاً")، ولهذا عرب

[1] (Fuller Theological Seminary).

اســم المــنظمة على نحو "اخوة معاً". وهو كثيراً ما يتلو صلواته بالعبرية قبل الــبدء بــالعمل، إذ بالنســبة لــه، هذا تأكيد على "ارتباط المسيحية بالمصادر اليهودية". وهو يؤمن بقوة "بعودة اليهود إلى أرضهم، ولكن من الخطأ فهم ذلك بحرفية كبيرة في سياق الأحداث الراهنة". ولا يوضح حدود هذه "الحرفية" التي كانت سبباً في ظهور المشكلة الفلسطينية، لكن يبدو أن عنده الحل، عندما يقول: "كلمــا ازداد اقترابــنا من قلب الله، رأينا حبه لكل الشعوب ودعوته لنا أن نقوم بالمــثل". ولكــن الــتقرب مــن الله وحب الشعوب يبقيان عديمي التأثير بدون الــتمويل، الذي يحصل عليه من "الولايات المتحدة، بريطانيا، ألمانيا، وإسرائيل" وتصــل الميزانــية السنوية لمنظمته إلى 125 ألف دولار. الصلوات التي كان مايلــز يتلوها بالعبرية، لم تكن ذات نفع كبير. ففي حزيران عام 2002 أبعدته الســلطات الإسرائيلية بعد أن أقام في "البلد" لمدة طويلة، رغم أنه كان يقيم في قطــاع غــزة، وهي من المناطق التابعة لـــ "السلطة الفلسطينية". تقول الناطقة باســم وزارة الداخلية، توفا إلنسون[1]، "كان يقوم بأشياء مهمة جداً للفلسطينيين. ولكنه مكث في البلد بشكل شرعي لمدة طويلة. لا يمكننا أن نسمح لأحد بتجاهل قوانيــنا". ولكــن هــناك من يقف إلى صفه مثل تسيون هوري[2]، الذي يقول: "عــندما تكون في حرب وتشعر أنك الطرف الأقوى فأنه يمكن أن تسمح لنفسك بالمســاعدة". وهكذا انتقل مايلز إلى عمان وواصل إدارة منظمته بـــ "الريموت كونترول"، على حد تعبير الكريستيان سيينس مونيتور[3].

"إخواننا وأخواتنا الإسرائيليون"

مــا لــم تذكره الصحيفة السابقة هو أن جوناثان مايلز عضو في مجموعة مســيحية صهيونية تطلق على نفسها اسم "إرساليات احتضنوا إسرائيل" (سيدار رابــيدس، أيوا)[4]. وتندرج تحت أسماء مختلفة، من بينها "إرساليات الرحمة"، وهــي عملــياً فروع تنشط في فلسطين، وتعمل في مشاريع فرعية كـــ "النور

---

(1) (Tova Ellinson).

(2) (Zion Houri)، المدير الطبي لبرنامج "أنقذوا قلب طفل".

(3) (The Christian Science Monitor)، 2002/8/22؛ حسب رسالة بتاريخ 2/12/ 2003.

(4) المعلومات المدرجة هنا من موقع الطائفة (Embrace Israel Ministries).

للشعوب"، وهو المشروع الذي يعمل فيه مايلز ويركز على قطاع غزة. ولا يبدو أن لطائفة "احتضنوا إسرائيل" هدف سياسي واضح، بل أنها تتعمد الغموض بالنسبة لأي "إسرائيل" تقصد، "إسرائيل" التوراة أو "إسرائيل" الحديثة، ولكنها تدرج في موقعها عدداً من الوصلات[1] للحصول على "أخبار عاجلة"، من بينها "ميمري"، ليتأكد للمرء أي "إسرائيل" عليه احتضانها. ويتضح اتجاه المنظمة المشبوه عندما نعلم أن حاجتها إلى الدعم المالي تصل، كحد أدنى، إلى مبلغ "15000 دولار شهرياً لتلبية التزامنا تجاه إخواننا وأخواتنا الإسرائيليين". ففي رسائل[2] بعثها مايلز إلى "أصدقائه" في المنظمة الأم ونشرت على الإنترنت، تتكشف تفاصيل أخرى حول موضوع إجراء العملية الجراحية للطفلة الكردية بيان جاسم في تل أبيب، وتشير بوضوح إلى اختراق إسرائيلي أو صهيوني لعراق ما بعد الغزو الأمريكي والبريطاني.

"الإيمان والشجاعة"

جوناثان مايلز ومعه فريق لم يحدد عدد أفراده، كان موجوداً في شمال العراق قبل اكتشافه وجود الطفلة بيان. ففي التاسع عشر من تشرين الثاني 2003 قابل الطبيب الاختصاصي في القلب المقدم جون سكوت[3]، الذي كان يعاين بيان في عيادة في كركوك تابعة للجيش الأمريكي. و"على الفور" أدرك أن هذه حالة طارئة، وفي المساء ذهب مايلز والفريق إلى دكوك، قرية العائلة، و"لم يعترض أحد على فكرة إرسال الطفلة بيان إلى إسرائيل، فالكثير من اليهود كانوا يعيشون مع الأكراد قبل الذهاب إلى إسرائيل، وهناك تاريخ طويل للعلاقات الودية بين الشعبين". وفي صباح يوم الخميس اتجه مع العائلة

---

(1) "وزارة الخارجية الإسرائيلية"، موقع "أساطير وحقائق أونلاين" التابع لـ "المكتبة اليهودية شبه الحقيقية" (Jewish Virtual Library)، "رصد وسائل الإعلام الفلسطينية" (Palestinian Media Watch)، "أروتس شيفا - الأخبار القومية الإسرائيلية"، "إسرائيل نيوز دايجست" (Israel News Digest) التابع لـ "أصدقاء إسرائيل المسيحيون" (Christian Friends of Israel) (القدس).

(2) وهي بتاريخ 2003/11/22 (من عمان)؛ 2003/11/25 (من تل أبيب)؛ 2003/12/2 (من تل أبيب). نشرت الرسائل في موقع المنظمة (http://www.embraceisrael.org/israelministries/lightmat.htm).

(3) (John Scott).

وبمـــرافقة ممرضة الأطفال أنجيلا ريكاردز[1] إلى بغداد، وقابل أحد أخصائيي القلـــب "الذيـــن كنا نعمل معهم"، الذي تمكن من جمع فريق يضم ستة إلى سبعة أشخاص ليقوموا بعملية صغيرة للطفلة في اليوم التالي. واتصل رائد في الجيش الأمريكـــي بإســـرائيل وجرت مكالمة هاتفية بين طبيب عراقي وآخر إسرائيلي لتـــبادل الرأي حتى تبقى حالة الطفلة مستقرة اثناء نقلها. وفي هذه الأثناء كانت ريكـــاردز تنهـــي معاملة الحصول على وثائق سفر للعائلة من "وزارة الداخلية العراقـــية" رغم أن اليوم كان الجمعة. وبدون تردد وافقت المنظمة العالمية "إير ســـيرف"[2] علـــى نقل الطفلة إلى عمان. ويوم الثلاثاء الخامس والعشرين من تشـــرين الثانـــي حصلت العائلة على تأشيرة دخول إلى إسرائيل بعد أن اتصل "نائـــب رئـــيس بعثة السفارة الإسرائيلية بمايلز وحرر التأشيرات شخصياً بخط الـــيد، متمنياً بكل دفء علاقات أحسن مع العالم العربي". وعلق مايلز على ما حصل: "لم نكن قد خططنا لما حدث. كنا نراقب بخشوع ما كان يقوم به الرب، وكل ما كان يتطلبه منا هو الإيمان والشجاعة".

"وادي" الألمانية

مـــن حيث المبدأ، لا تختلف الجمعية الألمانية "وادي" عن المنظمة السابقة، وقـــد ابتدأت عملها في المناطق الكردية عام 1991 "من قبل مجموعات مختلفة وأفـــراد" وسجلت رسمياً في فرانكفورت عام 1992 تحت اسم "اتحاد المساعدة فـــي الأزمـــات والـــتعاون التنموي". وفي عام 1995 أصبح للجمعية مكتباً في "كردســـتان العـــراق" يديـــره "عاملون محليون". والجمعية التي لا تكشف عن "الأشـــخاص" الذين يقفون وراءها، لا تعنى بمجرد "المساعدة الخيريـــة"، وإنما "تعزيز التواصل الاجتماعي من خلال عمل تنموي للمشاريع والمبادرات". وفي الصـــدارة تجـــئ "العلاقـــة بيـــن تقديم يد المساعدة في المكان، التوعية بأسباب الاضـــطهاد، الفقـــر، واللجـــوء". وتذكـــر الجمعية أنها تقوم بدعم مشاريع في "كردستان العراق" وفي "الأردن وإسرائيل/فلسطين"، من بينها "نساء في أوضاع نفســـية صعبة، ضحايا العنف الجنسي، الأسرى، واللاجئين". وفي ألمانيا تنشط الجمعية في دعم اللاجئين من المنطقة، وتناضل من أجل الحق الأساسي للجوء،

---

[1] (*Angela Rickards*).
[2] (*Air Serv International*).

وتعـرض "أوضاع حقوق الإنسان في العراق، كردستان العراق، وبلدان أخرى في المنطقة". وفي حين لا تشير الجمعية إلى طبيعة نشاطاتها بعد الاحتلال، فإن مواقفها المريبة تظهر في بيان صحافي أصدرته في الرابع والعشرين من آب 2003 "تنتقد" فيه المظاهـرة التي أعلن "المنتدى الاجتماعي النمساوي" عن إقامتها بتاريخ السابع والعشرين من أيلول بمناسبة الذكرى الثالثة لانتفاضة الأقصى، تحت شعار: "لتخرج القوات الأمريكية البريطانية من العراق – الحرية لفلسطين". "وادي" تتبنى موقفاً داعماً لاحتلال العراق، ولكنها تحجم عن التعليق على شعار المتظاهرين حول فلسطين. إن هذا الغموض المريب يرجح إلى أن خلفية "وادي"، وبالنظر إلى نشاطها في المناطق الكردية، لا علاقة له بمساعدة العراقيين الأكراد، خاصة وأن البيان يذكر اسم الصهيوني توماس شميدينغر كأحد أعضائها[1].

الموساد

في بداية شهر تموز ذكر أن عملاء من الموساد كانوا يتفاوضون مع مسؤولين أكراد حول عودة يهود عراقيين من الشمال إلى العراق. وقدر المسؤولون الأكراد عدد اليهود الأكراد الذين "طردوا من العراق"، بمائة وخمسين ألف، في حين أوضحت الصحيفة التي أوردت الخبر[2] أن العدد لا ز الخمسين ألف يهودي. وتضيف الصحيفة أن "الحملة الشرسة لإعادة توطين اليهود في العراق تثير حفيظة العراقيين، وبشكل خاص رجال الدين"[3]. وبناء على صحيفة "الحياة" أشار أحد المسؤولين الأكراد إلى أن فريقاً من الموساد زار بغداد في شهر آب لتنسيق جهود محاربة "الإرهاب" مع القوات الأمريكية في العراق. وقام الفريق بجولة ميدانية في العاصمة العراقية وبجولات جوية بمروحية أمريكية فوق الموصل، تكريت، والرمادي. وأوضح المسؤول أن التنسيق الأمريكي الإسرائيلي جاء نتيجة لتقارير تفيد بتصاعد تأثير

---

(1) المعلومات حول "وادي" (*Wadi*) من موقعها على الإنترنت. حول مواقف شميدينغر أنظر أدناه ص ص *123-125*.

(2) "اليوم الآخر"، *2003/7/7*؛ حسب "نمرود رافائيلي"، في "ميمري"، (*Inquiry and Analysis*)، *2003/8/27*.

(3) أنظر أيضاً "النهار" اللبنانية، *2003/6/19*؛ حسب (*Naharnet*)، *2003/6/20*.

"القاعدة" و"أنصار الإسلام" في البلاد. وتضيف الصحيفة الإسرائيلية أن آية الله علي خامنئي قد ذكر في نهاية آب أن وفداً إسرائيلياً زار بغداد، بدون تحديد طبيعة هذا الوفد[1]. وبناء على مصادر في شمال العراق أشارت صحيفة البيان الإماراتية في بداية تشرين الأول 2003 إلى أن الموساد قد اشترى قطعة أرض، محاذية للحدود السورية في شمال العراق، من أكراد معدمين يقطنون المنطقة لغرض التجسس على سوريا. وحصلت المؤسسة الإسرائيلية على الأرض بعشرة أضعاف سعرها الأصلي. ويقول سكان المنطقة أن عناصر الموساد يتنقلون بسيارات جيب تحمل لوحات كردية، والكثير منهم يتكلمون العربية والكردية ويتظاهرون بأنهم من المحليين. وتضيف المصادر أن الموساد يخطط لإنشاء قواعد بالقرب من الحدود العراقية الإيرانية[2]. في ليلة العاشر من تشرين الثاني 2003 وقع انفجار في مكتب في كركوك قيل أنه "يخص الموساد"، كما نقلت "وكالة أنباء الشرق الأوسط" في القاهرة. ولم يعرف حينها عدد القتلى في هذا الانفجار، لكن ذكر أن من بينهم "أشخاص من الموساد" ومتعاونين أكراد كانوا يعملون في المكتب. وقد نقل بعض الجرحى إلى القاعدة العسكرية الأمريكية في كركوك، والبعض الآخر إلى أحد مستشفيات الموصل[3].

"إشاعة مصدرها رجال الدين"

في شهر حزيران أقدمت إحدى شركات الترميم العراقية على عقد مؤتمر صحفي في فندق عقال في حي الكرادة، نفت فيه تعاملها مع الموساد ووكالة الاستخبارات المركزية[4]. وفي الوقت نفسه وزع منشور في بغداد يطالب فيه كاتبه سكان العاصمة عدم الذهاب إلى هذا الفندق وحذر من أن اليهود "يريدون شراء المنازل والسيطرة على وسائل الاعلام والتجارة". وأوضح أحمد سنجاري، مدير الشؤون القانونية والاتصالات في الشركة، لوكالة الصحافة

---

(1) (Haaretz)، 2003/9/3.
(2) (The Media Line)، 2003/10/7.
(3) (The Media Line)، 2003/11/12.
(4) تشير صحيفة "الخالد" العراقية، 2003/7/11 بأن الشركة المذكورة قامت بتشييد بناء للموساد؛ حسب "نمرود رافائيلي"، في "ميمري"، (Inquiry and Analysis)، 2003/8/27.

الفرنسية أن الاشاعة "مصدرها بالتأكيد رجال دين ربما لأننا أول شركة تتعامل بعـد الحـرب مـع الأمريكيين". وكانت الشركة قد وقعت عقداً مع شركة "دين كـورب"[1] الدولية "المتخصصة في التكنولوجيا العسكرية الدقيقة لإعداد إقامات وتأميـن سـلامة خـبراء أمريكيين". وأكد سنجاري أن عشرات سيارات الدفع الذاتـي التي كانت متوقفة أمام الفندق، وكانت موضع أحاديث المدينة، هي ملك الشـركة الأمريكية. وفي مقال بعنوان "أسرار فندق في الكرادة" كتبت صحيفة "الدعـوة" أن "فندقاً في وسط المدينة يستقبل مجموعة من الصهاينة بهدف شراء منازل أو قصور كانت ملك ضباط النظام السابق"[2].

القضية لا علاقـة لها بأي موقف لرجال دين، فـ "دين كورب" الأمريكية (فرجينـيا) ليسـت إلا "شركة أمنية"، وهي أحد أكبر "المقاولين العسكريين" في العـالم، وطاقمهـا يضم 26000 عنصر ينتشرون في جميع أنحاء العالم، وقد تـردد اسمها في الأخبار عندما كشف النقاب عن أن القتلى الثلاثـة في حادث التفجـير الذي وقع في قطاع غزة، بتاريخ الخامس عشر من تشرين الأول عام 2003، هـم من مستخدميها. فالشركة مسؤولة عن حراسة العاملين في السفارة الأمريكـية عـندما يتـنقلون في غزة والضفة الغربية. ولكن ريتشارد باوتشر، الناطق الرسمي لوزارة الخارجية الأمريكية، أعلن حينذاك أن الحراس هم جزء مـن "فـريق السـلام"، الـذي كان يخطط لمقابلة "مرشحين فلسطينيين لبعثات فولبرايت"[3].

مباشـرة بعـد سقوط بغداد في التاسع من نيسان تعاقدت وزارة الخارجية الأمريكـية مـع "دين كورب"، التي يصل دخلهـا السنوي إلى مليار دولار، ونـص العقـد الذي قد تصل قيمته في السنة الأولى إلى خمسين مليون دولار، علـى تأميـن ألف "مستشار مدني" حسب "حاجات العراق وقدراته". والبيانات الصـحفية للشركة تذكر أن هؤلاء "المقاولين" سيعملون مع المؤسسات العراقية علـى جمـيع المستويات لتقييم "التهديدات للنظام العام"، و"تدريب موظفين في الـنظام العراقـي لفـرض القـانون"، أي بمعنى آخر تدريب الشرطة العراقية وتأهيلها. مارست الشركة نشاطاتها في عدد من دول العالم الثالث، كأفغانستان،

---

(1) (DynCorp).

(2) (Agence France-Presse)، 2003/6/22.

(3) (Haaretz)، 2003/10/16.

كولومبـــيا، والبـــيرو، وقامـــت "بتدريب مجموعات الثوار في جنوب السودان وزودتهـــم بمعدات لوجستية"[1]. وعندما كانت الشركة تقوم بتدريب الشرطة في البوســنة، كـــان عاملون فيها يتاجرون بالرقيق الأبيض. وفي هذا الشأن قالت مادليـــن ريـــس، المســؤولة الرئيسية عن حقوق الإنسان في الأمم المتحدة في ســـاراييفو: "كان ينبغي أن لا تمنح شركة دين كورب عقد الشرطة العراقية"[2]. ولكـــن الشركة حصلت على العقد، هذا بالرغم من وصول فضيحة البوسنة إلى "اللجـــنة الفرعية للعمليات الدولية وحقوق الإنسان"[3] التابعة لـــ "لجنة العلاقات الدولية" في مجلس النواب الأمريكي ووثقت تحت عنوان: "الأمم المتحدة وتجارة الجنس في البوسنة: حالة محدودة أم مشكلة أكبر في منظومة الأمم المتحدة؟".

"ديـــن كـــورب" ليســـت "الشركة الأمنية" الوحيدة العاملة في العراق. ففي الكرادة أيضاً يقع فندق شاهيـــن، الذي تعرض لهجوم في الثامن والعشرين من كـــانون الثانـــي عـــام 2004 وكـــان يأوي مستخدمين من جنوب أفريقيا قامت بتأمينهم شركة "أنظمة التطبيقات الأمنية الدولية" (ساسي)[4] الأمريكية. وقد تسلم مدير الفندق قبل أشهر تحذيرا يقول: "هناك يهود وأمريكيون في فندقكم: تخلص مـــنهم"[5]، واستهدف هذا الفندق لأنه كما يبدو لم يستجب للتحذير. ونستطيع أن نفهـــم الاشـــارة إلـــى "الـــيهود" في هذا التحذير، فعقد "أنظمة التطبيقات الأمنية الدولـــية" (ساسي) هو مع شركة "إرينس"، وهي "شركة أمنية" أخرى تعمل في العـــراق، ومنذ حصولها على عقد مع وزارة الدفاع الأمريكية لحماية المنشآت النفطـــية العراقـــية بدأت الأنباء تشير إلى العلاقة الوثيقة بين الشركة و"المؤتمر الوطني العراقي" ورئيسه أحمد الجلبي.

---

(1) حول الشركة وعقدها في العراق أنظر موقع (*The Center for Public Integrity*)؛ أنظر أيضـــاً (*Reuters*)، *2003/4/11*؛ (*Electronic Iraq*)، *2003/4/13*؛ (*Asia Times*)، *2003/4/30*.

(2) (*Madeleine Rees*)؛ أنظر (*The Guardian*)، *2003/12/10*.

(3) (*Subcommittee on International Operations and Human Rights*)، أنظر وقائع جلسات الاستماع لهذه اللجنة.

(4) (*Security Applications Systems International*) (*SASI*).

(5) (*Agence France-Presse*)، *2004/1/28*؛ حـــول الحادث أنظر (*The Pretoria News*)، *2004/1/29*؛ حول "إرينس" (*Erinys*)، التي تعاقدت مع "أنظمة التطبيقات الأمنية الدولية" وعلاقتها بـــ "المؤتمر الوطني العراقي" أنظر (*The St. Petersburg Times*)، *2003/12/23*.

في مقهى الإنترنت

فــي كــانون الأول عــام 2003 صرح مسؤول كبير من "مجلس الحكم الانتقالــي" لصــحيفة الجيروســالم بوسبــت أن المجلــس "طمأن ممثلي اليهود العراقييــن الذين يرغبون بزيارة العراق أنه سيرحب بهم، وأنه سيضمن أمنهم فــي العراق". وأوضح المسؤول أن المجلس "لا توجد عنده مشكلة بالتعامل مع رجال الأعمال اليهود أو الإسرائيليين كأفراد. ولكن لا نشعر أننا ندين بأي شيء لدولــة إســرائيل". ويعكــس هــذا التصريح، الذي لا ينفي إمكانية التعامل مع إسرائيل، الحضور الفعلي لإسرائيليين أو يهود في العراق بعد الاحتلال[1]. فإلى جانــب الصــحافيين الإســرائيليين[2]، هناك رجال الأعمال اليهود كالبريطاني الــيهودي إدويــن شــوكر[3]، الذي زار العراق في الثامن والعشرين من أيلول 2003 ومكث هناك أحد عشر يوماً. وشوكر عراقي الأصل غادر العراق وهو في السادسة عشرة من عمره عام 1971. وكان يرسل رسائل إلى موقع "اليهود العراقــيون"[4] من مقهى للإنترنت في الكرادة واحتفل بعيد راس السنة العبرية فــي "بيت خاص" حيث أقام مراسم العيد عماد ليفي، القائم بأعمال حاخام بغداد. ويقــول شــوكر أنه لم يستطع أن يضبط دموعه عندما كانت طائرته تحط في مطــار بغــداد، وكذلــك عــندما رأى المدينة: "بكيت من أجل جماعتنا القديمة والنبــيلة، الذيــن أصــبحوا مشــتتين في أصقاع العالم ومبتورين عن جذورهم ومهدديــن بالاندثار بعد جيل أو جيلين. وبكيت من أجل أبي الذي توفي قبل أقل مــن شــهر دون أن يتمكن من زيارة مكان ولادته وموطن أجداده منذ 2500 ســنة... بكيــت من أجل كل أولئك الذين قام صدام حسين بتعذيبهم وقتلهم ولم يــروا أبداً نهايته. وبكيت فرحاً وامتناناً للرب العظيم، الذي حقق أمنيتي بإعادة

---

[1] (The Jerusalem Post)، 2003/12/25.

[2] أنظر أعلاه ص 66.

[3] (Edwin Shuker).

[4] (Iraqi Jews)، أنظر (http://thesite2000.virtualave.net/iraqijews/index.html). ارسلت الرسائل بالتواريخ التالية: 2003/9/28؛ 2003/10/4؛ 2003/10/7؛ 2003/10/8؛ 2003/10/9؛ 2003/10/10.

الاتصـــال مع جذورنا وتاريخنا"[1]. وإن كان أي شخص، وخاصة الفلسطيني، يــدرك تمامـــاً مشاعر ذلك العائد إلى وطنه، إلا أنه لا يفهم تخطي شوكر للبعد الشخصي في تجربته وإقحام "صدام حسين" في الموضوع.

"حرية مثالية"

عــندما زار شـــوكر المدرسة اليهودية في بغداد، كان مقاول قد انتهى من دهان المدرسة بأكملها، وشاهد كيف كانت تخرج المقاعد والألواح القديمة لتفسح المجــال لتجهــيزات جديدة. أعمال الترميم والتحديث جرت "بفضل العم سام"، علــى حد تعبيره. وعندما زار بيت العائلة في أحد الشوارع وأخذ يصور البيت خـــرج عراقـــي مقيم في البيت ليسأله لماذا يقوم بالتصوير. واعتبر شوكر هذا "التحدي" مؤشراً على الحرية الجديدة في العراق: "اليوم كل عراقي يعيش حرية مثالية غير معروفة حتى في الغرب: لا توجد شرطة، جامعو ضرائب، سلطة"، وربمـــا لـــم يدرك شوكر أن هذا الوضع بالذات هو ما دفع العراقي للخوف من عابر سبيل يلتقط الصور، وغاب عن باله أيضاً أن هذا الوضع بالذات، الذي لم يشـــهده أي بلد تعرض للاحتلال، هو ما يفسر الهجوم الكاسح للشركات الباحثة عن الصفقات في العراق، فإلى جانب الولايات المتحدة وحليفتها بريطانيا جاءت شـــركات مـــن جميع أنحاء العالم: تركيا، الباكستان، بولندة، اندنوسيا، الصين، والكثير غيرها[2].

يهودي في "المؤتمر الوطني العراقي"

إدويـــن شوكر، هو رجل أعمال بريطاني[3]، يُعرف بأنه على صلة وثيقة بـــ "المؤتمر اليهودي العالمي"[4]، منظمة "العدالة لليهود من البلدان العربية"[5]،

---

(1) *حسب إحدى رسائل الإنترنت؛ تكرر ما قاله شوكر في مقال (Newsweek)، 2003/10/20: "بكيـــت من أجل كل حياتنا، ومن أجل جماعتنا المشتتة في أصقاع العالم، من أجل جميع من قتلهم صدام حسين".*

(2) *حسب موقع (PortAl Iraq)، الذي يقدم دليلاً للأعمال وارشادات عملية للمشروع بعمل تجاري أو استثمارات في العراق.*

(3) *هكذا يشار إلى إدوين شوكر بدون تحديد طبيعة الأعمال التي يقوم بها.*

(4) *(World Jewish Congress).*

(5) *(Justice for Jews from Arab Countries). انظر ص 90.*

"مركز الشرق الأوسط للسلام"[1] و"شرعة 91"[2]. وقبل سفره إلى العراق خصصت "السي إن إن" مقالاً حول رحلته المقبلة، كتبته داليت حردون، مراسلة الشبكة في لندن[3]. وفي مطلع المقال كان حماسها بادياً لذكر أن شوكر هو "أول عضو يهودي في المؤتمر الوطني العراقي". يقول "السياسي" شوكر أن "ما نطالب به هو الحقيقة والمصالحة مع الشعب العراقي". والحقيقة، كما يراها، أو تراها السي إن إن: "شوكر هو واحد من ما يزيد على *2000* يهودي هربوا من العراق بعد حرب عام *1967* ووصول حزب البعث لصدام حسين إلى الحكم عام *1968*. الكثير من اليهود سجنوا، عذبوا، وشنقوا". وبالنظر لضآلة عدد اليهود العراقيين "وأعداد الذين شنقوا واستجوبوا، فإنه بالكاد توجد عائلة يهودية لم يكن أحد أعضائها قد تعرض للتعذيب من قبل النظام بشكل مباشر". وهنا لا بد من الإشارة إلى أن عائلة شوكر بقيت في العراق حتى عام 1971، أي ثلاث سنين بعد وصول البعثيين إلى السلطة، وهذا بحد ذاته يضع مصداقيته على المحك.

"مصالحة"

تتمثل المصالحة مع الشعب العراقي في قيام شوكر بالتخطيط لزيارة "أصدقاء دراسة مسلمين" بقي على اتصال معهم بعد أن ترك العراق، ويعتقد أن "اليهود سرعان ما سيرحب بهم بعد أن يتذكر العراقيون العلاقات الحسنة بين الجماعتين". وهناك الكثير مما يمكن عمله فـ "نحن نستطيع أن نبني وننشر الديموقراطية معاً"[4]. ويظهر نوع "المصالحة" التي يريدها شوكر مع الشعب العراقي في تصريح له لراديو "ماركتبلاس" (لوس أنجلوس)، الذي يبث في

---

[1] (*Center for Middle East Peace*)، *المقصود على الأغلب (Center for Middle East Peace and Economic Cooperation). أنظر ص 93.*

[2] (*Something Jewish*)، *وهو موقع لمنظمة يهودية في بريطانيا (http://www.something.jewish.co.uk/community_diary/manchester/)، في إعلان لكلمة يلقيها إدوين شوكر في "كنيس شعاريه حاييم السفاردي" في مانشستر بتاريخ 2003/10/30. "شرعة 91" (Charter 91) منظمة "حقوق إنسان" عراقية أسستها "المعارضة العراقية" في لندن. أنظر (World Jewish Congress, News)، 2003/6/30.*

[3] (*CNN.com*)، *2003/8/18.*

[4] (*CNN.com*)، *2003/8/18.*

ستمائة محطة في الولايات المتحدة، يقول فيه: "لن أسمح لدورنا أن يشطب من تـاريخ الشـرق الأوسط. كنا هناك، أجدادنا كانوا هناك، وينبغي الاعتراف بنا علـى هـذا النحو. أريدهم أن يعرفوا أننا كنا شركائهم، وأننا قمنا ببناء بلدهم. أريدهـم أن يعـرفوا أنـنا مشـاركين في العراق، مثلما يشعر بذلك المسلم أو المسيحي الذي يعيش خارج العراق ويرغب بالعودة"[1]. وهكذا، بالنسبة لشوكر الشـعوب تتمثل بالأديان، ولكن إضفاء هوية قومية على الديانة مسألة تعنيه هو فقـط ولا قيمة لها عند العراقيين. وهو أيضاً يتحلى بالشجاعـة، فهو يعرف أن "الصـورة ليسـت وردية على الإطلاق، وأعرف أن هناك معارضة لعودتنـا، ولكن علينا أن نكسر الطوق ونخاطر". وإذا ترجمنا هذا الكلام إلى لغة مفهومة، فـإن مـا يقصده، كرجل أعمال، هو اقتحام السوق العراقي الذي أصبح مفتوحاً بفضـل "التحرير الأمريكي"، والمنافسة شديدة ولا تخلو من عنصر مخاطرة لا يستهان بها في زمان العولمة.

"مدارس، مستشفيات، عقارات"

نعـيم دنغور، رجل أعمال بريطاني آخر، يريد استثمار الأموال من خلال مؤسسـته الخـيرية "مؤسسـة رئيس المنفى". والأموال التي لم يحدد حجمها، ستخصـص لـ "المدارس، المستشفيات، والعقارات". الجميع يمكن أن يدرك الجانب الخيري في "المدارس والمستشفيات"، لكن التساؤل هو أين يكمن "العمل الخـيري" عـند الاستثمار في مجال العقارات؟ هذا التصريح لن يروق لعضو مؤسسـة ميمري، الإسرائيلي رافائيلي، الذي يعزي الشائعات حول شراء يهود لعقـارات فـي بغداد إلى خيال عراقي جامح. ولكن بالنسبة لدنغور فإن العراق "مهم، إن لم يكن أكثر أهمية من إسرائيل. كنا نتمتع برفاهية هناك أكثر مما في إسـرائيل"، ورغم أنه يرى أن الحياة في العراق أفضل من إسرائيل، إلا أنه لا يـنوي العيش فيه، لكن استثماراته ستشجع آخرين على العودة، كما يقول، دون أن يشير إلى حجم الأرباح التي ستعود عليه[2].

وحسـب السي إن إن ليس كل يهودي عراقي متحمساً للعودة إلى العراق. فجمـيل خـزوم، الـذي تـرك العراق في أوائل السبعينات، يقول "إن كراهية

---

[1] (Marketplace)، 2003/7/11.

[2] (CNN.com)، 2003/8/18؛ حول تسمية "مؤسسة رئيس المنفى" أنظر ص 89.

إسـرائيل تحملها الحكومـة [العراقية السابقة] ولا تمثل بالضرورة رأي الشعب [العراقـي]". ولكـنه مـتردد في العودة للعراق، إذ "ما زال العراقيون يحملون اتجاهات قومية، ولا يمكن التصور أن هذه الكراهية [لإسرائيل] ستمحي بمرور بضـعة أشـهر. انظروا إلى ما يعانيه الجنود الأمريكيون"[1]. وخزوم ينتظر .. حتى تزول المشاعر القومية عند العراقيين.

يهودي يصوغ الدستور العراقي

لـم يمـض وقت طويل على سقوط بغداد حتى قام "مكتب إعادة الاعمار والشـؤون الإنسانية" (فيما بعد "سلطة الائتلاف المؤقتة") التابع لقوات الاحتلال بتعيـين الأمريكي اليهودي نوح فيلدمان[2] لتقديم المشورة في صياغة الدستور العراقـي. فيلدمان، البالغ من العمر *32* عاماً، ترعرع في بوسطن كـ "يهودي أرثوذكسـي"، ودرس في "مايمونيدس"، وهي مدرسة دينية يهودية في بروكلين، ماساتشوسـيتس. وتـابع دراسـته العليا في البداية في جامعة هارفارد، ثم في جامعة أوكسفورد وحصل على شهادة الدكتوراه في "الفكر السياسي الإسلامي"، وهـو "يـتكلم العربية ويقرؤها بطلاقة". ومنذ عام 2001 يعمل فيلدمان كمدير مشـارك في "مركز القانون والأمن" التابع لجامعة نيويورك، وهو مؤلف كتاب: "بعـد الجهاد: أمريكا والصراع من أجل الديموقراطية"[3]. وحتى تموز *2003* بقي في منصبه كمستشار دستوري كبير لـ "سلطة الائتلاف المؤقتة"، وفيما بعد أصـبح "مستشـاراً حراً" في مشروع صياغة الدستور العراقي. وضمن المهام المكلف بها مكث في العراق خمسة أسابيع وقبل عودته إلى الولايات المتحدة في أيلول ذهب إلى المنامة وشارك في مؤتمر حول الدستور العراقي قامت بتنظيمه "نقابـة المحامين الأمريكيين" والسفارة الأمريكية في البحرين. وفي هذا المؤتمر أشرف على جلسة خصصت لمناقشة "الحرية الدينية". وفي الرابع والعشرين من أيلـول قـدم تقريـراً أمام "لجنة العلاقات الدولية" التابعة لمجلس الشيوخ تحت

---

[1] *(CNN.com)*، *2003/8/18*.

[2] *(Noah Feldman)*.

[3] المعلومـات حـول فيلدمان من *(New York Times)*، *2003/5/11* وموقع "لجنة العلاقات الخارجية" (أنظر هامش *567*). حول المؤتمر الذي عقد في المنامة أنظر *(Gulf News)*، */9/22 2003*.

عــنوان "بــناء المؤسسات الديموقراطية في العراق والشرق الأوسط". تنعكس مفاهيم فيلدمان حول الديموقراطية في تقسيمه للشعب العراقي إلى شيعة وأكراد وســنة وتــركمان وأقليات مسيحية ودينية أخرى. ويقول أن كثيرين من "السنة" يعــتقدون أنــه لا يسعهم "إلا الاستفادة من فشل الديموقراطية ونشوء شكل من أشــكال الدولــة السنية الاستبدادية لتقوم بإعادة الامتيازات لهم". ولمجابهة هذا الخطــر اقترح "خبير القانون" وصفة غير قانونية تذكر بالنصائح المقدمة لقوات الاحــتلال الأمريكي من قبل خبراء إسرائيليين[1]: "لا يمكن القضاء على خلايا المقاومة السنية وتحديد هوية الغرباء، الذين ربما كانوا إيرانيين أو عناصر من القــاعدة، إلا بوجــود شــرطة وجــنود عراقيين على دراية بالأوضاع المحلية والســكان ويوجــد تحت تصرفهم جهاز استخبارات محلي مميز". والعراقيون بانــتظار دســتورهم الجديد ليروا إلى أي مدى تسربت إلى بنوده القيم اليهودية التي اكتسبها فيلدمان منذ الصغر.

وآخر يهرب تراثاً عراقياً مسروقاً

الكاتــب الأمريكــي جــوزف براود[2]، اليهودي من أصل عراقي، يلفت انتباهــنا إلى أن "المنفيين [العراقيين من أصل يهودي] يشكلون رابطاً عقلياً هاماً بيــن وطنهم السابق ووطنهم الجديد"[3]. ويبدو أن ما يقصده هو أن هؤلاء يمكن أن يــؤدوا دوراً فعــالاً فــي تنفيذ مخططات المحتلين في العراق الجديد لأنهم يجمعــون بين العقلية العراقية وعقلية المحتل الأمريكي. ولا ندري إلى أي من العقليتين تنتمي صفة تهريب مواد تراثية مسروقة، وهي ما اتهم به براود عندما ضبطت بحوزته في مطار كندي الدولي، في الحادي عشر من حزيران 2003، ثلاثة أختام اسطوانية تحمل أرقام المتحف العراقي. وقد نفى في بادئ الأمر أن يكون قد زار العراق، ولكنه أقر في وقت لاحق أنه كان في بغداد، وأنه يعرف أن الأخــتام جــاءت على الأغلب من المتحف العراقي، ولكنه بالرغم من ذلك اقتناها بمبلغ مائتي دولار. وقد ألقي القبض عليه في الثامن من شهر آب 2003

---

(1) انظر ص 48.

(2) (Joseph Braude).

(3) (Newsweek)، 2003/10/20. انظــر عــرض مصطفى سامي وتحليله للكتاب، "الدستور" الأردنية 11/13؛ 11/18؛ 2003/12/7.

بـــناء علـــى مذكرة توقيف، وأفرج عنه في اليوم التالي بكفالة قيمتها مائة ألف دولار بعـــد مثوـــله أمام إحدى المحاكم الفدرالية. وما يلفت النظر أن براود هو مؤلف كتاب بعنوان "العراق الجديد: إعادة اعمار العراق من أجل شعبه، الشرق الأوســط، والعـــالم" وصـــدر في آذار *2003* وبسبب هذا الكتاب أصبح مرجعاً يستشـــهد بـــه بالنسبـــة لمستقبل العراق[1]. وكما يعمل كمحلل كبير في مؤسسة "بيرامـــيد ريسيرتش"[2] (كامبردج، ماساتشوسيتس)، التي تقدم دراسات وخدمات استشـــارية لإنشـــاء الاتصـــالات العالمية. وهكذا يتضح أن الشركة التي يمثلها بـــراود تســـاهم فـــي الاخـــتراق الاقتصادي للعراق وتخدم مصالح الرأسمالية الأمريكية، وهذا على الأغلب ما كان يعمل عليه أثناء زيارته لبغداد، ويتفق مع أسس العراق الحديث التي وضعها في كتابه.

■■■

(1) (*Arizona Daily Sun*)، *2003/8/10*. يحمل براود شهادة الماجستير من جامعة برينستون في "الدراسات العربية والإسلامية"

(2) (*Pyramid Research*).

اليهودية العالمية

"دولة إسرائيل تدعم هذه الحرب بوضوح، مؤيدو الحرب في الإدارة الأمريكية هم من اليهود، معظم الأصوات من الكنس الأرثوذكسية تدعم الحرب. والليبراليون، الذين عادة ما يفترض بهم إثارة الأسئلة، يصمتون".

الحاخام الأمريكي مايكل ليرنر

"على البلدان العربية، التي لم تهتم باللاجئين الفلسطينيين، دفع تعويضات للفلسطينيين واليهود. لماذا على الأمريكيين أو الأوروبيين أن يقوموا بدفع هذه التعويضات؟"

المحامية اليهودية الأمريكية عراقية الأصل سمحا علوية

لم تستطع المنظمات أو الجماعات اليهودية الأمريكية أن تتبنى بوضوح موقفاً داعماً للعدوان على العراق، خاصة في ظل التحرك الشعبي المناهض للحرب. فعلى المستوى الإعلامي كان الدعم قبل العدوان هادئاً نسبياً، في حين كانت بعض المنظمات اليهودية، ودون أي ضجة إعلامية، تجري اتصالات مع ما يسمى بالمعارضة العراقية. ومع اقتراب موعد العدوان أصبح موقف المنظمات اليهودية أكثر وضوحاً. ومع الاحتلال، بدأ رجال أعمال يهود، أمريكيين وبريطانيين من أصل عراقي، يطالبون بالحصول على تعويضات عن ممتلكاتهم في العراق، وكان هذا التوجه مدخلاً يساعد هؤلاء وغيرهم في الحصول على استثمارات في السوق العراقي الجديد. تتمثل خلفية هذه المطالبات بحملة كانت المنظمات والجماعات اليهودية تشنها بشكل مكثف على المستوى العالمي "لإقرار حقوق" اليهود من البلدان العربية، بشكل مماثل لإقرار حقوق اللاجئين الفلسطينيين. وتزامن هذه الحملة مع بدايات التحضير للعدوان على العراق يدل بوضوح على أن الهدف منها يتجاوز موضوع "إعادة الحقوق" لليهود العرب، وأن له علاقة بالنتائج المتوقعة من العدوان على العراق، أي إفساح المجال نحو تصفية القضية الفلسطينية. فإدراج موضوع ما يسمى بـ "اللاجئين اليهود" في مفاوضات "سلام" نهائية سيلغي، أو يخفف، من العبء المادي الذي تتطلبه عملية تعويض اللاجئين الفلسطينيين أو توطينهم. واللافت للنظر في هذه الحملة بروز جوانب، في قرارات الأمم المتحدة الخاصة بالقضية الفلسطينية أو في مبادرات السلام، لا تخدم المصلحة القومية الفلسطينية. دعمت إسرائيل هذه الحملة، بالرغم من أنها كانت لا تقر رسمياً بوجود "لاجئين يهود"، غير أن الدور الحيوي في هذا المجال لعبه ممولون يهود، يمثلون عملياً ما يمكن اعتباره مجموعات الضغط الصهيوني في الولايات المتحدة، أي أطراف في الرأسمالية الأمريكية.

ردود فعل متناقضة

قبل أسبوع من بداية الحرب أكد جيم موران[1]، النائب الديموقراطي عن

---

[1] (Jim Moran).

فيرجينيا، أن الجماعة اليهودية في الولايات المتحدة تؤيد "الحرب" ضد العراق، وأن قادة هذه الجماعة "ذوي تأثير كاف وأن بإمكانهم تغيير الاتجاه الذي نسير فيه، وأعتقد أن عليهم القيام بذلك". وعلى الفور تعرض النائب لهجوم واسع من المنظمات والجماعات اليهودية، وبعض حاخامات منطقته طالبوا باستقالته. وتراجع موران عن أقواله في مقابلة مع "ذي جويش ويك" اليهودية قائلاً أنه كان يقصد "الأديان الثلاثة" وليس اليهودية فقط، وقدم اعتذاراً مكتوباً رفضته تلك المنظمات. ولكن قضية موران أثارت ردود فعل متناقضة بين الجماعات والمنظمات اليهودية، نظراً لتصاعد الحملات المعارضة للحرب والمناصرة لفلسطين في الولايات المتحدة. فأبراهام فوكسمان[1]، المدير التنفيذي القومي لـ "عصبة مناهضة التشهير"، رأى أن "جيم موران ليس هو المشكلة"، بل بأن "الاعتقاد بمسؤولية اليهود عن الحرب أصبح سائداً داخل التيارات الرئيسية للمعارضين". وأشار فوكسمان إلى مقالات في صحف رئيسية تتهم إسرائيل وجهات أخرى بالتخطيط للحرب، من بينها الشيكاغو تريبيون، التي قالت: "إن الحرب هي في مصلحة حزب الليكود وليست في مصلحتنا". ويقول الحاخام إريك يوفي[2]: "أنا أوافق على أن هناك إدراك بأن المنظمات اليهودية تدعم رداً عسكرياً [على العراق]، ولكنه إدراك خاطئ. فالبيانات الصادرة عن هذه المنظمات حذرة وتعكس القلق السائد داخل الجماعة اليهودية".

ويوضح يوفي أن هناك يهوداً مميزين منخرطين في العملية السياسية، داخل الإدارة الأمريكية ومن خارجها، قيل أنهم يدعمون الحرب، ومن هؤلاء بول فولفوفيتس، نائب وزير الدفاع، ودوغلاس فايث، مساعد وزير الدفاع للسياسة، وريتشارد بيرل، مستشار وزارة الدفاع آنذاك. ويقول أحد قادة الجماعات اليهود في واشنطن أنهم كانوا يعملون على دعم الرأي القائل بفصل "الحالة العراقية" عن "الصراع الإسرائيلي الفلسطيني"، ولكن فجأة بدا الرئيس الأمريكي وكأنه يفعل العكس، وهو ما كان وراء التشويش حول أسباب الحرب ومواقف الجماعة اليهودية الأمريكية. ويقول الحاخام سيدني شفارتس[3] أن "رفض معظم الجماعات اليهودية الخوض في الجدل القائم حول الحرب سببه في نهاية الأمر الخلاف

---

(1) *(Abraham Foxman)*.

(2) *(Eric Yoffie)*، رئيس "اتحاد الطوائف العبرية الأمريكية".

(3) *(Sidney Schwarz)*، رئيس "مؤسسة القيادة والقيم اليهودية" (*The Institute for Jewish Leadership and Values*).

السائد بين أوساط هذه المنظمات. القادة اليهود موزعون بين المصلحة الواضحة لإسرائيل المتمثلة بالتخلص من أخطر ديكتاتور في الشرق الأوسط والأصعب تنبؤاً بخطواته، وبين ما يمكن أن تعنيه الحرب بالنسبة لأمريكا المنقسمة على نفسها. ويتردد الكثيرون في انتقاد أولويات السياسة الخارجية لإدارة وقفت إلى جانب إسرائيل في لحظات صعبة".

ويقول الحاخام دوغ كان[1]: "يتمثل القلق الأكبر لجماعتنا بالمشاركة في أجندات معادية لإسرائيل والحرب. إن عدداً من المنظمين الرئيسيين للحملات المناهضة للحرب يحملون مواقف واضحة ضد إسرائيل، ولكني لا أعتقد أن هذا ينطبق على الكثيرين ممن يشاركون في هذه النشاطات انطلاقاً من الضمير"[2]. ولكن الحاخام مايكل ليرنر، أحد الناشطين اليهود المعارضين للحرب، يرى العكس: "دولة إسرائيل تدعم هذه الحرب بوضوح، مؤيدو الحرب في الإدارة الأمريكية هم من اليهود، معظم الأصوات من الكنس الأرثوذكسية تدعم الحرب. والليبراليون، الذين عادة ما يفترض بهم إثارة الأسئلة، يصمتون. أليس في هذا كله ما يكفي ليجعل الكثيرين يعتقدون أن هذه الحرب مدعومة من قبل الجماعة اليهودية، بالرغم من أن هذا الدعم يمثله، في الحقيقة، منظمو الجماعة وليس معظم اليهود"[3].

مواقف داعمة "مترددة"

كان موقف الجماعات اليهودية الأمريكية داعماً للحرب، وإن كان التعبير عن هذا الدعم هادئاً حتى نهاية عام 2002. فالحركة الإصلاحية التابعة لـ "اتحاد الطوائف العبرية الأمريكية" قالت أنها تدعم "الحرب" في حال فشل الجهود الدبلوماسية[4]. ولكن هذه الحركة لم تأخذ موقفاً واضحاً في اجتماعها الذي عقدته في بداية نيسان. فالحركة التي تعتبر "ليبرالية"، لم تقم بانتقاد الحرب، ولكنها صلت من أجل الجنود في الجبهة. وعبر عن موقف هذه الحركة الحاخام إريك يوفي

---

(1) (Doug Kahn).

(2) "دوغ كان" هو المدير التنفيذي لـ "مجلس علاقات الجماعة اليهودية" (Jewish Community Relations Council)، فرع سان فرانسيسكو.

(3) مواقف المنظمات اليهودية الداعمة للعدوان على العراق والمعارضة له حسب (The Jewish Week)، 2003/3/14.

(4) (Post-Gazette)، بيتسبورغ، 2002/11/10.

بقولـــه "هناك أطياف من الآراء حول حرب العراق في الحركة الإصلاحية، ولكن هـــذه الحـــرب لا تأخذ مكان الحروب الأخرى، كتلك التي ضد الجوع، الكراهية والاستغلال"[1]. حركة "الاتحاد الأرثونكسي"[2] اتخذت موقفاً واضحاً من العدوان عـــندما أعلنـــت دعمها للرئيس الأمريكي وقراره بشن "الحرب التي تحمل أهدافاً نبيلة"[3]، حسب ما تدعي الحركة. "المجلس الرابيني"[4] أصدر في اجتماعه السنوي فـــي لوس أنجلوس قراراً خاصاً بالعراق (نيسان 2003) يقبل فيه بحرب وقائية: "اليهودية تؤكد جواز الحرب رداً على عدوان حالي، أو متوقع، يهدد الحياة" ويدعم "جهـــود الـــتحالف بإزالة تهديدات الإرهاب وأسلحة الدمار الشامل". وكذلك عبر رجـــال الديـــن المحافظون عن دعمهم للجنود المشاركين في العدوان[5]. وموقف الحاخام إسمار شورش[6] لم يكن كذلك قبل الحرب عندما قال أن الولايات المتحدة تدخـــل "عصر الظلام"، وأن دوافع هذه الحرب سياسية وليست دفاعية، لكنه اتخذ في ما بعد موقفاً مختلفاً ظهر في مقال لـــه في النيويورك تايمز عندما كتب أنه لا يـــريد انـــتقاد الحرب والجنود في خضم المعركة[7]. ويلاحظ أن قرارات المجلس تتضـــمن بـــنداً حول "دعم إسرائيل" بالنظر إلى أن "مواطني إسرائيل يتعرضون للاعتداء يومياً، ولأن المجلس الرابيني يقف مع إسرائيل وشعبها في هذه الأوقات الصـــعبـــة كما دائماً". وفي هذا السياق يطري المجلس الولايات المتحدة "لدعمها المستمر والثابت للدولة الديموقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط".

---

(1) (Haaretz)، 2003/4/7.

(2) (Orthodox Union).

(3) (Haaretz)، 2003/4/7.

(4) (Rabbinical Assembly). هـــذا المجلـــس، الذي تأسس عام 1901، هو الرابطة الدولية للحاخامات اليهود المحافظين. يمثل المجلس حركة "الكنيس المتحد" (United Synagogue) أو "اليـــهودية المحافظـــة" (Conservative Judaism)، التي تدعم الصهيونية منذ تأسيسها عام 1913.

(5) حـــول القـــرارات أنظـــر موقـــع "المجلـــس الرابـــيني" (http://www.rabassembly.org/mainpage.html).

(6) (Ismar Schorsch)، رئـــيس "كلـــية اللاهـــوت الـــيهودية" (Jewish Theologial Seminary)، المرتبطة بـ "المجلس الرابيني" ومؤسسته التعليمية الأولى.

(7) (Haaretz)، 2003/4/7؛ أنظـــر أيضاً (Jewish Telegraphic Agence)، 2003/4/11.

"الشابات" لدعم العدوان

ما ظهر أنه "تردد" أو "انقسام" في صفوف المنظمات اليهودية[1] لا يتفق مع الـتوجه الرئيسي لهذه المنظمات والداعم للعدوان، وهو ما تجلى بشكل واضح مع وصول القوات الأمريكية إلى مشارف العاصمة العراقية وتوقع سقوطها[2]. وقبل بدايــة العــدوان انعكــس هــذا الموقف في نشاطات "برنامج التواصل اليهودي القومي"[3] في القواعد العسكرية الأمريكية. فهذا البرنامج خصص حملته السنوية "يوم السبت (الشابات) عبر أمريكا"[4]. وحسب البرنامج اكتسبت هذه الحملة أهمية خاصــة مــع اقــتراب أمريكا من الحــرب، وفي ضوء التحذيرات المتزايدة لــ "مكتــب الأمــن القومــي"[5] حول مخاطر الإرهاب. فقد وصل "الضغط النفسي والخوف إلى حدود غير مسبوقة". ونظمت الحملة لعام 2003 يوم الجمعة السابع من آذار في:

- "القاعدة الجوية أفوت"[6] (نيبراسكا).
- "فورت بيلفوار"[7] (فيرجينيا).
- "فورت سيل"[1] (أوكلاهوما).

---

[1] الحديــث عــن "تردد" أو "انقسام" هو شكل من أشكال التمويه. وأفضل ما يمثل ذلك مقال لألان كوبرمان (Alan Kuperman) في "الواشنطن بوست" بتاريخ 2003/3/15. فكاتب المقال يتحدث عن المعارضة في أوساط الروم الكاثوليك والبروتستانت ليقابل ذلك بنطاق أوسع من المواقف بين الجماعات اليهودية. على هذا النحو يتجاهل المؤلف المستوى الشعبي الشامل للمعارضة الأمريكية. وعــندما يتطرق كوبرمان إلى مقال لباتريك بوخانان (Patrick Buchanan) ("حرب من؟") في (The American Conservative)، 2003/3/24، يحصــر الموضوع فيما إذا كان بوخانان "معادياً للسامية". ولكن بوخانان ليس "معاديا للسامية" على الإطلاق، فهو يكشف دور ما يسمى بــ "المحافظين الجدد" على الادارة الأمريكية ويرى أن المصالح الأمريكية لا تلتقي بالضرورة مع تلك الإسرائيلية، ولكنه يعبر عن نفسه ومعتقداته بوضوح عندما يكتب أن "الإسرائيليين هم أصدقاء لأمــريكا ويملكــون كل الحق بالتمتع بالسلام والحدود الآمنة. وينبغي أن نساعدهم في تحقيق هذين الهدفين".

[2] أنظر أعلاه ص ص 35-37.

[3] (National Jewish Outreach Program)، 2003/2/13.

[4] (Shabbath Across America).

[5] (Office of Homeland Security).

[6] (Offut Air Force Base).

[7] (Fort Belvoire).

• الأكاديمية الحربية في ويست بوينت (نيويورك).

والهـدف هو "تكريم الأمريكيين والأمريكيات في الخدمة العسكرية، والتشديد على الدور الحيوي الذي يلعبه الإيمان بشكل عام، ويوم السبت ("الشابات") بشكل خاص، بالنسبة للمدنيين وعناصر القوات المسلحة في هذه الأوقات العصيبة". وفي "القاعدة الجوية أفوت" تقرر أن يقود الحملة الحاخام كالمان دوبوف[2]، الذي يعرف مزايا "التقيد بيوم السبت"، يقول: "مع تقديم النصح للعسكريين والعسكريات من كل المعـتقدات، أنـا مقتنع تماماً أن الإيمان بقوة أكبر، وإحساس المرء بأنه جزء من الجماعة، يمكن لهما أن يكونا بالأهمية ذاتها التي للتدريب العسكري والقوة الذهنية في الحفاظ على الانتباه، الثقة، والأمل أثناء الخدمة الفعلية". ما يقصده الحاخام أن الولايـات المـتحدة سـتخرج منتصـرة من عدوانها المرتقب من خلال الإيمان اليهودي.

يقول الحاخام إفرابيم بوخفالد[3]: "بالنسبة لليهود، تراث يوم السبت والتقيد به يمكن أن يمنحهم ما يطمحون إليه. الولايات المتحدة ومواطنوها يتعرضون جميعاً لضـغوط ضخمة، ويمكن ليوم السبت والإيمان أن يشكلا فعلاً الدواء. ولأكثر من 3400 سـنة كـان الـيهود في أوقات الظلام يجدون في إيمانهم الأمل والراحة. والتراث القديم في يومنا هذا هو الأهم، كما كان على الدوام". وحملة تكريم الجنود الأمريكيـن هذه ستشمل إلى جانب القواعد العسكرية سبعمائة كنيس في الولايات المتحدة وكندا. و"البرنامج" الذي ينظمها يعتبر من أكبر منظمات التواصل اليهودي وأهمهـا فـي العـالم، ويقيم خدمات قداس السبت في 3850 موقعاً في الولايات المتحدة، وفي 30 مركزا في العالم. وقد تمكن من "التواصل" بنجاح مع أكثر 660 ألف يهودي وساعد على انخراطهم في الحياة اليهودية.

"المعارضة العراقية" والمنظمات اليهودية

حسـب صـحيفة هآريتس أقامت المجموعات اليهودية قبل العدوان علاقات هادئـة تقريـباً مـع كـل تجمعـات "المعارضة العراقية"، وكان الغرض "تبادل المعلومات"، ولكن كانت هناك أحياناً محاولة لإقناع العراقيين بالحاجة "إلى علاقات

(1) (Fort Sill).

(2) (Kalman Dubov)، يحمل رتبة رائد في الجيش الأمريكي.

(3) (Ephraim Buchwald)، مؤسس "برنامج التواصل اليهودي القومي" ومديره.

جيدة مع إسرائيل واليهودية العالمية". وبالنسبة لأهداف هذه المجموعات يقول أحد الناشطين اليهود: "ينبغي أن نكون واقعيين بالنسبة لأهدافنا. علينا الاهتمام بأن لا يصبح العراق دولة عربية تتبنى سياسة خارجية متقلبة". وتوقعت المنظمات اليهودية أن يلتزم العراق بأن لا "يكون عدوانياً تجاه إسرائيل وأن يتبنى الاتجاه الرئيسي في العالم العربي. ربما شيء مشابه للسعودية أو دول الخليج"[1]. وبعد سقوط بغداد، قال توم نويمان[2]، المدير التنفيذي لجينسا، عن أحمد الجلبي: "لا أحد من القيادة العراقية له علاقات مع الجماعة اليهودية سواه"، وأن علاقة الجلبي مع مؤسسته تعود إلى عشرة أعوام. وعن المستقبل يقول: "لأن صدام كان إلى ذلك الحد معادياً لإسرائيل، فالأمل أن يعاد النظر بجميع سياسات صدام، بما في ذلك علاقته مع إسرائيل والولايات المتحدة. لا يوجد هناك سبب لأن يكون للشعب العراقي مشكلة مع إسرائيل". ويشار إلى أن جاي غارنر، الذي عين في البداية لإعادة اعمار العراق، هو على علاقة وثيقة بجينسا. وتعلق "جويش بوليتين أوف نورثرن كاليفورنيا"[3] أن تعيين الإدارة الأمريكية لقائد عسكري وتشجيع مجموعة معارضة لها علاقات مع إسرائيل زاد من "نظريات المؤامرة" المنتشرة في العالم العربي من أن الحرب قد شنت لفائدة إسرائيل.

العلاقات بين ممثلي "المؤتمر الوطني العراقي" والمنظمات اليهودية الأمريكية توثقت مع اقتراب العدوان على العراق في نهاية عام 2002. ففي التاسع من تشرين الأول 2002 دعي أحمد الجلبي إلى حفل عشاء نظمته له جينسا في لونغ أيلاند في نيويورك. ودعي انتفاض قنبر، مدير مكتب "المؤتمر" في واشنطن في السابع من الشهر نفسه ليلقي كلمة أمام أيباك في اجتماع المنظمة في أتلانتا[4]. وحسب مسؤول كبير من "مجلس الحكم الانتقالي" فإن "الكثيرين من أعضاء المجلس ميالون شخصياً بشدة لإسرائيل، وأصر على أن العراق الجديد لن يكون معادياً لإسرائيل". كما عبر عن تذمره من أن إسرائيل "لم تقدم أي دعم للمؤتمر الوطني العراقي، وأنها لم تتجاوب مع عرض المؤتمر للتعاون معه أثناء نشاطه في المنفى". وكان الجلبي قد صرح للجيروسالم بوست الإسرائيلية بأنه عومل

---

(1) (*Haaretz*)، *2003/4/7*.

(2) (*Tom Neumann*).

(3) (*Jewish Bulletin of Northern California*)، *2003/4/18*.

(4) *تصريحات الجلبي وقنبر بهذه المناسبة نشرتها (Jewish Telegraphic Agency)، 2002/10/15. أنظر خالد الناشف، تدمير التراث الحضاري العراقي: فصول الكارثة. بيروت: دارالحمراء، مركز الدراسات، 2004، ص ص. 166-167.*

بشـــكل سيئ لدى زيارته إسرائيل لمقابلة بينيامين نتنياهو عندما كان الأخير رئيساً للوزراء[1]. ولكن هناك وجهات نظر متباينة حول الدور الذي تلعبه جينسا في دعم "المؤتمر الوطني العراقي". فمايكل أميتاي، المدير التنفيذي لـــ "مؤسسة كردستان فـــي واشـــنطن"، يرى أن المجموعات اليهودية قد تواجه مشاكل عندما تعمل مع "المؤتمـــر" لأنه لا يحظى بدعم قوي بين مجموعات المعارضة الأخرى العراق. وبالرغم من علاقة "مؤسسة كردستان في واشنطن" بالمنظمة اليهودية جينسا، فإن أميـــتاي لا يـــتردد فـــي القـــول أن السياسة اليهودية "قصيرة النظر"، والأفضل للمجموعات اليهودية أن تقوم بدعم الأكراد[2].

كيف تسير الأمور

المجـــال الذي تتحرك ضمنـــه المنظمات اليهودية يتخطى مجموعة جينسا، التـــي تعبر عن مصالح الصناعات الحربية[3]، وتخطط لسياسة يهودية شاملة. فها هو مالكولم هونلاين[4] يقول: "من المبكر القول، أو حتى التفكير، بأي واحد منهم [غارنـــر والجلبي] سيحتفظ بمنصبه. لا تسير الأمور أبداً كما يتوقع الناس لها أن تسير"[5]. وبالفعل فإن غارنر "لم يحتفظ بمنصبه"، وجاء محله بول بريمر، وأحمد الجلبي ما زال في موقعه.

وصـــلت الاتصالات بين "المعارضة العراقية" والمنظمات اليهودية الأمريكية ذروتهـــا في بداية نيسان عام 2003 عندما دعت أيباك انتفاض قنبر إلى مؤتمرها السـنوي فـــي العاصمة الأمريكية, ولم يتمكن قنبر من حضور المؤتمر، إذ كلفته الإدارة الأمريكـــية بمهمة في شمال العراق، وحضر عوضاً عنه كنعان مكية[6]. وبعـــد سقوط بغداد وضعت خطـــة لإرسال وفد من "المعارضة العراقية" لزيارة إسرائيل لمدة خمسة أيام لمقابلة القادة والعسكريين الإسرائيليين، وكان يفترض أن

---

[1] (The Jerusalem Post)، 2003/12/25.

[2] (Jewish Bulletin of Northern California)، 2003/4/18.

[3] أنظـــر تقيـــيم "جيسون فيست" (Jason Vest) الشامل لجينسا في (The Nation)، 8/15/ 2002.

[4] (Malcolm Hoenlein)، نائـــب الرئـــيس التنفـــيذي لـــ "مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الرئيسية"

[5] أنظر هامش 474.

[6] (Haaretz)، 2003/4/7.

يضـــم الوفد أحمد الجلبي، وفيق السامرائي، وثلاثة من قادة الشيعة، وآخرين من مـــنظمات "معارضــــة". ولم يتضح ما إذا كانت هذه الخطة نفذت أم لا. وفي هذا الســـياق أشـــير أيضاً إلى أن الحكومة المقبلة في العراق ستتخذ قراراً بشأن إقامة علاقـــات دبلوماسية مع إسرائيل، التي ستقوم بدورها بإرسال خبراء في مجالات مختلفة للإشراف على تنفيذ المشاريع في الأراضي العراقية[1].

"الشر"

كنعان مكية، القريب من "المؤتمر الوطني العراقي"[2] كان لـــه دور مركزي في "مشروع مستقبل العراق"[3] الذي رعته وزارة الخارجية الأمريكية. وقد حضر مؤتمر "المعارضة العراقية" في لندن في الثاني من كانون الأول عام 2002 ليقدم نموذجـــه "الفدرالـــي" حول "عراق ما بعد صدام". ومن بين عناصر هذا التصور دولة غير عسكرية، تفكيك حزب البعث العراقي بشكل مشابه لعملية القضاء على الـــنازية في ألمانيا ما بعد الحرب، وضع دستور يحفظ حقوق الأقليات قبل إجراء انـــتخابات محلـــية ووطنـــية، حتى "لا تؤدي الديموقراطية إلى استبداد الأغلبية". وحســـب النيويورك تايمز يعني هذا النموذج نهاية العراق كدولة عربية[4]. عندما يطرح صاحب كتاب "جمهورية الشر"[5] أفكاره يكثر من العبارات المنمقة، كقوله أن "الشر حميم، عندما تراه أو تعرفه؛ إنه يكاد يكون حسياً"، "انه كعمل فني عظيم، لا يمكنكم أن تستوعبوه كلية"، وما يتبقى من هذا الزخم الفلسفي يلتقي بشكل واضح

---

[1] (Arabic News.com)، 2003/4/22، عـــن "المنار" الفلسطينية. أحد جوانب التعاون بين "المؤتمر الوطني العراقي" واليهودية العالمية، يمكن استنتاجه من نشر صحيفة "المؤتمر الوطني العراقي" في لندن (16-22 أيار 2003)، أي بعد سقوط بغداد، لصورة ملكة جمال العراق لعام 1947، وهي اليهودية رينيه دنغور. وتعليق الصحيفة على تلك الأيام السعيدة التي كان يعيشها العراقيون: "كانت لديهـــم فســـحة لـــتقدير الجمال والتغني به واجراء مسابقات لاختيار جميلات البلاد". أعادت نشر الصـــورة مع التعليق عليها مجلة رجل الأعمال البريطاني، العراقي الأصل، نعيم دنغور "ذي سكرايب" (The Scribe)، عدد 76، ربيع 2003.

[2] أنظـــر (The New York Times Magazine)، 2003/3/2. مكـــية باحث في "مركز دراسات الشرق الأوسط" التابع لجامعة هارفارد وأستاذ سابق في جامعة برانديس ... اليهودية.

[3] (Future of Iraq Project)؛ أنظـــر موقـــع وزارة الخارجـــية الأمريكـــية (http://usinfo.state.gov/products/pubs/dutyiraq/homepage.htm).

[4] (The New York Times Magazine)، 2003/3/2.

[5] (The Republic of Fear).

مـــع التـــبريرات الأيديولوجية الصهيونية لما يسمى بالحرب على الإرهاب. فهو يشـــرح مفهوم الشهادة في الإسلام، ثم يقول: "التحدي الأكبر الذي يواجه المسلمين اليوم هو إنكار هذا المفهوم. ليس بالفعل فحسب، وليس بالقول 'أننا ضد الإرهاب هـــنا وهـــناك'. ينبغـــي أن يكـــون رفضاً أكثر عمقاً". ولا يفلت العرب من هذه التقيـــيمات: "الأمر المفزع أننا سمحنا لذلك الجانب المظلم من الدين أن يزدهر في العـــالم العربي"، أو "منشأ كل ذلك هو الجزء العربي من العالم الإسلامي". ويحب مكـــية مقارنـــة عـــراق "مـــا قبل التحرير" بالنازية الألمانية، فتسقط كلمات كـــ "المحرقة" وأسماء كأيخمان[1]. ومثل الأستاذ الجامعي الصهيوني تروي أو الجندي الـــيهودي في الجيش الأمريكي زاغدانسكي، المشار إليهما في تمهيد هذا الكتاب، يعـــبر مكـــية تحـــت ســـتار الإرهاب عن موقف عنصري، عندما يحمل العرب والمسلمين كل تلك الشرور دون غيرهم.

"بلايين الدولارات"

مـــع بدء العدوان الأمريكي على العراق، بدأت حملة للمطالبة بشكل مباشر بتعويضـــات عن ممتلكات اليهود العراقيين الذين غادروا العراق بعد عام *1948*، وتصـــاعدت هذه الحملة مع الاحتلال. كارول بصري[2] نشرت في "مجلة القانون الدولـــي"[3] "دراسة" تقول فيها: "إن الحرب وتغيير النظام في العراق خلقا ظروفاً ســـتجعل من العراق أول دولة عربية تواجه ماضيها بالنسبة لليهود ... من المهم للشـــعب العراقـــي، ولأولـــئك الذيـــن يصوغون السياسات الأمريكية، أن يقروا بانـــتهاكات حقـــوق الإنســـان التـــي تعرض لها يهود العراق". وقدرت بصري الممـــتلكات والأصول لليهود الذين تركوا العراق عام *1951* بـــ "150 إلى 200

---

[1] *حسب موقع (http://middleeastreference.org.uk/iraqiopposition.html)؛ كلامه حول "الشر" والعراق من مقابلة أجرتها معه المحطة التلفزيونية (PBS) عقب تفجيرات الحادي عشـــر مـــن أيلـــول عـــام 2001؛ أنظـــر (http://www.pbs.org/wgbh/pages/frontline/shows/faith/interviews/makiya.html).*

[2] *(Carole Basri). كـــارول بصري استاذة في جامعة بنسيلفانيا، كلية الحقوق، وهي ابنة حفيدة الحاخام عزرا دنغور، الحاخام الأعظم للجالية اليهودية في بغداد.*

[3] *(Fordham International Law Journal)، عدد آذار 2003: "اللاجئون اليهود من البلدان العربية: الحقوق القانونية. دراسة حالة لانتهاك الحقوق الإنسانية لليهود العراقيين". تصدر المجلة عن (جامعة فوردهام، نيويورك).*

مليون دولار". ويقول أفي بيكر[1]، الأمين العــام لــ "المؤتمر اليهودي العالمي": "بمعدلات اليوم نحن نتكلم عن بليون دولار"[2]. ولا شيء يمنع أي مبالغات كادعاء فيفييــن روماني-دين[3] أن مجموع مطالبات اليهود يصل في العراق وحدها إلى "بلايين الدولارات". وكأمثلة على "الممتلكات العامة" التي يرغب البعض بالتركيز علــيها، بدلاً من المطالبة بالتعويض عن الممتلكات الشخصية، "أكثر المستشفيات تطــوراً فــي الشــرق الأوســط وأضخمها". وكانت الحكومة العراقية قد قامت بمصــادرته عام 1950، كما يقول، "سعيد 'ناعوم' حردون"، أحد العراقيين اليهود المقيميــن فــي الولايات المتحدة. ويضيف حردون، الذي "هرب من العراق عام 1970": "كنت أدرس في مدرسة لها ثلاثة ملاعب تنس، ملعب كرة سلة، وثلاث مكتــبات ... كانــت ضــخمة، ويؤسفني أن يكون هناك الكثير من الحديث عن ممــتلكات شخصــية، ينبغــي أن يدور الحديث عن الممتلكات الجماعية". كارول بصــري، التــي تــرى أيضاً أنه ينبغي التركيز على "الممتلكات الجماعية" وليس "الشخصــية"، تقول أن "الاضطهاد الذي تعرض لــه اليهود العراقيون، هو أكثر الأمــثلة قســوة لمــا حصل لليهود من البلدان العربية ليجبروا على مغادرتها في السنين اللاحقة لتأسيس إسرائيل". رواية هؤلاء "ينبغي أن تسرد ومطالباتهم ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار في سياق عملية سلام حقيقية"[4]. ونأمل أن تتذكر المحامية بصــري أن حــردون تمكــن من البقاء في العراق حتى عام 1970 بالرغم من "انتهاكات حقوق الإنسان" التي تعرض لها هناك.

المجموعات اليهودية تتحرك

أخــذت المجموعــات الــيهودية "تــتزاحم بعــد خلع صدام حسين للمطالبة بتعويضــات اللاجئيــن اليهود من العراق والبلدان العربية"، على حد تعبير "ذي جويــش ويك"[5]. وتضيف: "في الكثير من الحالات كانت المجموعات تتنافس مع بعضــها الــبعض". والصحيفة ليست مضطرة إلى إخفاء العلاقة بين هذه الحملة،

---

[1] (Avi Becker).

[2] (Haaaretz)، 2003/5/16.

[3] (Vivienne Roumani-Denn)، رئيســة "الاتحــاد السفاردي الأمريكي" (American Sephardi Federation).

[4] "ستيوارت أين" (Stewart Ain)، (The Jewish Week)، 2003/5/23.

[5] المرجع السابق.

التي أصبح الوقت مناسباً لإطلاقها، وبين مطالبة الفلسطينيين بحق العودة. ويوضح أفـي بـيكر أن "شهادة اليهود المشردين ستكون كافية لإدراجها في عملية السلام الإسـرائيلية الفلسـطينية". ولـيس المقصـود من هذه التحركات الحصول على التعويضـات، وإنمـا لأن ذلك يمثل "أقوى حجة أخلاقية تملكها إسرائيل ضد حق العودة للفلسطينيين، الذي برهن على أنه عثرة رئيسية أمام عملية السلام". ويشكك طبيـب العـيون هيسكل حداد[1] من مانهاتن بجدية هذه الحملـة، فهي ليست إلا "بهلوانـيات دعائـية" ولـيس لهـا "قيمة مالية". فهو لا يرغب بأن يظهر اليهود المطالـبون بالتعويضات "نهمين للنقود"، كما يقول، إذ يريد الانتظار حتى تتحقق مطالـب شـبيهة لـــ "أقليات" أخرى، كأكراد العراق. حداد، "غير النهم للنقود"، شـخص عملـي، فمـا يفكـر فيه هو دعوى جماعية، كالتي رفعت ضد البنوك السويسـرية، تضم المطالب "الفردية والعامة"، ولا بأس بعد ذلك من رفع دعاوى بشـكل منفصل، إذ يقول: "يدين العراق لهم [لليهود] بالكثير. ولكن عندما نحصل على النقود، سيقوم الأفراد برفع دعاوى بشكل منفصل، كدعاوى المحرقة".

"اليهود ... هم من بنى العراق"

ذكر جورج هاي[2]، وهو تاجر ألماس يهودي بريطاني من أصل عراقي، أنه يريد تعويضات من العراق، فهذا البلد: "ليس فقيراً، إنه غني جداً، ينبغي أن يعطوا للمواطنين الذين ناضلوا طوال حياتهم. اليهود هم من بنى العراق، لقد أخذوا حياتنا كلها". ونعيم دنغور، وهو يهودي بريطاني آخر، يقول أنه كان يملك: "مصنعيـن، بيوتاً وشققاً عديدة"[3]. ومع الغزو، بدأت تصل إلى أعضاء مميزين من الجماعات اليهودية الأمريكية في نيويورك طلبات من يهود عراقيي الأصل، تدعو إلى حملة مـنظمة للمطالـبة بالتعويضات عن الممتلكات اليهودية العراقية. ومع نهاية العام ازداد حجـم هـذه الطلبات، التي أخذت تصل بشكل خاص إلى مكاتب "المؤتمر اليهودي العالمي". وفي حزيران 2003 صرح أبراهام سوفاير[4] أن مطالبة اليهود

---

(1) (*Heskel Haddad*)، رئـيس "اللجـنة الأمريكـية لإنقاذ اليهود العراقيين وإعادة توطينهم" (*American Committee for the Rescue and Resettlement of Iraqi Jews*).

(2) (*George High*).

(3) راديو (*Marketplace*)، لوس أنجلوس، *2003/7/11*.

(4) (*Abraham Sofaer*)، كبير المستشارين السابق للرئيس الأمريكي رونالد ريغان.

العراقيين، وهو ابن أحدهم، مشروعة. ولكن يبدو أن الأمر ليس بهذه السهولة، "فلا توجد أبداً وثائق تشهد على نقل الملكية لمالكين جدد". وإحدى الوسائل تتمثل برفع دعاوى في محاكم اتحادية أمريكية، بشكل مشابه للدعاوى التي رفعت ضد بنوك سويسرية وشركات ألمانية للحصول على تعويضات المحرقة. وهذه الدعاوى تهدف في الدرجة الأولى إلى "إحراج المدَّعى عليه"، ولكن "العراق ليست بلداً يمكن إحراجه بسهولة"، يقول سوفاير[1].

زيلخا من مونتي كارلو

بدأ كبار أثرياء اليهود من العراق يفكرون كذلك برفع دعوى للمطالبة بتعويضات عن ممتلكاتهم التي صودرت في العراق. فعزرا زيلخا[2] هو من أصحاب المليارات في لوس أنجلوس وهوستون، وفي حزيران عام 2003 كان يصرح من "جناحه" في فندق "دو باري" في مونتي كارلو أنه مهتم بالمبدأ وليس بالنقود، لكنه أضاف "سنأخذ أي شيء يمكننا الحصول عليه الآن". وحسب "الوول ستريت جورنال" كان خضوري زيلخا، والد عزرا، قبل *1948* يمثل "العائلة المصرفية الأولى في الشرق الأوسط". ومع تأسيس "دولة إسرائيل" أجبر خضوري على التخلي عن "بنك زيلخا" في بغداد، وفروعه في القاهرة، دمشق، وبيروت قبل هروبه من المنطقة[3]. ولا توضح الصحيفة كيف "أجبر" زيلخا على التخلي عن بنوكه، علماً بأنه أسس بعد عام *1948* بنوكاً ومؤسسات مالية في جينيف ونيويورك[4].

"فلسطين بيعت مرتين"

زيلخا يقارن فلسطين بالمنضدة التي كان يجلس إليها عندما أجريت معه

---

(1) *(Wall Street Journal)*، *2003/6/23*.

(2) *(Ezra Zilkha)*، رئيس "شركة زيلخا وأبناؤه" *(Zilkha & Sons Inc.)*.

(3) *(Wall Street Journal)*، *2003/6/23*. لا يذكر المصدر أسماء بنوك زيلخا؛ "بنك زيلخا" أخذت من موقع *(Family Names & Web Cards)*، أنظر *(http://farhi.org/wc20_366.htm)*.

(4) حسب شهادة "يهودا آسيا" *(Yehuda Assia)*، وهو مصرفي عراقي يهودي آخر. أنظر موقع *(http://www.babylonjewry.org.il/new/english/nehardea/8/b7.htm)*

مقابلــة، مباشــرة بعد اندلاع الانتفاضة الفلسطينيــة في نهاية تشرين الأول عام 2000[1]. فالمشــكلة، حسب رأيه، أن فلسطين لم تقهر بالقوة، حتى يتحقق السلم بيــن قــوي وضعيف، كما حصل في ألمانيا واليابان. وأصل المشكلة أن فلسطين بيعــت مرتين، "لا يمكنك بيع هذه المنضدة بالذات مرتين. وفلسطين كانت قطعة أرض محــددة وعــدت لكل من اليهود والعرب بعد الحرب العالمية الأولى". ولو دقق زيلخا في وعد بلفور، لاكتشف أن فلسطين وعدت، أو بيعت، مرة واحدة فقط للــيهود، دون أن يُســأل أصــحابها الأصليون، كما أنه لا يسأل نفسه من أعطى البريطانييــن، أو عصــبة الأمم، الحق ببيع "قطعة الأرض" وسكانها الفلسطينيين الموجوديــن فوقها، بالإضافة إلى أنه يتناسى تماما قرار التقسيم الصادر عن الأمم المــتحدة الــذي أعطــي الفلسطينيين الحق في 46% من الأرض. وهو يرى أن المشــكلة هــي في القدس، فـ "هذه أمور عاطفية جداً، كجبل الهيكل". أما مشكلة اللاجئيــن، ومعظمهم في لبنان، فيمكن حلها: "هناك 350 ألف لاجئ تقريباً ينبغي توطيــنهم، وأعــتقد أنه كان بالإمكان إنجاز ذلك، ربما في أمريكا، ربما في كندا، وبكثير من النقــود إلخ". وفي إشارة إلى مفاوضات كامب دافيد عام 2000 قال: "أعــتقد أنه تم التوصل، على الأغلب، إلى تفاهم غير رسمي حول كيفية حل هذه المشــكلة". وعن ماذا ستفعل إسرائيل إذا أعلن الفلسطينيون عن دولة (في الخامس عشر من تشرين الثاني)؟ أجاب: "ربما وضعوا أسيجة حول بعض الأماكن، ربما ردوا عسكرياً، وستكون هناك مشكلة للجميع، وبالأخص للفلسطينيين، هناك 120 ألــف فلســطيني فــي الضفة الغربية يريدون الذهاب إلى عملهم ". ويرى زيلخا المســتقبل صعباً، "فهناك بقية الدول في المنطقة، حيث يوجد البترول. بعض هذه الــدول تــرى أن أمنها مهدد إذا لم تقم بعمل، أو رد فعل ما. علينا الآن أن نعيش حالــة القلــق يوماً بعد يوم. وغير واضح إلى أين ستنتهي الأمور". واليوم، وبعد ثــلاث ســنوات من الانتفاضة، رأينا إلى أين وصلت الأمور: قضي على العراق كدولة عربية مناهضة لإسرائيل.

"رئيس المنفى"

نعــيم دنغــور، الــيهودي العراقي الأصل ورئيس إحدى الشركات العقارية الكبرى في لندن، نصب نفسه عام 1970 كـــ "رئيس المنفى"[2] لليهود الشرقيين،

(1) (welling@weeden)، المجلد 2، عدد 24، 2003/11/17.
(2) (Exilarch).

وكـــان حـــامل هذا اللقب يفض جميع الخلافات بين اليهود من إسبانيا حتى الهند. وبذلك أعاد إلى الحياة منصباً كان موجوداً في بابل أثناء حكم الاسكندر المقدوني، واستمر حتى "تخريب بابل" أثناء غزو المغول للعراق في القرن الثالث عشر، كما جاء في صحيفة "الوول ستريت جورنال".

بشـــكل مماثل لعزرا زيلخا، يرى دنغور أن "حكام العراق الجدد" مدينون لـــ "شـــعبه" بمبلغ عشرين مليار دولار كتعويض عن "الكارثة التي حلت بأقدم وأغنى جماعـــة يهوديـــة فـــي العالم بعد أن حكم العراق قوميون متطرفون بعد الحرب العالمية الثانية". جدُّ نعيم دنغور كان الحاخام الأعظم ليهود العراق، وقد لقب أبوه بـــ "ملك الورق"، لأنه يفترض "أنه كان يملك أكبر مطبعة للكتب بالعربية". ويبدو أن نعـــيم دنغـــور، الذي ولد عام *1914*، لم تكن تزعجه تصفية اليهود في ألمانيا الـــنازية، فقـــد كـــان أثـــناء الحـــرب العالميـــة الثانية "ينقل البضائع بين الحلفاء والمحـــور"، وكلمة "محور" استخدمت هنا لعدم الكشف بشكل صريح عن التعامل مع ألمانيا وحلفائها، فالتاجر النشيط كان يشتري من تركيا التبغ ليبيعه إلى مصانع السجائر في الولايات المتحدة. ويقول دنغور أنه اشترى كل ما كان في تركيا من ورود، كانت تحتاجها شركات مساحيق التجميل في الولايات المتحدة، ليصبح مع نهاية الحرب أحد كبار أثرياء اليهود في العراق. ولكن الذاكرة تنشط فجأة وتسقط كلمـــة "الـــنازية" عندما يسرد دنغور ما حصل بعد عام *1948*، عندما "قيد النشاط الـــتجاري للـــيهود فـــي العـــراق بناء على أنظمة وضعت بشكل مشابه لقوانين نورينبيرغ التي سنت في ألمانيا النازية". وحسب "الوول ستريت جورنال" تحولت معظـــم بـــيوت اليهود إلى نزُل للفلسطينيين مع حلول العام *1952*. ولا نفهم كيف تمكـــن دنغـــور مـــن البقاء في بغداد حتى عام *1964*، بالرغم من هذه الظروف "الصـــعبة"، ففي ذلك العام غادر إلى لندن للزيارة، وأثناء وجوده هناك ورده خبر مفـــاده أن أملاكـــه ستصادر فيما لو لم يعد إلى العراق، وخوفاً من "مصير أسوأ" اخـــتار "المـــنفى" في بريطانيا لينشط في مجال "شراء العقارات المحتجزة"، أي، بمعـــنى آخـــر، جاء ثراؤه الجديد على حساب المنكوبين في الظروف الاقتصادية الصـــعبة لبريطانيا ما بعد الحرب. واليوم فإن "العقار المحتجز الوحيد الذي يعنيه، هو بيته الواقع في شارع أبو نواس". ولكن رواد أحد المقاهي في هذا الشارع أبدوا معارضـــتهم لعودة نعيم دنغور وغيره من اليهود العراقيين[1]. وعلق أحد القاطنين في شارع أبو نواس على هذا الموضوع قائلاً: "هل يتوقع [دنغور] أن يتذكره أحد

---

[1] راديو (*Marketplace*)، لوس أنجلوس، *2003/7/11*.

ما بعد كل هذه السنين؟"[1].

"إحدى حقائق الحياة"

في مجلته "ذي سكرايب" يشن نعيم دنغور حملة واسعة للحصول على تعويضات عن ممتلكات اليهود في العراق. ففي شهر تشرين الثاني 1999 اجتمع في لندن خمس عشرة من قادة الجماعة اليهودية في بريطانيا مع إيهود باراك، رئيس الوزراء، الذي كان آنذاك في زيارة رسمية إلى بريطانيا، وكان من بينهم نعيم دنغور. وفي هذه المناسبة عبر باراك عن رأي حكومته بشأن اللاجئين الفلسطينيين قائلاً بأنه قبل 50 سنة كان هناك "تبادلاً للاجئين: ما يقارب المليون من العرب الفلسطينيين تركوا إسرائيل، بشكل رئيسي بسبب تحريض الحكومات العربية، وما يقارب المليون من اليهود طردوا من البلاد العربية بعد اضطهادهم ومضايقتهم". وحسب باراك الفلسطينيون "تركوا" وطنهم لكن اليهود العرب "طردوا" من أوطانهم، وبعد تحديده لظروف ما حصل كما يشاء، يضيف "هذه إحدى حقائق الحياة التي لا يمكن تغييرها". مجلة دنغور، التي تظهره في صورة وهو يصافح رئيس الوزراء، "تنتقد" الأخير قائلة: "حكومة إسرائيل ترفض الإعلان عن هذه الموقف رسمياً، وبهذا تشجع الفلسطينيين وتدعم موقفهم بالنسبة لمطالبهم ورغبتهم بأن تكون القدس عاصمة لفلسطين، وهو أمر ينبغي أن لا يحصل حتى في حالة التوصل إلى حل نهائي مع الفلسطينيين وسوريا"[2].

"العدالة لليهود من البلدان العربية"

بشكل موازٍ لتحرك رجال أعمال يهود وأفراد، بعضهم مرتبط بالمنظمات والجماعات اليهودية الأمريكية مثل كارول بصري، بدأت المنظمات تعمل في اتجاه آخر لا يمكن فصله عن مخططات العدوان على العراق من جهة، وتصفية القضية الفلسطينية من جهة أخرى. ففي الوقت الذي كانت فيه الولايات المتحدة منغمسة في التحضير للعدوان على العراق، أسست المجموعات اليهودية، في الثلاثين من أيلول عام 2002، منظمة جديدة لإثارة موضوع "إعادة الحقوق" لليهود من البلدان العربية وأجرت العديد من المؤتمرات استمرت حتى نهاية عام

---

[1] المعلومات حول نعيم دنغور من (*Wall Street Journal*)، 2003/6/30.

[2] (*The Scribe*)، عدد 73، تموز 2000.

2003. أطلــق على هذه المنظمة اسم "العدالة لليهود من البلدان العربية" ورعتها المنظمات التالية:

- مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الرئيسية[1]،
- المؤتمر اليهودي العالمي،
- الاتحاد السفاردي الأمريكي،

كما شارك في تأسيسها المنظمات التالية:

- عصبة مناهضة التشهير،
- اللجنة الأمريكية اليهودية[2]
- المؤتمر اليهودي الأمريكي[3]
- مركز الشرق الأوسط للسلام والتعاون الاقتصادي.

وفــيما بعــد أضيفت إلى هذه القائمة "منظمة النساء الصهيونيات الأمريكية" (هاداســاه) و"المجلــس اليهودي للشؤون العامة"(4). وعلى الأغلب في بداية عام 2003، انضــمت إلــيهم "اللجنة العالمية لليهود من البلدان العربية"(5) وأصبحت منظمة "العدالة لليهود من البلدان العربية" تحت مظلة الأخيرة(6). وقد جرى تعيين ستانلي أورمان(7) كرئيس للمنظمــة الجديدة، في حين كان رؤساؤها الشرفيون:

- إروين كوتلر[8]، عضو في البرلمان الكندي.
- شلومو هيليل[9]، ناطق سابق باسم الكنيست الإسرائيلي.

---

(1) (*Conference of Presidents of Major American Jewish Organizations*).

(2) (*American Jewish Committee*).

(3) (*American Jewish Congress*).

(4) (*Jewish Council for Public Affairs*).

(5) (*International Committee of Jews from Arab Lands*).

(6) حســب ما قال ستانلي أورمان في كلمته التي ألقاها في مؤتمر "يهود الشرق الأوسط وشمال أفريقيا" (*Jews Indigenous to the Middle East and North Africa*) (جيميــنا) في سان فرانسيسكو بتاريخ 23 آذار 2003.

(7) حســب "غــاري روزنبلات" (*Gary Rosenblatt*)، (*The Jewish Week*)، 5/23/ 2003.

(8) (*Irwin Cotler*).

(9) (*Shlomo Hillel*).

- ريتشارد هولبروك[1]، مندوب أمريكا السابق في الأمم المتحدة.
- لـــيون ليفـــي[2]، الـــذي كان الرئيس الشرفي مدى الحياة لـــ "الاتحاد السفاردي الأمريكي".
- لورد جورج فايدينفيلد[3]، عضو مجلس اللوردات، المملكة المتحدة.

إلـــى جانب "الاتحاد السفاردي الأمريكي" أدرجت "وزارة العدل الإسرائيلية" فـــي تذيـــيل موقع المنظمة الجديدة على الإنترنت. وقد جاء تأسيس المنظمة بعد خمســـة أشهر من إعلان ماير شيتريت[4]، وزير العدل الإسرائيلي، قيام الوزارة بحفظ وحوسبة عشرة آلاف مطالبة قامت بجمعها حملات سابقة. وتوجهت الوزارة إلـــى "الاتحـــاد السفاردي الأمريكي" للمشاركة في جهودها، وكان "الاتحاد" يعمم الحملة ويجمع مطالبات اليهود على مستوى عالمي. وتهدف الوزارة إلى "مواجهة مطالـــب الفلسطينيين في المفاوضات المستقبلية"، كما صرح شيتريت في حزيران 2002[5].

"معاناة اللاجئين اليهود"

بحضـــور مجموعة من "الشخصيات الأوروبية والأمريكية المرموقة"، جاء الإعلان عن تأسيس منظمة "العدالة لليهود من البلدان العربية" في نيويورك على

---

(1) (Richard Holbrooke).

(2) (Leon Levy). لـــيفي هـــو أحد الأثرياء اليهود الأمريكيين، وكان يعمل في مجال الاستثمار في الســوق المالية، وقد توفي بتاريخ 2003/4/6. ولفترة طويلة كان يمول التنقيبات الواسعة التي قامت بهـــا جامعة هارفارد في الموقع الأثري عسقلان، إلى أن توقف هذا النشاط مع اشتداد حدة الانتفاضة الفلسطينية. شيلبي وايت (Shelby White)، زوجة ليون ليفي، هي من هواة جمع التحف الفنية، بعـــض مصـــادرها مشـــبوه، كما تبين أثناء معرض "فنون المدن الأولى – الألف الثالث ق. م. من المتوســـط إلى نهـــر الســـند"، الـــذي نظمه "متحف ميتروبوليتان للفنون" (Metropolitan Museum of Art) في نـــيويورك في شـــهر أيـــار 2003. أنظر خالد الناشف، تدمير التراث الحضاري العراقي: فصول الكارثة. بيروت: دار الحمراء، مركز الدراسات، 2004، ص ص 172-173. يشـــار إلى أن ليفي قد منح "متحف ميتروبوليتان للفنون" مبلغ عشرين مليون دولار لتأسيس جناح روماني جديد. المعلومات حول ليفي من موقع (Forbes)، 2003/3/7.

(3) (George Weidenfeld).

(4) (Meir Sheetrit).

(5) (Jewish Telegraphic Agency)، 2002/9/30.

لســان مورتيمر زوكيرمان[1]: "نحن هنا اليوم حتى نتصدر وعينا قضية اللاجئين اليهود من البلدان العربية في الشرق الأوسط". ويوضح كلامه بالقول "في الحقيقة هــناك لاجئون سابقون يهود شردوا من البلدان العربية في الشرق الأوسط نتيجة للصراع العربي الإسرائيلي عام 1948 ويقدرون بحوالي 850 ألفا، وهم أكثر من اللاجئين العرب الذين يقدر عددهم بـــ 750 ألف لاجئ. وفي ضوء انشغال العالم بمعانـــاة اللاجئيـــن الفلســطينيين فإننا نريد أن نجلب الانتباه إلى معاناة اللاجئين الـــيهود". وحضـــرت مراسم تأسيس المنظمة كارول بصري وقدمت سرداً مؤثراً لـــتراث عائلتها في العراق وروت قصة عمها، الذي، حسبما تقول، عذب ثم شنق لأنـــه كان ضد اضطهاد اليهود في العراق، بالرغم من ذلك "فإنني أرغب برؤية العراق. أريد لأولادي أن يروا من أين جاءت عائلتنا، وأن يكونوا فخورين بتراثهم اليهودي والعربي". وتضيف أن "اليهود من البلدان العربية يمكن أن يكونوا جسراً للسلام في المنطقة". وألقى كلمات كل من يهودا لانكري[2]، وليون ليفي، ومالكولم هونلايـــن[3]. وتكلمت في الحفل ايفيلن سومر[4] بصفتها ممثلـــــــــة للجماعـــات الـــيهودية فـــي "أكثر من 175 دولة"، مدعية أن الكثير من هذه الجماعات "قد أسسه رجال ونساء وأطفال شردوا بسبب الطرد العربي"[5].

"خلف الكواليس"

تـــبرز أهمـــية هذا التحرك في أنه جاء من قبل ثلاث منظمات يهودية، إحداهـــا "مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الرئيسية" الذي يمثل 52 مـــنظمة يهوديـــة قومـــية، ويعرف نفسه بأنه "منبر للقيادة اليهودية الأمريكية للـــتداول فـــيما بيـــنها والعنوان المركزي الذي يتوجه إليه القادة الأمريكيون والإســـرائيليون وقـــادة العالم، للحصول على المشورة في قضايا ذات أهمية حـــيوية للجماعة اليهودية". ويحتل هذا المؤتمر علنياً، وأكثر "خلف الكواليس"، دوراً ريادياً في "تعزيز مصالح الجماعة الأمريكية اليهودية وتعميق التفاهم بأن

---

(1) (Mortimer Zuckerman)، رئيس "مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الرئيسية".

(2) مندوب إسرائيل في الأمم المتحدة.

(3) (The Jewish Post of New York)، 2002/9/30.

(4) (Evelyn Sommer)، رئيســة "المؤتمـــر اليهودي الأمريكي"، وهو الفرع الأمريكي لـــ "المؤتمر اليهودي العالمي".

(5) (The Jewish Post of New York).

إسرائيل آمنة وسالمة ستبقى الحليف والشريك الاستراتيجي والحيوي لأمريكا". وتحتوي أجندة "المؤتمر" على عدة بنود يركز معظمها على أولويات استراتيجية لأمريكا وإسرائيل، كالوقوف "وراء أمريكا في التزامها القضاء على الإرهاب العالمي بمشاركة إسرائيل، الحليف الوفي لأمريكا"[1]. وهناك بند "تقوية إسرائيل من خلال دعم المساعدات العسكرية والاقتصادية والاستثمارات" وبند "تشكيل دعم لإسرائيل في وسائل الإعلام والرأي العام العالمي". ويستحق البند الأخير الاهتمام، فالرئيس الحالي لـ "المؤتمر"، مورتيمر زوكيرمان، يملك "يو إس نيوز"، "ورلد ريبورت"، و"نيويورك دايلي نيوز"[2]. وكان يرأس سابقا "المؤتمر" رونالد لودر، رئيس "الصندوق القومي اليهودي"[3] (نيويورك) ورئيس شركة "استيه لودر"[4] لمساحيق التجميل.

"المؤتمر اليهودي العالمي" (نيويورك) هو اتحاد عالمي للجماعات والمنظمات اليهودية يضم أكثر من مائة جماعة إقليمية في أمريكا الشمالية، أمريكا اللاتينية، أوروبا، وآسيا. وله مكاتب في القدس (حيث يوجد مركز أبحاث المؤتمر)، باريس (المسؤول عن أوروبا)، وبوينس أيريس (المسؤول عن أمريكا اللاتينية والجنوبية)، ومكتب ارتباط مع الأمم المتحدة في جنيف. ويقوم منذ عام 1987 برعاية "مجلس إسرائيل للعلاقات الخارجية"[5]، الذي يديره مكتب المؤتمر في القدس.

الدعم جاء من أبراهام

يقف وراء منظمة "العدالة لليهود من البلدان العربية" س. دانييل أبراهام، "الرائد" في مجال الصناعات الصيدلية وأغذية الحمية، وكان اسمه قد ورد في

---

(1) المعلومات حول "المؤتمر" من موقعه في الشبكة، بالإضافة إلى موقع (*Israel on Campus Coalition*).

(2) أنظر "جيفري بلانكفورت" (*Jews in Media*)، وهو ملحق لمقال "رونالد بلاير" (*Ronald Bleier*)، الذي نشر في (*Demographic, Environmental and Security Issues Project*)، نيسان 2003 تحت عنوان: "غزو العراق: أجندتان متطابقتان للولايات المتحدة وإسرائيل".

(3) (*Jewish National Fund*)؛ تأسس عام 1901، أحد أكبر المؤسسات الصهيونية في مجالات شراء وإدارة الأراضي والاستيطان.

(4) (*Estée Lauder*).

(5) (*Israel Council for Foreign Relations*).

قائمة الأربعمائة الأكثر ثراء في الولايات المتحدة عام 2001. وقدرت حينها مجلة فوربس ثـروته الصافية بـ 1.8 بليون دولار. وفي العقد الأخير ركز أبراهام نشاطه السياسي و"الخيري" على دعم "إسرائيل وعملية السلام المتعثرة في الشرق الأوسط". في ما يخص إسرائيل، قام بالمشاركة في تمويل برنامج "إسرائيل: حق بالولادة"[1]، الذي يقوم بتنظيم رحلات إلى إسرائيل للشباب من اليهود الأمريكيين. وفيما يخص "الشرق الأوسط" شارك أبراهام عام 1989 في تأسيس "مركز الشرق الأوسط للسلام والتعاون الاقتصادي"، الذي دعم اتفاقيات أوسلو للسلام والعديد من بعثات تقصي الحقائق لرجال الكونغرس إلى الشرق الأوسط، فأنشأ بذلك "علاقات بين السياسيين الأمريكيين، قادة إسرائيل، والقادة العرب". وتمكن أبراهام بذلك من إسناد دور شخصي لنفسه في الدبلوماسية الأمريكية في الشرق الأوسط، حيث قابل مراراً قادة فلسطينيين، الرئيس المصري حسني مبارك، شمعون بيريس، والرئيس الأمريكـي السابق بيل كلينتون. وأخيراً وليس آخراً، ساهم أبراهام في دعم حفر الـنفق تحت الحرم القدسي[2]، الذي فجـر غضب الفلسطينيين عام 1996 وأدى إلى استشهاد 85 فلسطينياً. يحمل أبراهام شهادات دكتوراه فخرية من "جامعة بار إيـلان" فـي رامات غان، "جامعة بن-غوريون في النقب" و"جامعة يشيفا"[3] في نيويورك.

سـتانلي أورمـان، رئيس المنظمة، هو المدير التنفيذي لـ ""مركز الشرق الأوسـط للسـلام والتعاون الاقتصادي"[4]، ومسؤول كبير في "عصبة الصداقـة ـيكـية الإسرائيلية"[5]. أما شلومو هيليل، أحد الرؤساء الشرفيين للمنظمة، فقد "سـاعد حوالـي مائـة ألـف يهـودي علـى ترك العراق بعد حرب إسرائيل للاسـتقلال"[6]، ولا تتضح طبيعة هذه المساعدة، وما إذا كانت تشبه مساعدة بن-بـورات فـي الخمسـينات، وهو عميل للمخابرات الصهيونية شاع أنه قام بتنفيذ

---

(1) (Birthright Israel).

(2) المعلومـات حـول أبـراهام من موقع "مركز الشرق الأوسط للسلام والتعاون الاقتصادي"، أنظر (http://www.centerpeace.org/bios/bio_abraham.htm) وموقـع (Mother Jones.com)، 2001/3/5.

(3) (Yeshiva University).

(4) (Jewish Telegraphic Agency)، 2002/9/30.

(5) (American-Israeli Friendship League)، عن (T-Line TV).

(6) "راتشيل بوميرانتس"، (Jewish Telegraphic Agency)، 2002/9/30.

عمليات تفجير في بغداد لدفع اليهود العراقيين إلى مغادرة العراق[1].

يرمـــي التحرك اليهودي الجديد إلى تحديد قيمة مادية للممتلكات اليهودية في الـــبلدان العربية، وهو ما تعكسه الاستمارة التي حضرتها المنظمة لتعبأتها من قبل "المطالبيـــن"[2] وأطلق عليها اسم "استمارة مطالبات 'اللاجئيـــن اليهود من البلدان العربـــية'". وتحـــتوي الاستمارة على تفاصيل حول مطالب العقارات والأعمال. فبالنسبة للعقارات تطلب معلومات حول عنوان العقار وسنده القانوني، وما إذا كان أرضاً زراعية أو مبنى وعدد الطوابق والغرف، وهل الملكية كلية أم جزئية، وما إذا كـــان هناك بيع أو "إجبار على البيع"، على حد تعبير الاستمارة، والثمن الذي جـــرى الحصول عليـــه. وكذلك الأمر بالنسبة للأعمال، كالمباني، الآلات، المواد الخام، البضائع، وقيمة الماركة التجارية، وأي ديون مترتبة على الأعمال. ويلاحظ أن الاســـتمارة تطلـــب إيضاحات حول وجود مطالبات لدى منظمات أخرى، إذ "يمكـــن تعبئة مطالبات 'اللاجئين اليهود من البلدان العربية' بالإضافة إلى استمارة مطالبات من خلال منظمات أخرى"، وهو ما يعني أن هناك تنسيقاً بين المنظمات اليهودية المختلفة[3]. وحتى شهر أيار 2003 جمعت حوالي 12 ألف استمارة[4].

"اعتبارات سياسية وقانونية"

مـــن بيـــن "الاعتبارات السياسية والقانونية"، التي تشير إليها منظمة "العدالة للـــيهود اللاجئين من البلدان العربية"، وتوظفها في خدمة أهدافها، بعض قرارات الأمـــم المتحدة، كالقرار 237 بتاريخ 14 حزيران 1967، الذي جاء فيه أن على الحكومـــات المعنيـــة أن "تحترم بشكل صارم المبادئ الإنسانية التي تتعلق بحماية الأشـــخاص في أوقات الحرب". وكان يو ثانت، الأمين العام للأمم المتحدة آنذاك، قـــد صرح في مؤتمر صحفي مباشرة بعد صدور القرار أنه "يمكن اعتبار مواده قابلـــة للتطبيق على أشخاص عرب أو يهود". وفي الثاني والعشرين من حزيران مـــن العـــام نفسه جاء قرار مجلس الأمن 242 ليطالب بتسوية سلمية في الشرق الأوسط، بما في ذلك "تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين"، وتنبه المنظمة إلى أن القـــرار لا يفـــرق بيـــن "اللاجئيـــن العرب واللاجئين اليهود السابقين من البلدان

---

(1) أنظر ص ص 127-129.

(2) (claimants).

(3) حول الاستمارة أنظر موقع (Jewish Refugees from Arab Countries).

(4) (The Jewish Week)، 2003/5/23.

العربية". ويذكر ستانلي أورمان أن الاتحاد السوفياتي حاول، دون جدوى، حصر عــبارة "تســوية عادلة" باللاجئين الفلسطينيين، وأن أرثور غولدبيرغ[1]، مندوب الولايــات المتحدة في منظمة الأمم المتحدة، قد أوضح آنذاك أن صفتي "فلسطينية" أو "عربــية" حذفــتا عمــداً للإشارة إلى أنه "ينبغي أيضاً المطالبة بحقوق اليهود اللاجئيــن مــن البلدان العربية، إلى جانب حقوق اللاجئين الفلسطينيين"[2]. وكان ريتشــارد هولبروك قد نبه إلى تشديد يو ثانت على أن المقصود بالقرار 242 هو كل اللاجئيــن وقرأ تصريحات للرئيسين الأمريكيين كارتر وكلينتون يقران فيهما بـــ "حقوق اللاجئين اليهود"[3].

"في الوقت المناسب"

تشــير المــنظمة إلــى أن اتفاقــيات كامب دافيد ومعاهدة السلام المصرية الإسرائيلية تتضمن موافقة "جميع الأطراف على تأسيس 'لجنة مطالبات' للتسوية المتــبادلة لجمــيع المطالــبات النهائية". وتذكر المنظمة ما قاله الرئيس الأمريكي الســابق كارتــر بــتاريخ 27 تشرين الأول 1977: "للفلسطينيين حقوق ... ومن الواضح أن هناك لاجئين يهود ... لهم حقوق كما للآخرين". وكذلك تذكر المنظمة أن "مؤتمــر مدريــد للسلام" عام 1991 أسس "مجموعة عمل متعددة الأطراف" مهمــتها الحفــاظ على حقوق "كافة الأشخاص المشردين نتيجة الصراع العربي الإســرائيلي عــام 1948". وبــناء على المنظمة نوقش موضوع "حقوق اليهود المشــردين مــن البلدان العربية" في مفاوضات "كامب دافيد الثانية" في تموز عام 2002 وعلى إثرها تحدث الرئيس الأمريكي كلينتون عن "اليهود، الذين كان يعيش معظمهــم في البلدان العربية وجاؤوا إلى إسرائيل بعد أن جعلوا منهم لاجئين في بلادهــم". أمــا بالنســبة للإدارة الأمريكية الحالية فيقول ستانلي أورمان، رئيس المــنظمة، بالحــرف الواحــد: "نحن على ثقة، ونتوقع بأن يقوم الرئيس بوش في الوقــت المناســب بإعادة تأكيد الالتزام الرئاسي الأمريكي بحقوق اللاجئين اليهود الســابقين مــن الــبلدان العربية"[4]. وبصرف عن النظر عن لهجة هذا التصريح

---

[1] (Arthur Goldberg).

[2] أنظر أيضاً كلمة أورمان في مؤتمر جيمينا في سان فرانسيسكو بتاريخ 23 آذار 2003؛ أنظر هامش 510.

[3] (Jewish Post of New York).

[4] أنظر كلمته التي ألقاها في مؤتمر جيمينا في سان فرانسيسكو بتاريخ 23 آذار 2003؛ أنظر 510.

الغريب يبقى السؤال ما هو المقصود بـــ "في الوقت المناسب".

"التخفيف من الضغط الفلسطيني"

إذن، فالغرض من تأسيس منظمة "العدالة لليهود من البلدان العربية" سياسي في الدرجة الأولى، كما يتبين من تصريحات المسؤولين، داخل المنظمة وخارجها، إذ يقـــول أورمـــان: "لكي ننجح، علينا استهداف القادة السياسيين، الهيئات الدولية، والجمهـــور العـــام على نطاق واسع"[1]. وبالتحديد: "نريد أن نتأكد من أن قضية اللاجئيـــن الـــيهود السابقين ستثار في كل مرة تثار فيها قضية اللاجئين في سياق عملـــية الســـلام في الشرق الأوسط. كل ما نريد قوله هو أنه ينبغي معالجة هذه القضـــية بالشكل المناسب، من ناحية قانونية ومن أجل الإنصاف"[2]. ويوضح أن المجموعة لا تريد أن ترفع دعوى ضد "الجامعة العربية"، كما اقترح في حزيران 2002، أمـــرام أتـــياس[3]، رئيس "اللجنة العالمية لليهود من البلدان العربية"، التي يشرف عليها "الاتحاد السفاردي الأمريكي". ويعقب أورمان على ذلك: "أولويتنا أن ندخـــل في نقاشات سياسية، ولن نرفع أي مطالب قانونية ضد أي حكومة عربية". ويقـــول لانكري: "علينا أن نكون مستعدين للتخفيف من الضغط الفلسطيني بالنسبة لقضـــية اللاجئيـــن"[4]. يكتب غاري روزنبالت، رئيس تحرير وناشر "ذي جويش ويـــك"، بـــأن المجموعـــة الجديدة "تصر على أن الطرفين [اليهود والفلسطينيين] يســـتطيعان أن يلعـــبا هذه اللعبة السياسية"، أي أن لا ينحصر الموضوع بالمطالبة بحق العودة للفلسطينيين، وهو ما يحتل "مركزاً رئيسياً في الأجندة الفلسطينية" لـــ "مفاوضـــات السلام في الشرق الأوسط". وحسب مالكولم هونلاين، نائب الرئيس التنفـــيذي لـــــ "مؤتمـــر رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية الرئيسية"[5]، تفكر المجموعة بإحضار القضية إلى الأمم المتحدة والطلب من "وفود رسمية في الأمم المتحدة ومجموعات يهودية استشارية" طرحها هناك[6]، إذ "لا توجد حتى الآن أي

---

[1] المصدر السابق.

[2] (Jewish Telegraphic Agency)، 2002/9/30.

[3] (Amram Attias).

[4] (Jewish Telegraphic Agency)، 2002/9/30.

[5] المرجع السابق.

[6] المرجع السابق.

أداة للقيام بذلك على أساس ثابت، أو مكان يمكن التعبير فيه عن الموضوع قانونياً، والأمم المتحدة لم تتبنى هذا الموضوع".

الموضوع لا يتعلق بالضرورة بالحصول على تعويضات، إذ "ستبقى المسألة للمستقبل، أي فيما إذا سيكون هناك تعويض عن أي انتهاك لحقوق الإنسان ضد لليهود من البلدان العربية ... غير أن الموضوع في غاية الأهمية على المستوى القانوني، الأخلاقي، والنفسي ليبدأ العالم بالإدراك بأن 'لاجئي الشرق الأوسط' لا يقصد بهم العرب فقط". وهذا الموقف لا يتجاهل أن إسرائيل قامت بـ "توطين لاجئيها"، لكن "هل ينبغي معاقبة إسرائيل لعطفها على اليهود المطرودين الذين أصبحوا بلا وطن، وكفاءتها في احتضانهم؟ وهل تكافأ الدول العربية على اضطهاد اليهود وطردهم ومصادرة ممتلكاتهم، أو حتى استغلال أشقائهم العرب سياسياً بدلاً من استيعابهم؟"[1].

"مصالحة"

أحد المؤتمرات، التي خصصت لـ "بحث" موضوع "اللاجئين اليهود العرب"، عقد في سان فرانسيسكو، في الثالث والعشرين من آذار 2003[2] ونظم المؤتمر مشروع جيمينا[3]، الذي يديره "مجلس علاقات الجماعة اليهودية" في ولاية كاليفورنيا. تلتقي أهداف مشروع جيمينا مع أهداف الحملة التي أطلقتها منظمة "العدالة لليهود من البلدان العربية". وتتلخص الخطوط العريضة للمشروع بإثارة موضوع اليهود من البلدان العربية، وإدخاله في سياق سياسي راهن وربطه بـ "عملية السلام". فـ "العدالة"، التي يركز عليها مشروع جيمينا ويفهمها ليست قضية إعادة الحقوق لليهود من البلدان العربية، التي يفترض أنها انتهكت، وإنما "مصالحة" ينبغي التوصل إليها حتى يكون هناك "سلام بين جميع شعوب الشرق الأوسط". وكلمة "مصالحة" هنا مطاطة جداً، ولا تعني "إعادة الحقوق"

---

(1) "روزنبلات"، (*The Jewish Week*)، 2003/5/23.

(2) عقد المؤتمر تحت رعاية "مجلس علاقات الجماعة اليهودية" (*Jewish Community Relations Council*) و"الصندوق الوقفي للجماعة اليهودية" (*Jewish Community Endowment Fund*)، التابع لـ "اتحاد الجماعات اليهودية" (*Jewish Community Federation*).

(3) انظر هامش 510.

بالضـــرورة. ويـــبدو هـــذا الموقـــف واضحاً في ما تذكره ملكة بوبليل[1]، الليبية الأصل، حول أحد أهداف منظمة جيمينا التي شاركت بتأسيسها: "أن تنشط كمقابل أخلاقـــي للفلســـطينيين، لـــيس للتقلـــيل من معاناتهم، ولكن لإيضاح نجاح عملية اســـتيعابنا. فإسرائيل استوعبت بنجاح ستمائة ألف من مجموع تسعمائة ألف لاجئ [يهودي من البلدان العربية]". الرسالة واضحة: استيعاب الفلسطينيين، وليس إعادة الحقوق لهم أو لليهود من البلدان العربية[2].

إسرائيل القرن الحادي والعشرون

يشـــكل مؤتمر سان فرانسيسكو جزءاً من الحملة التي أطلقتها منظمة "العدالة مـــن أجل اليهود العرب". ستانلي أورمان، رئيس المنظمة، كان متحدثاً رئيسياً في المؤتمـــر. وجاء الدعم من "المؤتمر اليهودي العالمي"، أحد المخططين الرئيسيين لمـــنظمة "العدالة لليهود من البلدان العربية"، بالإضافة إلى منظمات يهودية عالمية وقومية أخرى لم تحدد هويتها. وتبرز أهمية المؤتمر في عدد الحضور، الذي بلغ حوالـــي ثلاثمائـــة شخص معظمهم من الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. المتحدث الرئيســـي الثاني كان إريك بينهامو[3]، اليهودي الجزائري الأصل، رئيس مجلس إدارة شركة "ثري كوم كوربوراشين"[4] (مارلبورو، ماتساشوسيتس)، وهي إحدى الشركات الأمريكيـــة العملاقة في مجال الحوسبة المتقدمة وتكنولوجيا الاتصالات، وكانت أرباحها الصافية 162 مليون دولار للربع الأول من عام 2003. وقد منحه بنيامين نتنياهو، رئيس الوزراء الإسرائيلي، "جائزة اليوبيل للمستثمر الأجنبي" في عـــام *1998*. وهو أحد أعضاء مجلس إدارة "جامعة بن غوريون في النقب"، التي منحـــته شـــهادة دكـــتوراه فخرية. وبينهامو نائب رئيس "إسرائيل القرن الحادي والعشـــرون"[5]، وهـــي مـــنظمة أهلية تهدف إلى "تعزيز إسرائيل القرن الحادي والعشـــرين لتتجاوز [مرحلة] الصراع"، حسب المنظمة، ولكنها عملياً تأسست بعد الانتفاضـــة الفلســـطينية كرد فعل للدفاع عن صورة إسرائيل السلبية، التي أخذت تنتشر في وسائل الإعلام الأمريكية، ولمواجهة تراجع الاستثمارات الأمريكية في

---

(1) *(Malaka Bublil)*.

(2) *المعلومات حول جيمينا من موقعها على الإنترنت: (http://www.jimena-justice.org/)*.

(3) *(Eric Benhamou)*.

(4) *(3Com Corporation). المعلومات حول بينهامو من موقع الشركة على الإنترنت.*

(5) *(Israel21c)*.

إسرائيل[1]. بينهامو هو أيضاً رئيس "شبكة إسرائيل فينتشر"[2] وهي شبكة "خيرية" تضم رجال أعمال من الولايات المتحدة وإسرائيل من أجل "مجتمع إسرائيلي قوي"[3].

"مبادئ"

كان مؤتمر سان فرانسيسكو فرصة سانحة لأورمان كي يعرض المبادئ التي تمنح "الشرعية والنقل" للحملة التي تقوم بها منظمة "العدالة لليهود من البلدان العربية"، وهذه المبادئ هي: "التذكر"، "فضح الأسطورة"، "العدالة"، "إعادة الحقوق"، "المصالحة". إن مبادئ مثل "التذكر"، "الحقيقة"، "العدالة"، و"المصالحة" تبقى مسألة نسبية يحدد طبيعتها وحدودها حاملها. لكن الأمر يختلف مع "الحقيقة"، "فضح الأسطورة" و"إعادة الحقوق". فهذه الأمور تكتسب بعداً خاصاً يستوجب الرد، خاصة عندما يقول أورمان أنه يجب "مجابهة ونقض المقولة الخاطئة أن الإسلام هو دين تسامح، وأن اليهود كـ 'أهل الذمة' كان لديهم وضع حماية تحت الحكم الإسلامي". وإن كان يقر بأن أوضاع اليهود ازدهرت فعلاً في بعض الأماكن، إلا أنه "في الغالب كان ينظر إليهم، ويعاملوا، كمواطنين من الدرجة الثانية في العديد من البلدان العربية". لهذا "علينا مواجهة أسطورة أن اليهود تركوا البلدان العربية بمحض إرادتهم وبمشيئتهم. فمنذ فترة طويلة انتشرت في العالم العربي ثقافة كراهية مدعومة من الدولة من خلال وسائل الإعلام والمساجد والمدارس". وهنا يتحول "الإسلام" إلى "عدو" وهمي للديانة اليهودية، ويستغل لإضفاء طابع قومي على اليهودية، وهذا مبدأ صهيوني قديم جديد يرمي في النهاية، ومن خلال اصطناع هوية قومية، إلى تبرير استعمار فلسطين. وإذا كان اليهود مواطنين من الدرجة الثانية في الدول العربية فكيف أمكن لهم أن يتعلموا ويحوزوا كل هذه "الحقوق" التي يطالبون بها اليوم؟ أما عن انتشار ثقافة الكراهية في الدول العربية، فإنها لا تحتاج لأي دعم من الدولة أو المساجد والمدارس، إذ يكفي أن يشاهد أي طفل، على شاشات الفضائيات، ما يحدث ضد الفلسطينيين منذ سنوات، وفي العراق حاليا، لكي يصبح مشبعا بالكراهية. والمشكلة ليست في

---

[1] حسب بينهامو نفسه، أنظر (*The Jerusalem Post*، 2003/7/27؛ أنظر أيضاً (*Israel21c*، 2003/1/27.

[2] (*Israel Venture Network*).

[3] حول "شبكة إسرائيل فينتشر" أنظر موقع المنظمة على الإنترنت.

الإســلام وإنمــا في من يستغله بمنحى عنصري كما لاحظناه في مواقف بعض رجال الدين اليهود الذين شاركوا بــ "تحرير العراق".

"غولدبيرغ" و"غولدستين"

في المؤتمر نفسه، قال يتسحاق سانتيس[1]، مدير "شؤون الشرق الأوسط" في "مجلــس علاقات الجماعة اليهودية"[2] أنه "لن يكون هناك سلام ومصالحة حقيقية فـــي الشــرق الأوسط، وبين إسرائيل والفلسطينيين، بدون الاعتبار الكامل لقضية اللاجئيــن اليهود وكونها جزءاً من معادلة التسوية". يوسف عبد الواحد، المصري الأصــل والرئــيس المشارك لمنظمة جيمينا، علق مازحاً أنه التأم في عصر ذلك اليوم من أيام سان فرانسيسكو الكثيرون ممن يحملون أسماء "سمحة" و"وهبة"، بدلاً من "غولدبيرغ" و"غولدستين". وبالرغم من النقد المتضمن لسيطرة الأشكيناز على سياسة الجماعات اليهودية، فإن عبد الواحد لا يتردد في القول: "فقد مئات الآلاف مــن اليهود من البلدان العربية حياتهم وأملاكهم. روايتنا غير معروفة، وقد حان الوقت لسردها على العالم"[3]. وفي حزيران عام 2003 قال عبد الواحد لأسبوعية "ذي جويش ويك": "لا يوجد شك بأن العرب قد تآمروا على طردنا"[4].

نشاط مكثف

فـــي أيـــار 2003 بدأت منظمة "العدالة لليهود من البلدان العربية" بتكثيف نشاطها، وذلك عندما طالب النائب الديموقراطي فرانك بالون[5] (نيوجيرسي) بأن تكـــون هـــناك جلسات استماع تشريعية حول الموضوع، وفي السادس عشر من حزيــران وجـــه الســناتور رون وايدن[6] (أوريغون) طلباً مماثلاً إلى ريتشارد لوغـــار[7] رئــيس "لجنة العلاقات الخارجية"[8] التابعة لمجلس الشيوخ يقول فيه:

---

(1) (*Yitzhak Santis*).

(2) (*Jewish Community Relations Council*).

(3) (*Jewish Bulletin of Northern California*)، 2003/3/28.

(4) (*The Jewish Week*)، 2003/6/27.

(5) (*Frank Pallone*).

(6) (*Ron Wyden*).

(7) (*Richard Lugar*).

(8) (*Committee on Foreign Relations*).

"ينبغـــي أن نرفع درجة الوعي بهذه القضية وأن نضمن حقوق [اليهود] من وجهة نظـــر القانون والإنصاف". وعقد مسؤولون من المنظمة لقاءً استشاريا في الثامن عشـــر مـــن أيار وبحثوا القانون الدولي و"حقوق اللاجئين اليهود"، بالإضافة إلى إمكانـــية التمثـــيل السياســـي في الأمم المتحدة من بلدان منفردة[1]. وكانت منظمة "العدالة لليهود من البلدان العربية" قد أعدت تقريراً صدر في الثالث والعشرين من حزيـــران بعنوان "اليهود من البلدان العربية: إثارة موضوع الحقوق". وقد وضع هـــذا الـــتقرير أورمـــان بالاشـــتراك مـــع دافـــيد ماتاس[2] من "اللجنة القانونية الاستشارية"[3]. وفي اليوم التالي قامت بتوزيعه في نيويورك مجموعة من اليهود من أصل عربي بالقرب من مبنى الأمم المتحدة. وقال مالكولم هونلاين أنه سيقدم الـــتقرير إلى البيت الأبيض. أما عضو البرلمان الكندي إروين كوتلر، وهو أيضاً أحد الرؤساء الشرفيين للمنظمة، فقد قام بتقديم التقرير إلى "مسؤولين حكوميين في إسرائيل وبريطانيا العظمى"[4].

المنظمات اليهودية تحت سيطرة الأشكيناز

الديماغوجـــية الأمريكـــية غويلا بوخوبزا[5]، الليبية الأصل، صرحت بهذه المناسبة في نيويورك قائلة: "أن اليهود سكنوا ليبيا منذ 2000 عام، أي قبل قرون مـــن الغـــزو والاحتلال العربي". وبالرغم من أن "المئات قتلوا وجرحوا والآلاف أصبحوا مشردين" بين *1945* و*1951* فإن عائلة بوخوبزا بقيت في ليبيا حتى عام 1961. مـــثل هـــذه الأصوات التي أخذت تتعالى لدعم منظمة "العدالة لليهود من الـــبلدان العربية" وتقريرها، يبدو أنها غير مدركة لحجم ما يعرفه آخرون حول ما حصـــل بالنسبة لليهود في البلدان العربية. يقول زاخاري لوكمان[6] أن هناك أدلة تشـــير "إلـــى أن عمـــلاء إسرائيليين كان لهم دور في تخريب العلاقة بين اليهود والعـــرب فـــي تلك البلدان، وذلك بهدف دفع اليهود المترددين بالمغادرة إلى حزم

(1) (*The Jewish Week*)، *2003/5/23*.

(2) (*David Matas*).

(3) (*Advisory Legal Committee*). نشـــرت نســـخة مختصرة من التقرير في (Isranet Briefing. *Permanent Archive*).

(4) (*The Jewish Week*)، *2003/6/27*.

(5) (*Guilla Boukhobza*).

(6) (*Zachary Lockman*)، الأستاذ في دراسات الشرق الأوسط من جامعة نيويورك.

أمتعـــتهم والرحيل"، ويضيف: "معظم اليهود في تلك البلدان لم يكونوا صهيونيين". دافيد شاشا[1]، الناشط السفاردي، ينتقد المنظمة التي تدافع عن "حقوق السفارديين" لأن رؤســـاءها هـــم مـــن الأشـــكيناز. ويقول: "إن المشكلة الرئيسية التي تواجه الســـفارديين في إسرائيل، هي الفرق الاقتصادي والاجتماعي الشاسع بينهم وبين الأشكيناز؛ عدم محاولة المدارس في إسرائيل وأمريكا تدريس التاريخ السفاردي؛ وأن المنظمات اليهودية الرسمية هي تحت سيطرة الأشكيناز". ويضيف "إن طرح مســـألة الـــيهود العـــرب الآن هو، من جديد، لتفادي القضايا الرئيسية التي تواجه الجماعة السفاردية"[2].

موقف يرحب بكل الآراء

الخـــلاف بيـــن اليهود "السفارديين" و"الأشكيناز"، الذي هو في أصله صراع قومـــي مع الغرب، دفع أورمان، الذي يمثل عملياً مصالح اليهود "الأشكيناز"، إلى اتخـــاذ موقـــف غـــير محدد يرحب بكل الآراء: "هناك عدة وسائل لمتابعتها وكل شـــخص ســـيقوم بما هو أفضل حسبما يراه، فأي وسيلة صحيحة إذا ترتب عليها مطالـــبة فـــردية أو جماعية، أو أن تصبح القضية جزءاً من خارطة الطريق"[3]. المحامـــية ســـمحا علوية[4] من بيركلي (كاليفورنيا) تقول أنها مستعدة للعمل على دعوى جماعية مع محامين آخرين وتعتقد أن "البلدان العربية أخذت الممتلكات من اليهود ولم تستخدمها لدمج الفلسطينيين فيها"، وتضيف: "على البلدان العربية، التي لـــم تهتم باللاجئين الفلسطينيين، دفع تعويضات للفلسطينيين واليهود. لقد كان هناك نقـــاش حول صندوق تعويضات دولي، هذا الصندوق ينبغي تمويله من الأصول المجمـــدة لليبـــيا والعراق، ومن الأصول المجمدة للمنظمات الإرهابية منذ الحادي عشـــر مـــن أيلـــول. لمـــاذا على الأمريكيين أو الأوروبيين أن يقوموا بدفع هذه التعويضات؟"[5]. ويستدل من هذه التصريحات أن المسألة لا علاقة لها بالحصول علـــى تعويضات لليهود العرب، بل وضع تعويضات اللاجئين الفلسطينيين مقابل تعويضـــات اليهود العرب، وحسمها ضمن "صندوق تعويضات دولي" ما قد يؤدي

---

(1) (*David Shasha*).

(2) (*The Jewish Week*)، *2003/6/27*.

(3) (*The Jewish Week*)، *2003/5/23*.

(4) (*Semha Alwaya*)، يهودية من أصل عراقي.

(5) (*The Jewish Week*)، *2003/5/23*؛ أنظر أيضاً (*Haaretz*)، *2003/5/16*.

إلـــى ضياع حقوق اللاجئين في هذا التعويض، والكلام عن "صندوق تعويضات" كـــان قد ورد في "اتفاقية جنيف"، بدون إشارة واضحة للاجئين الفلسطينيين، كما سنرى.

"مشكلتا لاجئين"

يكتـــب أفـــي بـــيكر[1] أنـــه يصعب على المرء "أن يفهم صمت الحكومات الإســـرائيلية والمجتمع في البلاد عن موضوع هو في مركز الصراع الإسرائيلي الفلســـطيني، الـــذي يعني عملياً أنه كان هناك في الشرق الأوسط مبادلة سكانية". ولكـــن المقابلـــة أو المساواة تقف عند هذا الحد، فبيكر يتفق مع كارول بصري، "القانونية" ذات الأصل العراقي، عندما تدعي أن ما أصاب اليهود العرب "ليس إلا تطهـــيراً عرقـــياً". ويضـــيف "أن من يريد أن يقابل بين روايات اللاجئين اليهود والعـــرب، فإنـــه سيجد حججاً أخلاقية وعادلة ضد مطالب الفلسطينيين بـــ 'حق العـــودة'"، ويشـــير إلـــى أن الفلسطينيين "تركوا" فلسطين، ويجد من يدعمه. ففي صـــيف عام 2000 في كامب دافيد "فوجئت القيادة الإسرائيلية بالمطلب الفلسطيني بـــ 'حق العودة' لأربعة ملايين فلسطيني"، إلا أن الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون رأى أنه توجد "في الشرق الأوسط مشكلتا لاجئين، يهودية وعربية، وكل منهما تتطلب العدل والتعويض"، موضوع "التعويض" واضح، ولكن ليس "العدل"، فبـــيكر يقول: "إن عصر ما بعد الحداثة يرفض التبريرات الأيديولوجية ويعتبرها تفســـيراً مـــنحازاً للتاريخ. ولكن لا خيار آخر أمامنا. المعركة ضد 'حق العودة' مستمرة وتتطلب منا موقفاً واقعياً ومتماشياً مع الحقيقة في مقابل المبادئ الأخلاقية والعدالـــة الصهيونية". وما يقوله صراحة، هو إسقاط إحدى الأساطير الصهيونية، أي أن "معظـــم الـــيهود العـــرب جذبتهم إسرائيل بسبب مثل صهيونية فهم ليسوا لاجئيـــن". وقد يشك المرء أن هناك ما يمكن اعتباره خلافا بين موقف الجماعات الـــيهودية خـــارج إسرائيل والحكومة الإسرائيلية، ولكن هذه الشكوك تتبدد عندما يكتـــب بيكر نفسه أن موضوع تعويض الممتلكات اليهودية في العراق "ينبغي أن يعالج بكثير من الحذر، وأن المؤتمر لن يبحث فيه دون تنسيق وثيق مع الحكومة الإسرائيلية"[2].

---

(1) *(Die jüdische)*، 2003/7/30.

(2) *(Haaretz)*، 2003/5/16.

موقف أفي بيكر عبر عنه عندما شارك في "نقاشات" جرت أمام "لجنة العلاقات الدولية" التابعة لمجلس النواب الأمريكي، وتزامنت مع العدوان الأمريكي على العراق وغزوه. ويلاحظ أن موقفه بالنسبة للمطالبة بتعويضات عن الممتلكات اليهودية العراقية، أو الممتلكات اليهودية العربية بشكل عام، لا يتعارض وقيام اليهود بالمطالبة بالتعويض عن ممتلكاتهم بشكل منفرد، وبمعزل عن أي تحرك دولي، إذ يقول أنه "لا يمكن استثناء إمكانية أن يقوم اليهود برفع دعاوى بشكل مستقل". إن تزامن هذه الحملة للمطالبة بالتعويض مع احتلال العراق يدل على أن هناك خلفية سياسية لا علاقة لها بالحصول على تعويضات مادية، بقدر ما هي محاولة جادة، من وجهة النظر الإسرائيلية والأمريكية، للتخلص من الأعباء المادية التي على طرف ما أن يتحملها عندما يتم التوصل إلى "حل عادل وشامل" بالاستناد إلى اتفاقيات الحل النهائي، كاتفاقية جنيف، التي تصفي عملياً القضية الفلسطينية بالكامل. ويشير بيكر إلى مفاوضات كامب دافيد لعام 2000 ويقول "أن كلينتون قد ربط بشكل مباشر بين حقوق اللاجئين العرب واللاجئين اليهود الذين أرغموا على مغادرة الدول العربية، بما في ذلك العراق. وقد حدد كلينتون بأن إطار أي اتفاقية سلام ينبغي أن يتضمن تأسيس صندوق دولي تعالج فيه مطالب اللاجئين من الجانبين وتدفع منه التعويضات لكل من اللاجئين العرب واليهود".

ما هو المطلوب؟

حملة "المؤتمر اليهودي العالمي"[1] تتمحور حول إثارة قضية "اللاجئين اليهود من البلدان العربية"، كمقابل للاجئين الفلسطينيين، وليس بالضرورة للمطالبة بأي تعويضات. فالمؤتمر، الذي عقد بتاريخ السادس عشر من تشرين الثاني عام 2003 في مونتريال (كندا) ونظمه "المؤتمر اليهودي الكندي" تحت عنوان: "اليهود

---

[1] *عقد "المؤتمر اليهودي العالمي" عدة مؤتمرات حول موضوع "اللاجئين اليهود من البلدان العربية"، بلغت سبعة حتى شهر حزيران 2003. أنظر (World Jewish Congress, News)، 6/30/2003 حول المؤتمر الذي عقد في لندن بتاريخ 6/29. يذكر أن (Dia Kashi)، العراقي "المسلم"، كما يعرفه "المؤتمر اليهودي العالمي"، ألقى محاضرة يعرض فيها "ذكرياته السعيدة" حول أصدقائه اليهود في العراق. الشخص نفسه ساهم في تأسيس منظمة "حقوق الانسان" العراقية (Charter 91). وحسب مصدر آخر سافر ضياء، الذي يمتلك مقهى في لندن، إلى إسرائيل للمشاركة في تأسيس "لجنة الصداقة العراقية الإسرائيلية" (Iraqi-Israeli Friendship Committee)، أنظر (The New York Times Magazine)، 2003/3/2.*

مـــن البلدان العربية: النزوح المنسي"[1] يهدف إلى "تثقيف الناس وجعلهم يدركون أن إســرائيل هــي وطن 620 ألف يهودي هربوا من البلدان العربية، وأن اليهود اهــتموا بأبناء جلدتهم ولم يتركوهم يعانون في مخيمات للاجئين"، على حد تعبير كيث لاندي[2]، رئيس المؤتمر. وشارك في المؤتمر اروين كوتلر، الذي قال: "من المهــم الإدراك من أجل العدالة والسلام والمصالحة أن هناك لاجئين يهود كما أن هناك لاجئين عرب، وأن ظاهرة اللاجئين اليهود جاءت في الحقيقة نتيجة التفرقة ضد اليهود بدعم حكومي في البلدان العربيـــة"[3]. إن الكندي العادي، الذي ربما لم يســمع مــن قبل بالقصة الحقيقية للقضية الفلسطينية، سوف يتخذ، وبشكل تلقائي، موقفــاً مــناوئاً للعرب الذين "طردوا اليهود" ولم يحتضنوا اللاجئين الفلسطينيين، وتــركوهم يعيشــون فــي مخيمات بائسة، كما سيتعاطف مع دولة إسرائيل التي احتضنت أبناءها وتواصل رعاية حقوقهم.

اتفاقية جنيف

شكل الوضع القائم بعد احتلال العراق الأرضية المناسبة للكشف عن، والبدء بتنفــيذ، خطــط قديمـــة تلغي حق العودة، وبالتالي تصفي أحد الحقوق الأساسية للاجئيــن الفلســطينيين. هــذا هو جوهر ما يسمى بـــ "اتفاقية جنيف"، التي يمكن وصفها بأنها تخلت عن الوطن وقبلت بحق "اليهود" المزعوم بأرض فلسطين. فهذه الاتفاقــية، التــي تسقط "حق عودة" الفلسطينيين إلى فلسطين التاريخية، تخصص جزءاً كبيراً نسبياً من نصوصها لموضوع اللاجئين وتصفية وضعهم، بما يتناسب مـــع خطـــط الحل النهائي للقضية الفلسطينية، الذي يعني حرمان الفلسطينيين من حقوقهم المشروعة. فالبند السابع حول موضوع اللاجئين يحتل ست صفحات من مجموع 27 صفحة حسب النص المنشور في "لوموند ديبلوماتيك". ولكن ما يلفت الــنظر في هذا البند أنه لا يحدد هوية اللاجئين، الذين يتكلم عنهم، إلا في الحالات الواضـــحة بأن المقصود هم اللاجئون الفلسطينيون، كالتوطين في البلاد العربية. فعـــنوان المـــادة هو "اللاجئون" فقط، وكذلك البند الأول، الذي يحدد أهمية "مشكلة اللاجئيـــن"، لا يشير إلى اللاجئين الفلسطينيين على الإطلاق. وهذا يذكر بما كانت تركز عليه منظمة "العدالة لليهود من البلدان العربية" من أن كلمة "اللاجئيـــن" في

---

(1) *(Jews from Arab Lands: A Forgotten Exodus)*.

(2) *(Keith Landy)*.

(3) *(Arutz Sheva)*، *2003/11/20*.

قرار مجلس الأمن رقم 242 يمكن أن تفسر بأنها تعني أيضاً "اللاجئين اليهود" إلى جانــب اللاجئيــن الفلسطينيين. والبند العاشر من المادة يخص "تعويض اللجوء"، ويشير إلى تأسيس "صندوق تعويض"، تشرف عليه لجنة دولية، بدون تحديد هوية اللاجئين. هذه اللجنة، حسب المادة 11، مسؤولة عن تنفيذ "جميع جوانب الاتفاقية الخاصة باللاجئين"، وستقوم بتأسيس "لجان فنية" من بين مهامها وضع آليات لحل أي خلافات قد تنشأ عند تفسير مواد الاتفاقية في ما يخص اللاجئين.

مباشرة بعد الاحتفال الصاخب والغنائي الذي أجري في المدينة، التي حملت الاتفاقــية اسمها، كان فريق الاتفاقية يعرضها في الولايات المتحدة في الثالث من كانون الأول عام 2003 في "مركز سابان لسياسة الشرق الأوسط"[1]، الذي أسسه الملياردير الأمريكي حاييم سابان في واشنطن في الثالث عشر من أيار عام 2002 ويحمل اسمه[2]، ويتبع "مؤسسة بروكنغس"[3]. يقوم "مركز سابان" بإعداد "أبحاث أصيلة"، من بينها "بناء الدولة الفلسطينية المستقبلية" و"دروس للدبلوماسية الأمريكية مــن كامب دافيد ". وسيتولى المركز الإشراف على المشروع الدائم لــ "مؤسسة بروكيــنغس"، وهو "السياسة الأمريكية تجاه العالم الإسلامي"، الذي تدعمه كل من بروكينغس، "مؤسسة فورد" والحكومة القطريــة. كما يعمل المركز على مشروع خــاص حــول "الاســتراتيجية الأمريكية الإسرائيلية". ويتضح الهدف من "مركز ســابان" عــندما نعرف أن مديره هو كينيث بولاك[4]، الذي كان يعمل في "وكالة الاســتخبارات المركــزية" و"مجلــس الأمن القومي" الأمريكي. وما كتبه كينيث مؤخــراً[5] يشــير إلى الاهتمام البالغ للإدارة الأمريكية بوجود خطط لدى العراق لتطوير أسلحة دمار شامل، وخاصة السلاح النووي، ومجرد وجود الخطط، مهما كانت بسيطة، شكلت تبريراً كافياً لشن العدوان على العراق حتى بالنسبة لبولاك. ومــن الواضح أن تعيين هذا الشخص في إدارة مركز اليهودي الإسرائيلي سابان هو بسبب التهديد المحتمل الذي كان يشكله العراق لإسرائيل.

---

(1) *أنظر (http://www.brookings.org/comm/events/20031203.htm).*

(2) *(Saban Center for Middle East Policy)؛ أنظــر الموقع الإعلامي لوزارة الخارجية الأمريكية (http://usinfo.state.gov/usa/islam/pr051302.htm).*

(3) *(Brookings Institution).*

(4) *(Kenneth Pollack).*

(5) *أنظر مقاله "جواسيس، أكاذيب وأسلحة: أين الخطأ؟" في (The Atlantic)، كانون الثاني/شباط 2004 والمقابلة التي أجريت معه والمنشورة في العدد نفسه.*

وربمـــا تمثلـــت "الـــدروس من كامب دافيد" بكيفية جعل الفلسطينيين يقبلون بالمشـــروع المطروح آنذاك. لهذا جاءت مباحثات طابا نهاية العام 2000 لإعادة صياغة مشروع كامب دافيد، وهذا ما كان يعرضه الثنائي ياسر عبد ربه ويوسي بيلين في "مؤسسة بروكينغس" في الثالث عشر من تشرين الثاني عام 2001[1]. لم يكـــن حينها "مركز سابان" قد أسس بعد، ولكن سابان، اليهودي المصري الأصل الـــذي ترعـــرع فـــي إسرائيل، هو أحد أعضاء مجلس الإدارة لبروكينغس. وبعد تأســـيس المركز مباشرة نظمت أيباك فيه نشاطاً دعت إليه طلاباً من جميع أنحاء الولايـــات المتحدة الأمريكية لمجابهة النشاطات الموالية للفلسطينيين في الجامعات الأمريكية، والتصدي لحملات تطالب بعدم التعامل مع شركات إسرائيلية، كالحملة التـــي نظمتها حركة "الطلاب من أجل العدالة في فلسطين"[2]. وحملة أيباك، التي ســـاهم ســـابان بتمويلها، تمثلت بانتقاء أربعة طلاب من كل جامعة ودربتهم، ثم جـــندتهم ليقوموا بمناهضة النشاط الداعم لفلسطين، وشمل هذا النشاط ستين جامعة موزعة على خمس وثلاثين ولاية أمريكية. وفي نشاط موازٍ قامت هيليل[3]، وهي أكبر منظمة يهودية جامعية في العالم، بإحضار أربعمائة طالب إلى إسرائيل، بقي منهم ثمانون في جامعة تل أبيب ليتلقوا "تدريباً مكثفاً في الولاء لإسرائيل"[4].

توطين، لا تعويض

الهـــدف من حملة "العدالة لليهود من البلدان العربية" يتلخص في مواجهة أيٍّ مطلـــب فلسطيني بحق العودة على المستوى السياسي في مرحلة مفاوضات "الحل النهائـــي" لمعادلته، أو حتى إلغائه. وفي مرحلة لاحقة، وعلى المستوى القضائي، إجمـــال قـــيمة "حقوق" اليهود العرب ومقابلة ذلك بالحقوق الفلسطينية. ولا تخفي المنظمة هذا الهدف بقولها: "هناك واجب أخلاقي بأن يدرج موضوع العدالة لليهود العـــرب من البلدان العربية في موضعه الحقيقي على الأجندة السياسية والقانونية

---

(1) انظـــر حـــول هـــذا المؤتمر الصحفي (Foundation for Middle East Peace) في (http://www.fmep.org/analysis/policy_forum_israeli-palestinian_settlement11-13-01.html).

(2) أنظـــر "جيفري بلانكفورت"، (San Francisco Bay Area Indymedia)، 12/1/2003.

(3) (Hillel).

(4) أنظر موقع "مركز القدس للشؤون العامة" (Jerusalem Ceter for Public Affairs)، (http://www.jcpa.org/campus/archive/2003-04/2003-04-07.html).

الدولية وأن يتم ضمان حقوقهم من وجهة نظر القانون والإنصاف". لهذا توضح المنظمة أهدافها بأنها "تسجيل تجربة اليهود المشردين من البلدان العربية وتوثيق مطالبهم الشرعية". والغرض ليس "جمع النقود، فالجهد الرئيسي يتركز على تسجيل الشهادات وجمع المعلومات"[1]. حملة منظمة "العدالة لليهود من البلدان العربية" لا تطالب بـ "التعويض"، وإنما تقتصر في دعوتها على "حق التعويض"[2]. وتتضمن الوسائل التي ستلجأ إليها المنظمة "مكتب المندوب السامي للاجئين" و"ميثاق الأمم المتحدة لوضع اللاجئين"، و"صندوق تعويضات أنشأ في إطار تسوية عربية إسرائيلية شاملة"[3]. الموضوع، إذن، ليس الحصول على تعويض، وإنما توطين اللاجئين الفلسطينيين. الإعلامي جوزف فرح[4] يجعل العراق مديناً ليهوده واليهود العرب: "كيف يمكن لهذا الدين أن يدفع؟ ليس بالأموال، وإنما باعتذار يقدم لليهود من قبل الحكومة الجديدة [للعراق]، وتعهد بأن تقوم بالمساهمة في حل أزمة اللاجئين العرب بالطريقة نفسها التي حلت بها أزمة اللاجئين اليهود"[5]. فرح، صاحب الشبكة الإعلامية "ورلد نيت دايلي" ذات العلاقات المشبوهة[6] يروج لفكرة قديمة، ربما ما زالت مطروحة، وهي توطين الفلسطينيين في العراق.

---

(1) "روزنبلات"، (The Jewish Week)، 2003/5/23.

(2) (right to redress). ويلاحظ استخدام الكلمة المطاطة (redress)، بدلاً من (restitute).

(3) حسب التقرير المختصر للمنظمة.

(4) (Joseph Farah). جوزيف فرح، أمريكي من أصل عربي، هو مؤسس موقع "ورلد نيت دايلي" (WorldNetDaily) ومديره التنفيذي. يكتب أسبوعياً في صحيفة "الجيروسالم بوست" الإسرائيلية الصادرة في القدس ويساهم أيضا بمقالات لـ "الوول ستريت جورنال، ناشينال ريفيو، في في غابد، ريزون، لوس أنجلوس تايمز، ذي بوسطن غلوب، ذي سان فرانسيسكو كرونيكلز، الشيكاغو صن تايمز [أنظر ص 67]، والعديد من المؤسسات الصحفية القومية، العالمية، والمحلية" تصريحات فرح العنصرية والمعادية للفلسطينيين أكثر من أن تحصى، مثلاً نشر موقع لـ "الشباب الصهيونيين" (Betar) في إنجلترا بتاريخ 2003/10/24 مقالاً لفرح تحت عنوان "ادينوا عداء السامية" يقول فيه: "العالم الإسلامي المتطرف يفهم فقط لغة القوة والعظمة ولا يحترم الضعف"؛ أنظر (http://www.betar.co.uk/articles/betar1067016796.php). بعض المعلومات حول فرح من موقع (Creators Syndicate).

(5) (WorldNetDaily)، 2003/1/13.

(6) المدعو "أنتوني لوبايدو" (Anthony LoBaido)، مراسل الشبكة، تمكن عام 2000 من الاتصال مع عملاء من الموساد في المنطقة، يذكر اسم أحدهم في قبرص، حسب ما جاء صراحة في أحد التقارير التي نشرتها الشبكة الاعلامية بتاريخ 2001/2/8.

فـــي النهاية، الهدف من الزوبعة الوهمية التي أثارتها المنظمات والجماعات الـــيهودية حول ما يسمى باللاجئين اليهود من البلدان العربية، ليس إعادة الحقوق لليهود العرب بالمعنى الشامل للكلمة، أي تصحيح الخطأ وإعادتهم إلى موطنهم في البلدان العربية، فهذا يتطلب تصحيحاً مقابلاً يتمثل بإعادة اللاجئين الفلسطينيين إلى موطنهم، وهو فلسطين. على العكس من ذلك، من الواضح أن الهدف هو ترسيخ الخطـــأ الأصـــلي، أي إبقـــاء الـــيهود العرب في وطنهم الجديد الزائف وتوطين الفلسطينيين مكان اليهود في البلدان العربية أو أماكن أخرى. كل هذا كان مخططا لـــــه أن يحصـــل مع توقع القضاء على العراق كعنصر قومي عربي فاعل في الحفاظ على الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.

■■■

اختراق السوق العراقي

"الأشخاص الذين نحن على اتصال معهم يتحركون من وإلى العراق بحرية. لهم أقارب في العراق، ولديهم صحافيون يعملون هناك. ومن خلالهم لدينا اتصالات بشكل غير مباشر مع مثقفين، صحافيين، ورجال أعمال. وعملياً، نحن نقوم الآن ببناء الأسس لعلاقات ثقافية، وغيرها، بين إسرائيل والعراق".

الروائي الإسرائيلي سامي ميخائيل

الإشـــارات إلى دور إسرائيلي في اختراق العراق، المسلوب الإرادة تحت الاحـــتلال، بـــدأت تظهرها مصادر إسرائيلية وأمريكية مباشرة بعد الاحتلال، كاســـتغلال خـــط الأنابيب، الذي يربط كركوك بميناء حيفا. وفي شهر حزيران تـــرددت أنـــباء عـــن زيارة رجال أعمال إسرائيليين لبغداد، وفي الوقت نفسه تأسســـت شـــركة "قانونية" في بغداد لتسهيل الاستثمارات "الأجنبية" في العراق أظهرت التحقيقات أن لها علاقة بمارك زيل، أحد غلاة المستوطنين في فلسطين وشريكه دوغلاس فايث، مساعد وزير الدفاع الأمريكي للسياسة، وهو أحد الذين ســـاهموا عام 1996 في صياغة خطة لتغيير النظام في العراق قدمت لبنيامين نتنياهو، رئيس الوزراء الإسرائيلي آنذاك. تمثل التحرك الإسرائيلي للتوغل في الســـوق العراقـــي بـــالإعلان رسمياً في تموز بأنه يسمح للشركات الإسرائيلية بتصـــدير بضـــائعها إلى العراق. وقد أوكلت مهمة تطوير نظام يمكن الشركات الإســـرائيلية مـــن تسويق منتجاتها إلى رجال أعمال وسياسيين سابقين. وشكلت جمعـــية بعـــض أعضـــاءها من رجال الأعمال الإسرائيليين من أصل عراقي، تهـــدف عملـــياً إلـــى اختراق العراق اقتصادياً. وفي شهر آب نظمت "مؤسسة التصدير الإسرائيلية" الحكومية مؤتمراً في تل أبيب لاستكشاف إمكانيات السوق العراقـــي. وتنوعـــت الصادرات الإسرائيلية إلى العراق المحتل لتشمل الأطعمة الســـريعة، المنتجات الزراعية، التجهيزات الأمنية، أجهزة الاتصالات، والكثير غـــيرها. وكذلك كانت هناك مؤشرات على توغل إسرائيليين أو يهود في سوق العقارات في العراق.

البترول العراقي يصل إلى حيفا

بعـــد سقوط بغداد مباشرة، ذكرت "وزارة البنى التحتية" الإسرائيلية إمكانية إعـــادة فتح خط أنابيب البترول الذي كان يربط حقول النفط في كركوك بميناء حـــيفا، وذكـــرت صـــحيفة الغارديان أن دوغلاس فايث كان أحد الداعمين لهذه الفكـــرة[1]. وأخـــبر بينياميـــن نتنياهو، وزير المالية الإسرائيلي، مجموعة من

---

[1] "بريان ويتاكر"، (The Guardian)، 2003/10/7.

الصحافيين البريطانيين أن البترول العراقي من الآبار الشمالية سيصب، عبر الأردن، في ميناء حيفا[1]. وجرت الإشارة أيضاً إلى مشروع خط حديدي يربط بغداد بحيفا ويمر عبر أربد، شمال الأردن[2]. بعض المصادر أشارت إلى أن إسرائيليين كانوا يقومون فعلاً بترميم أنبوب النفط "أثناء التحرير"، وقد لوحظ في هذا السياق تصاعد هجمات المقاومة العراقية ضد أنابيب البترول. واستشهدت بعض وكالات الأنباء بعراقيين يقولون: "أننا نفضل الموت على أن ينقل بترولنا بمساعدة الأمريكيين إلى إسرائيل"[3]. وبعد إعلان بوش عن انتهاء "العمليات العسكرية" أخذ جون تايلور، نائب وزير المالية الأمريكية، يحث من القاهرة الشركات الإسرائيلية على القيام "بالعمل، الاستثمار، والمساهمة في مجالات مختلفة" في العراق[4]، وصرح في مقابلة مع صحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية "أن السوق العراقي سيكون دائماً مفتوحاً للمنتجات الإسرائيلية"[5].

"أعز الأصدقاء"

في بداية أيار 2003 تسربت من لندن، مقر "المؤتمر الوطني العراقي"، أنباء عن الجهود التي كان يبذلها رجل الأعمال الإسرائيلي دافيد ساسون[6]، العراقي الأصل، لاختراق السوق العراقي بالتعاون مع "المعارضة العراقية". ساسون يصف نفسه بـ"الإسرائيلي الوحيد" في "صندوق تطوير إعادة إعمار العراق"[7] (لندن)، وهو من أسس عام 1998[8] "لجنة الصداقة العراقية الإسرائيلية" بالتعاون مع إسرائيليين من أصل عراقي، كالكاتب سامي

---

(1) "ليندا هيرد"، (Gulf News)، 2003/8/12.

(2) (The Daily Star)، 2003/10/20.

(3) (Arab Times)، الكويت، 2003/6/29، حسب عبد الهادي الصالح من صحيفة "الأنباء" الكويتية، 2003/6/28.

(4) (The Daily Star)، 2003/10/20؛ المعلومة من القاهرة من (Arab Times)، الكويت، 2003/6/29.

(5) (Yediot Ahronot)، 2003/6/21؛ عن (Islam Online)، 2003/6/24.

(6) (David Sasson).

(7) (Development Fund for the Rebuilding of Iraq).

(8) (Agence France-Press English Wire)، 1998/3/28. حسب (The Jerusalem Report): 1997.

ميخائــيل[1]. ترك ساسون العراق عبر إيران عام 1950، وفي إسرائيل اشتغل فــي مجــال "الســفريات"، ولكنه رغب بعد حرب عام 1973 بترك إسرائيل، "فالإســرائيليون يعرفون كيف يصنعون الحرب، ولكن ليس السلام"، فذهب إلى إيــران، غــير أنــه اضطر إلى الهرب عام 1979، هذه المرة "من الخميني". وســافر إلـــى القاهرة ليقضى ثلاثة أعوام في مجال الأعمال، حيث "كان يشحن بضـــائع متــنوعة بين إسرائيل وميناء الإسكندرية". ولكن بعد الحرب في لبنان عـــام 1982 توقف كل شيء. يقول ساسون: "انزعجت جداً كيهودي إسرائيلي يعـــيش فـــي القاهـــرة في حين كانت إسرائيل تقصف بيروت". فذهب إلى لندن وأســس شــركة استثمارية مع مصري من "ثورة ناصر". وحالياً يمضي فترة تقاعده بين لندن و"شقة في تل أبيب". أحد "أعز أصدقائه" زميل دراسة قديم من بغــداد كانــت عائلــته تملك "جميع الأراضي التي تقع عليها قصور صدام" في بغداد. فيما بعد، أصبح هذا الصديق العزيز نائب رئيس الأوبيك، وهو الآن أحد كبار الأثرياء العراقيين في المنفى.

بين "المؤتمر" و"سومر"

الــيوم، وبعــد احــتلال العــراق، يخطط ساسون لإحضـــار كل هؤلاء الأصـــدقاء إلـــى لقاء في إسرائيل ليخاطبوا اليهود العراقيين الذين يعيشون في "الدولـــة الـــيهودية". وبدون أن يذكر أي أسماء يشير إلى أن أحد العراقيين في المنفى تحمس للغاية بعدما سمع عن تأسيس "لجنة الصداقة العراقية الإسرائيلية"، وقـــال أن "لليهود العراقيين في العراق حقوق أكثر من أي مجموعة أخرى في العـــالم. سبعون بالمائة من بغداد هارون الرشيد كانت يهودية". هذا الصديق هو محـــرر صـــحيفة "المؤتمر"[2] وقد ذهب إلى الكويت ليؤسس صحيفة جديدة في بغداد باسم "سومر"، وطلب من ساسون أن يبحث لـــه عن كتاب يهود عراقيين مـــن إســـرائيل ليســـاهموا بالصحيفة الجديدة. وحول دوره في "صندوق تطوير إعـــادة إعمار العراق" يقول ساسون: "الغرض ليس جمع الأموال، وإنما تحقيق اتصـــالات بيـــن الشـــركات الكبيرة من مختلف أنحاء العالم. في شهر حزيران ســيكون هناك لقاء سأدعو إليه إسرائيليين، وسأعمل على إحضار رجال أعمال عراقيـــن كـــبار إلى إسرائيل". وعما إذا تجاوب هؤلاء مع هذه الفكرة، يقول:

---

(1) (Sami Michael).

(2) هي الناطق الرسمي باسم "المؤتمر الوطني العراقي"، وتصدر من لندن.

"نعـم، قالوا أنهم مستعدون لزيارة إسرائيل. هذه حياتي. أريد لشعبي أن يعيش بسلام. في صحيفة 'المؤتمر' لن تجدوا أي شيء عن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. إنهم لا يحبون الفلسطينيين، لأنهم وقفوا مع صدام عام 1991"[1]. وفي المؤتمر، الذي عقدته "المعارضة العراقية" في لندن في كانون الأول 2002 دعي العديد من اليهود كمندوبين من إسرائيل[2].

"يحملون رشاشات عوزي"

على هامش اجتماع "المنتدى الاقتصادي العالمي" الذي عقد في البحر الميت في أواخر حزيران 2003 صرح إيهود أولمرت، وزير التجارة الإسرائيلي، بأن "إسرائيل تريد ابرام اتفاق سلام مع العراق". وأضاف الوزير: "لا أعتقد أننا سنقوم بتجارة مع العراق الآن لكننا نأمل في أن نشارك في قطاع الأعمال عندما تتحرك الأمور في هذا البلد. نحن نعرف شخصيات بارزة في العراق"[3]. وخلافاً لما قاله وزير التجارة كانت الأمور تتحرك فعلاً في ذلك الشهر. فحسب مراسل "إسلام أون لاين" في بغداد فأن "وكالة الاستخبارات المركزية" الأمريكية وبعض شركات الإعمار قامت باستئجار "فندق بغداد" وأسكنت فيه ممثلين عن شركات إسرائيلية وبعض عناصر المخابرات. ولوحظ أن من بين الأجانب الذين كانوا يتجولون في الفندق مدنيين مسلحين، و"همسات متزايدة أن هؤلاء جاءوا لحماية الشركات الإسرائيلية العاملة [في العراق]". أحد موظفي الفندق أخبر مراسل "إسلام أون لاين" أنَّ الأسلحة الخفيفة التي كان يحملها بعض هؤلاء "ليست أمريكية وإنما رشاشات عوزي الإسرائيلية المعروفة". وكان قد جرى توزيع منشور في بغداد يطالب المواطنين العراقيين بمقاطعة الفندق، "لأنه يستخدم من قبل عملاء مخابرات يهود وإسرائيليين"[4]. كما بدأت بالصدور في بغداد صحيفة "المؤتمر الوطني العراقي"، التي لم تسمع شيئاً عن "الصراع الإسرائيلي الفلسطيني"، وأخذت تجري استطلاعات للرأي

---

(1) *The Jerusalem Report*، 2003/5/4.

(2) *The New York Times Magazine*، 2003/3/2.

(3) مؤتمر صحفي عقد بتاريخ 2003/6/23 ("الرأي" الأردنية، 2003/6/24).

(4) *Islam Online*، 2003/6/24. ذكرت "الدايلي ستار" عن "الحياة" الصادرة في لندن بدون الاشارة إلى التاريخ أن مجموعة من الصناعيين الإسرائيليين زارت بغداد لتحري فرص الاستثمار في العراق.

هناك[1].

"المدخل المهني إلى العراق"

وفي حزيران أيضاً افتتحت في حي الحارثية في بغداد، مؤسسة "قانونية" تطلق على نفسها إسم: "المكتب الدولي العراقي للمحاماة والاستشارات القانونية"[2]، وتعلن عن نفسها بأنها "المدخل المهني إلى العراق الجديد". وتضم المؤسسة "خبراء أمريكيين ذوي مستوى عالٍ وخبراء أجانب بتدريب بريطاني في مجال الأعمال، بالإضافة إلى فريق من محامين ومهنيين عراقيين". وتهدف المؤسسة إلى "تقديم المعلومات والوسائل، التي تتطلبها الاستثمارات الأجنبية، لدخول العراق الجديد بنجاح". وتعمل المؤسسة كـ "مستشارين دوليين" لـ "الغرفة التجارية العراقية" و"اتحاد الصناعيين العراقيين"، وتركز على أنها "عراقية" وفي "العراق"، وأنه لا يوجد بين العاملين فيها "أي عضو كان منتمياً إلى حزب البعث التابع لصدام". ولكن للمؤسسة نشاط أيضاً في عدد من "المشاريع السياسية والمدنية". هذه "المشاريع"، هي: "إصلاح القانون التجاري، الإجراءات الدستورية، تعويض الضحايا وإزالة حزب البعث". وقد أنشأت المؤسسة "أحدث تكنولوجيا للأقمار الصناعية" لتسهيل الاتصال بها.

المسؤول عن هذا "الإنجاز الكبير" هو سالم الجلبي، الذي يشار إليه باقتضاب على أنه "عضو في نقابة المحامين لولاية نيويورك". ولكن بريان ويتاكر[3] كشف أن سالم هذا ليس إلا ابن شقيق أحمد الجلبي، رئيس "المؤتمر الوطني العراقي"، وعضو "مجلس الحكم الانتقالي" الذي تولى رئاسته الدورية في أيلول. لا يُعرف الكثير عن سالم الجلبي، سوى أنه شارك قبل بداية العدوان في مؤتمر عقد في لندن يهدف "إلى نشر الديموقراطية في العراق" ودعم "لجنة مصالحة عراق ما بعد الحرب حسب نموذج طبق في جنوب أفريقيا". وقبل الغزو، كان في شمال العراق في مهمة تجارية، وأثناء الغزو حاول البنتاغون تعيينه كمستشار لوزارة العدل التي أنشأت ضمن الإدارة المدنية وكان جاي غارنر مسؤولاً عنها حينذاك. وبعد الاحتلال ذكر أنه عضو في لجنتين لتقديم

---

(1) (The Weekly Standard)، 2003/3/6.

(2) (Iraq International Law Group)؛ المعلومات حول المؤسسة من موقعها على الإنترنت: (http://www.iraqlawfirm.com/).

(3) (The Guardian)، 2003/9/24.

النصح لـ "الحكومة الجديدة" في شؤون "المال، التجارة، والاستثمار".

"زيل، غولدبرغ وشركاه"

لا يقدم "المكتب الدولي العراقي للمحاماة والاستشارات القانونية" في موقعه أي معلومات حول "الخبراء الأمريكيين"، الذين يتعاونون مع المؤسسة "القانونية"، والمسؤول عن الموقع ليس سالم الجلبي، وإنما مارك زيل، وعنوانه في واشنطن هو شركة "زيل، غولدبيرغ وشركاه". ولهذه الشركة مكاتب في تل أبيب، القدس، واشنطن، وموسكو. وتمثل الشركة "شريحة عريضة من الزبائن، متعددي الجنسيات ومحليين، في إسرائيل والعالم"، وتقدم لزبائنها المشورة القانونية في مجالات متعددة، من بينها "تمويل الشركات والسندات، رساميل المشاريع، مشاريع الهاي – تك والاستثمارات، الصفقات التجارية الدولية، قانون الاستثمار الدولي". ومنذ الحادي عشر من أيلول 2001، وسعت الشركة نشاطاتها لتصبح "رائدة في المجال الجديد لقوانين الأمن الدولي ومحاربة الإرهاب، وذلك بالتعاون مع مكتبها في واشنطن". وفي هذا الإطار تعمل "زيل، غولدبيرغ" بالتعاون مع شريكتها "تكنولوجيا الأمن الإسرائيلي الاتحادية"[1] في دعم الشركات الإسرائيلية بـ "ابتكاراتها في مجال الأمن" لتلبية متطلبات سوق الحكومة الأمريكية الاتحادية.

أمن إسرائيل

شركة "زيل، غولدبيرغ وشركاه" مرتبطة بـ "مجموعة 'فاندز' للقانون الدولي"[2]، التي يملكها، إلى جانب مارك زيل، دوغلاس فايث[3]، مساعد وزير الدفاع للسياسة في الإدارة الأمريكية الحالية. وبالرغم من الغموض النسبي المحيط بشخصية فايث بالمقارنة مع غيره من "صقور" الإدارة الأمريكية، فإن أفكاره حول الشرق الأوسط تعتبر "الأكثر تطرفاً"، حسبما ما جاء في مقال لجيم

---

(1) *(Federal Israel Security Technologies)*.

(2) المعلومات حول "زيل، غولدبيرغ" *(Zell, Goldberg & Co.)* و"مجموعة 'فاندز' القانونية الدولية" *(FANDZ International Law Group)* من موقع "أيوروليغال"، وهي "شبكة أوروبية للشركات القانونية، أحد أعضائها "زيل، غولدبيرغ" أنظر *(http://www.eurolegal.net/html/israel.html)*.

(3) الاختصار *FANDZ* يعني *(Feith and Zell)*.

لـوب في "آسيا تايمز". فقد كان مكتبه المعروف باسم "مكتب الخطط الخاصة"، "مسـؤولاً، في كثير من الأحيان عن التعاون مع أحمد الجلبي، كجمع و'طبخ' المعلومـات الاسـتخباراتية ضد صدام حسين". وبالتعاون مع "سلطة الائتلاف المؤقـتة" أوصـى مكتـبه بشركات حصلت على عقود ضخمة، وأحياناً بدون مناقصـات، وهـو مـا أدى بـنظر بعـض المشرعين الأمريكيين إلى أرباح مفضـوحة. وتعييـن سالم الجلبي كرئيس لـ "المكتب الدولي العراقي للمحاماة والاستشارات القانونية" بتخطيط من مارك زيل، شريك فايث، يثير مجموعة من القضـايا التـي تنم عن "تضارب في الصلاحيات". ومثل ريتشارد بيرل، يبدي فايـث اهـتماماً قوياً بإسرائيل وأمنها. والده دالك فايث كان عضواً في "بيتار"، وهـي حـركة عسـكرية صهيونية كانت في بولندة قبل الحرب العالمية الثانية وتحولـت فـيما بعد إلى حزب الليكود. وقد كرم كل من الأب والابن من قبل "المنظمة الصهيونية لأمريكا"، وهي "خلافاً للمجموعات اليهودية الرئيسية تدعم مواقـف حزب الليكود والاستيطان في الضفة الغربية". ومثل بيرل، كان فايث أحـد أعضـاء مجلس إدارة "المؤسسة اليهودية لشؤون الأمن القومي" (جينسا). وفـي عـام 1999 أرسل هو وبيرل خطاباً مفتوحاً إلى الرئيس الأمريكي بيل كلينـتون "يطالـبانه فـيه بالتعاون مع 'المؤتمر الوطني العراقي' لخلع صدام حسـين"[1]. و"مكتـب الخطـط الخاصة" أخذ يعمل بعد الاحتلال على "تحويل العراق إلى حليف لإسرائيل"[2].

"القرى الفلسطينية هي مستوطنات"

فـي الخـامس والعشـرين من أيلول 2003، أي بعد يوم واحد من كشف بريان ويتاكر عن "ملكية" موقع "المكتب الدولي العراقي للمحاماة والاستشارات القانونـية" لمارك زيل، حولت "ملكية" الموقع إلى سالم الجلبي[3]. ويرى ويتاكر أن هذه المؤسسة تمثل "أول مشروع إسرائيلي عراقي على المستوى العلني منذ

---

(1) المعلومات حول "دوغلاس فايث" حسب مقال لـ "جيم لوب" في (*Asia Times Online*)، 2003/11/7.

(2) (*Knight Ridder*)، 2003/7/11؛ عن (*Center for Cooperative Research*) حول "مكتب الخطط الخاصة".

(3) حسب مقال يتناول فيه "بريان ويتاكر" الموضوع من جديد؛ أنظر (*The Guardian*)، 2003/10/7

ســقوط صدام حسين"، ويعتقد أيضاً أن النصوص في موقع هذا المشروع على الإنترنــت كتبها أحد العاملين في مكتب شركة "زيل، القدس". الأمريكي مارك زيــل، الــبالغ مــن العمــر خمســين عاماً، قام بعدة رحلات إلى إسرائيل في الثمانيــنات، إحداها كانت بتمويل من الحركة الاستيطانية "غوش إيمونيم". وفي عــام 1988 انتقل مع عائلته إلى مستوطنة ألون شيفوت[1]، الواقعة في "التجمع الاستيطاني" غوش عتسيون، جنوب غرب القدس. وبهذا يكون قد اكتسب بشكل تلقائــي الجنســية الإســرائيلية. وفي انتخابات عام 1996 قاد الحملة الانتخابية لبنياميــن نتنياهو، ولفترة من الزمن كان عضواً في اللجنة المركزية والمكتب السياســي لحــزب الليكود. ومنذ ذلك الحين أصبح أحد الناطقين الرئيسيين باسم المســتوطنيــن. ويقــول حــول حق العودة للفلسطينيين: "ليس أن هذا الحق لا أســاس لـــه مــن الناحية القانونية فحسب، بل هو أيضاً غير مبرر تاريخياً". ومــارك زيــل يعــارض في كتاباته استخدام مصطلح "مستوطنة" للمكان الذي يسكنه، فهو "في الحقيقة مدينة"، والقرى الفلسطينية "مستوطنات"[2].

تنسيق الجهود

فــي حزيران عام 2003 أبدت عدة شركات إسرائيلية رغبتها في تطوير التجارة مع "عراق ما بعد صدام". ومثل هذه الشركات المحامي جيلعاد شير[3]، المستشــار السياســي وأحد "الرموز الأساسية في مفاوضات السلام الإسرائيلية الفلســطينية" فــي حكومة إيهود باراك السابقة. وصرح شير أن بعض الطلبات لدخــول السوق العراقي جاءت من شركات أمريكية أرادت الاستفادة من خبرة الشــركات الإسرائيلية ولإمكانية اختصار الوقت والجهد لدى استيراد البضائع. وقــال: "لــدى إســرائيل الكثير مما يمكن أن تقدمه، ما عدا العمالة البشرية". وأشــارت المصــادر إلــى أن الطلبات جاءت أيضاً من "أردنيين، فلسطينيين، وعراقييــن فــي المنفى". بينحاس ميدان-شاني[4] يمثل مجموعة من الشركات

---

(1) (Alon Shevut).

(2) أنظر مقاله بعنوان "تاريخ 'مستوطن' في 'المستوطنات'" المنشور في موقع للمستوطنين اليهود في الضفة الغربية (Media Line)، 2002/5/22؛ أنظر (http://www.internationalwallof prayer.org/A-143-A-Settlers-History-of-Settlements.html).

(3) (Gilad Sher).

(4) (Pinhas Meidan-Shani).

ترغب بدخول السوق العراقي، وكان مستشاراً للعلاقات الخارجية في حكومة باراك السابقة. وصرح بهذا الشأن أن الإسرائيليين يأملون "أن يزودوا السوق العراقي في البداية بالمعدات الهندسية، التجهيزات الطبية، المعلبات، وما لا ينتج في الأردن ودول الخليج، أو بالمواد التي تعتبر عملية نقلها من أوروبا والولايات المتحدة مكلفة وبطيئة".

"الأشرار" و"الأخيار"

يقول شير أن التحركات نحو دخول السوق العراقي كانت تجرى على مستوى منخفض "وبالتنسيق الكامل مع مسؤولين حكوميين أمريكيين"، وبرأيه فإن هذه الجهود ستنجح بالرغم من كل المعوقات. سيلفان شالوم، وزير الخارجية الإسرائيلي، أجرى اتصالات مع مسؤولين أمريكيين "للمساعدة بالحصول على عقود في العراق". وميدان-شاني ينظر إلى الموضوع كرجل أعمال، فيقول "إن فكرة دخول إسرائيل في السوق العراقي، هو أمر مثير للسخرية، ولكنها مسألة عملية". ويضيف: "نحن لا نعادي الشعب العراقي، وأقنعة الغاز لم تكن بسبب الشعب العراقي، وإنما بسبب النظام هناك ... الشرير لا يتحول إلى خيّر مباشرة بعد الحرب، ولكن العراقيين لم يكونوا أبداً أشراراً". والخيّر ميدان-شاني يمثل شركته الخاصة به، وهي "تلوث المياه والجو"[1] لإنتاج أجهزة أمنية على درجة عالية من الحساسية، كأجهزة تصوير حقائب المسافرين في المطارات. وذكرت في هذا الصدد مجموعة أمانيت[2] المتخصصة في تنظيم وإدارة الأنظمة التكنولوجية. وفي الأسبوع الثالث من شهر تموز أصدرت وزارة المالية الإسرائيلية قراراً يسمح للشركات الإسرائيلية بالقيام بأعمال في العراق، رغم أن هذا البلد ما زال رسمياً في حالة عداء مع إسرائيل. وقد جرى التنسيق لاتخاذ القرار مع وزير الخارجية، ويشمل الصلات التجارية والمالية، وخاصة تزويد السوق العراقي بالبضائع، وصرف الأموال وتحويلها. وبعد صدور القرار باشر شير ورجل الأعمال أمنون ليبكين-شاحاك[3]، رئيس هيئة الأركان ووزير النقل في حكومة باراك السابقة، بالعمل

---

[1] *(Water and Air Pollution)*، وأحياناً تختصر على نحو *(Watairpoll)* وقد ذكر هذا الاختصار خطأ على نحو *(Waterpool)*.

[2] *(Amanet)*، ذكرت هذه الشركة خطأ على نحو *(Omnat)*.

[3] *(Amnon Lipkin-Shahak)*.

علـــى تأســيس نظـــام يربط، أو يتوسط، بين شركات إسرائيلية وأخرى أردنية وأمريكـــية، من تلك التي تنشط أو ستنشط في العراق. وتجرى هذه الجهود في إطار شركة شير القانونية[1].

مثقفون تجار

بعـــد أربعـــة أشهر من سقوط بغداد أعلنت مصادر صهيونية أن "إسرائيل تشارك بشكل كامل في إعادة صياغة المشهد العراقي بعد الحرب في المجالات الإنســانية وحقــل الأعمال"[2]. الكاتب والروائي سامي ميخائيل، أحد مؤسسي "لجنة الصداقة العراقية الإسرائيلية" مع دافيد ساسون، يشير إلى أن مؤسسي هذه اللجــنة[3] هــم "مــثقفون إسرائيليون بارزون"[4]. ويقول: "لا أعتقد أن أحداً في الحكومــة يــدرك إلـــى أي مدى اهتز الشرق الأوسط بعد سقوط صدام حسين. العراقـــيون أكثر جرأة بكثير من الأردنيين والمصريين. إذا قرروا المضي نحو الســـلام مـــع إسرائيل، فإنه سيكون سلاماً مكثفاً، عملياً ومثمراً. ولن يكون لدى العـــراق أي مشـــكلة اقتصادية، إنه بلد ثري جداً". هذا الاهتمام الشديد بالجانب الاقتصـــادي يوضحه بقوله: "إن بعض الأعضاء هم رجال أعمال. وأنا أتخيلهم ينشؤون روابط اقتصادية مع العراق. لا تنسوا أن الجماعة اليهودية في العراق كانت نشيطة جداً في مجال الاستيراد والتصدير، والكثير من النشاطات الحديثة لهـــذا القطـــاع فـــي العراق هي نتيجة لمبادرات اليهود هناك. إذن، نحن نملك الخـــبرة المطلوبـــة. وهناك أيضاً شراكات عمل بين الإسرائيليين المولودين في العـــراق والمهاجريـــن العراقيين في مختلف أنحاء العالم. البنية التحتية متوفرة،

---

[1] المعلومـــات حـــول تحـــركات الشـــركات الإســـرائيلية مـــن المصادر التالية: *Dow Jones*) *Newswires*، 2003/7/28؛ *Agence France-Presse*)، 2003/6/17؛ (حسب مقال نشر في "يديعوت أحرونوت" بالتاريخ نفسه)؛ 2003/8/20؛ *Israel21c*)، 2003/8/3؛ *The Diplomatic Club Magazine*)، التي يصدرها "النادي الدبلوماسي في إسرائيل" (أنظر هامش 644).

[2] *Israel21c*)، 2003/8/3.

[3] يـــبدو أن اســـم المؤســـسة قد تحول في عام "تحرير العراق" إلى "جمعية إسرائيل للتكاتف مع الشعب العراقي" *Israel's Society for Solidarity with Iraqi People*).

[4] بالإضـــافة إلى "ساسون سومخ" يشار أيضاً إلى "زهير ساسون" *Zohier Sasson*)، حفيد آخر حاخام للجماعة اليهودية في بغداد.

علينا فقط أن ننتظر حتى تهدأ الأمور قليلاً في العراق"[1].

"اتصالات بشكل غير مباشر"

الأمـــور ليســـت بهـــذه السهولة، يقول ميخائيل: "العراق مازال بعيداً عن الأمـــن. كنا نريد إرسال وفد من الأطباء الإسرائيليين إلى هناك لمعالجة أطفال عراقييـــن أصـــيبوا خلال الحرب. ولكن الوقت ليس مناسباً لهذا الأمر أيضاً". ولكـــن المنظمة الجديدة يمكن أن تساهم بطرق أخرى "مثلاً، هناك مجموعة من المهاجريـــن العراقيين مقرهم واشنطن يعملون حالياً على صياغة دستور لعراق ديموقراطـــي. وكثيراً ما يتصل بنا، نحن الإسرائيليين عراقيي الولادة، أعضاء من هذه المجموعة من أجل المشورة". ويشير إلى أن العلاقات مع العراق يمكن أن تـــتم عبر وسطاء: "الأشخاص، الذين نحن على اتصال معهم يتحركون من وإلـــى العراق بحرية. لهم أقارب في العراق، ولديهم صحافيون يعملون هناك. ومـــن خلالهم لدينا اتصالات بشكل غير مباشر مع مثقفين، صحافيين، ورجال أعمـــال". ونستطيع أن نتصور من هم هؤلاء الوسطاء، إذا تذكرنا علاقة دافيد ساســـون، الإسرائيلي المقيم في لندن، مع "المعارضة العراقية". يقول ميخائيل: "عملـــياً، نحـــن نقـــوم الآن ببناء الأسس لعلاقات ثقافية، وغيرها بين إسرائيل والعراق ... سيمر بعض الوقت حتى يستقر الوضع في العراق، ولكننا انتظرنا خمســـين ســـنة، فلماذا لا ننتظر أربع أو خمس سنوات أخرى؟"[2] أو ربما أكـــثر، فحســـب ميخائـــيل، "لم يمر على العراق إطلاقاً سنة واحدة سادت فيها الديموقراطـــية. لا أمـــل فـــي أن يصبح العراق دولة ديموقراطية في المستقبل القريـــب". أما بالنسبة لدولة إسرائيل، فيقول أنها "ينبغي أن تبقى يهودية. إذا كنا ســـنفقد الدولة اليهودية، فلماذا قدمنا كل هذه التضحيات؟ سيكون علينا أن ننهي كـــل شـــيء ونعود إلى ما كنا عليه، موزعين في كل أرجاء العالم ... الشرق الأوســـط لـــيس مكانـــاً صـــحياً للأقليات"[3]. باستثناء إسرائيل، بالطبع، المكان الأفضل صحياً للأقليات ... ربما في العالم!

---

(1) (Israel21c)، 2003/8/3.

(2) (Israel21c)، 2003/8/3.

(3) (The Jewish News Weekly of Northern California)، ســـابقاً (Jewish Bulletin of Northern California)، 2003/11/6.

"إمكانيات" السوق العراقي

قدرت "مؤسسة التصدير الإسرائيلية" حجم الصادرات الإسرائيلية المرتقبة، وغـير المباشـرة، بحوالـي مائة مليون دولار سنوياً للسنوات الخمس القادمة، ولهـذا عقـدت هـذه المؤسسة مؤتمراً في تل أبيب في العشرين من آب تحت عـنوان "كـيف تحصل على الأعمال في العراق"، حضره العشرات من رجال الأعمال وممثلين من وزارتي الخارجية والتجارة[1]. وضرح يتسحاق روزن[2] للصـحيفة السويسرية "نوي تسورخر تسايتونغ"، أن الاهتمام بهذا المؤتمر كان كبـيراً جداً[3]. أحد المسؤولين في المؤسسة، الذي فضل أن يبقى اسمه مجهولاً، قـال: "نحن ندرس الدخول في مجالات الزراعة، المواد الخام، والبنية التحتية"، أي عملياً كل ما يشكل الاقتصاد العراقي، ويوضح أن "هذا السوق ليس كأوروبا والولايـات المتحدة، إنه مليء بالفرص، إنه عصر جديد". وما يقصده المسؤول أن هـذا السـوق سيخضـع لاقتصاد السوق الحر مع التغييرات المرتقبة التي سـتتعرض لهـا قوانيـنه. وكانت يديعوت أحرونوت قد أشارت إلى أن النشاط الـتجاري الإسرائيلي سيتم عبر دول وسيطة كتركيا والأردن وبولندة. ويوضح المسؤول من "مؤسسة التصدير الإسرائيلية" هذا الأمر بقوله: "في البداية سترتبط الشـركات الإسرائيلية بمقابلها من الشركات في تركيا، التي تمتلك خبرة تجارية أكـبر مع العراق". ولكن الأمر ليس بهذه السهولة، كما لاحظت عفرا بينغيو[4]، مشيرة إلى أن "حكومة أريبل شارون ليس لديها حالياً أي استراتيجية للتعامل مع العـراق. وربمـا ينبغـي أن تكون هناك استراتيجية، ولكنهم لا يعرفون ماذا سيحصل في العراق". وتضيف "إن على أي رجل أعمال يفكر بأن يجرب حظه فـي العـراق أن ينسـى ذلـك"[5]. وربما كانت بينغيو تتابع تصاعد المقاومة

---

(1) (*Agence France-Presse*)، 2003/8/20.

(2) (*Izhaq Rozen*)، المسؤول عن "ملف العراق" في "مؤسسة التصدير الإسرائيلية"

(3) (*Neue Zürcher Zeitung*)، 2003/11/6.

(4) (*Ofra Bengio*). أنظر هامش 638؛ بينغيو "خبيرة في العلاقات الإسرائيلية العراقية" في جامعة تل أبيب.

(5) في سـياق آخر تقول بينغيو: "حتى لو كان هناك أشخاص عراقيون يصرحون من أماكن وجودهم في الغـرب بأمور إيجابية حول إسرائيل، فإنه من الصعب جداً أن يقوموا بذلك الآن، والأمر ينطبق على الطرفين". أنظر (*European Rim Policy and Investment Council*)، مقابلات، 2003/9/24.

العراقــية، غير أن الشركات الكبرى لا تكترث عندما تكون هناك إمكانية إتمام صفقة تجارية مغرية، كشركة (تامي) 4[1] لتحلية المياه، التي بدأت فعلاً بإرسال بعض أجهزتها إلى العراق في شهر تموز.

"المشاركة في إعادة إعمار العراق"

بالإضــافة إلى ذلك فإن لـــ "مؤسسة التصدير الإسرائيلية" حسابات خاصة قــد لا تكون بينغيو مدركة لها[2]. فبناءً على السيد كيرياتي[3] فإنه من المألوف أن تحصـــل الشركات الإسرائيلية على عقود مع الدول العربية، ولكن، ولأسباب واضــحة، نــادراً مــا يعلن عن هذه العقود. فمعظم الوقت تصل "خدمات" هذه الشركات إلى الشرق الأوسط "تحت مظلة الشركات الأوروبية والأمريكية، التي تــتعاقد مع الشركات الإسرائيلية من الباطن"، غير أن كرياتي امتنع عن تسمية أي مــن الشركات الإسرائيلية العاملة حالياً في الشرق الأوسط. وأكد هذا الكلام أفيغدور يتسحاقي[4]، الذي شارك في "المنتدى الاقتصادي العالمي" الذي عقد في الأردن فــي حزيران 2003، قائلاً أنه يعتقد "أن بإمكان إسرائيل المشاركة في إعــادة إعمــار العراق، فإسرائيل تتحلى بالموقع المناسب، وتمتلك الإمكانيات والوســائل، وبشكل خاص في مجال التكنولوجيا المتقدمة"، ولكنه يرى أن هذه المشــاركة يمكــن أن تــتم "فقط عبر الولايات المتحدة، دول الخليج، الأردن، والفلســطينيين". وبالإضافة إلى المجالات الطبية والصيدلانية، بإمكان إسرائيل "المشاركة في إعادة اعمار المشاريع الزراعية والتكنولوجية المتقدمة".

"تردد العرب"

الســيد كرياتــي يقــدم تفســيراً لتردد العرب في الاستفادة من "الخدمات والبضــائع الإسرائيلية"، عندما يشير من وجهة نظر اقتصادية تاريخية إلى "أن [هذا التردد] ليس سببه فقط الوضع السياسي الراهن. إنه الخوف من الإمبريالية الاقتصــادية الإســرائيلية، بالإضافة إلى تاريخ الاستعمار وعدم المحميات التي

---

[1] (Tami 4).

[2] (The Diplomatic Club)، أنظـــــــــــــر (http://www.diplomacy-club.com/israel/news.asp?NewsFile=economicagent).

[3] (Kiriati)، الدائرة الدولية لـــ "مؤسسة التصدير الإسرائيلية"

[4] (Avigdor Yitzhaki)، المدير العام لمكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي.

كانـــت سائدة في المنطقة. وهذا التاريخ ترك ندوباً ويغذي الخوف من أن يُحكم [العرب] من قبل الآخرين، حتى لو كان ذلك على المستوى الاقتصادي فقط. إن الهـــوة الضخمة بين ناتج الدخل القومي في إسرائيل ومثيله في الشرق الأوسط، بالإضافة إلى الفروق في مستوى العصرنة والموقع الجغرافي لإسرائيل، يجعل منها في نظرهم غازياً اقتصادياً محتملاً". غير أنه يرى أن مخاوف العرب هذه غـــير واقعـــية، فاقتصـــاديات الدول العربية، مقارنة بإسرائيل التي تقف على مســـتوى الـــدول الثمانـــي بتطورها التكنولوجي، ما زالت تفضل "نظام عمالة مكـــثف"، بدلاً من "الحلول المتقدمة تكنولوجياً" خصوصا تلك الدول التي تعاني من أزمة اقتصادية ونسبة عالية من العاطلين عن العمل، وهذا يعني أن ما يمكن مـــا تقدمه إسرائيل من "خدمات" لا يتطابق مع حاجات تلك الدول. وهذا التركيز على التكنولوجيا يعني أن مساهمة إسرائيل في مشاريع الأمم المتحدة للتنمية في دول العالم الثالث منخفضة. وبشأن المشاريع التي تشرف عليها المنظمة الدولية فـــي المـــنطقة، يكشف كرياتي أن مساهمة إسرائيل تنحصر "بشكل رئيسي في تزويد الأونروا بالبضائع"! وفي حين أن اللاجئين الفلسطينيين لا يعرفون، على الأغلـــب، أن مـــا يوزع عليهم من بضائع يأتي من إسرائيل، فإنه تم استغلالهم كفلســـطينيين مرتين، الأولى لدى استخدامهم كـــ"نظام عمالة مكثف" في اعمار البنـــية التحتـــية للكيان الذي كان سبباً في تشريدهم، والثانية عند حصولهم على "مساعدات" تشكل صفقة مربحة للدولة التي أدت إلى الوضع الذي هم فيه.

الاستعمار فقط؟

ويخفـــف كرياتـــي من أي دور "استعماري" لإسرائيل في المنطقة، عندما يخلـــص إلى القول بأنه "من غير المتوقع أن تتضخم الصادرات الإسرائيلية إلى الـــدول المجاورة بشكل مفاجئ". غير أنه يرى أن إسرائيل ستستفيد من شركات ســـتقوم على الأغلب بإدارة نشاطها انطلاقاً من إسرائيل لتقديم "خدمات مناسبة لـــدول نامـــية". وستختار هذه الدول إسرائيل لتستفيد من "خدماتها التكنولوجية" و"بيئـــتها الأمريكية الأوروبية". لا شك أن كرياتي، الذي يبدو وكأنه يفكر بعقلية اقتصادية صرفة، يدرك انطلاقاً من تاريخ "إسرائيل" أن هذه الدولة نفسها نشأت وترعرعـــت فـــي حضن إحدى تلك "المحميات"، أي الانتداب البريطاني. وهي الـــيوم بـــ "بيئتها الأمريكية الأوروبية" لا تختلف عن أي من الدول المتقدمة في أنهـــا "تســـتفيد" أيضـــاً من "أنظمة عمالة مكثفة" من العالم الثالث، أي استغلال

العمالة الرخيصة في المنطقة، وخاصة عمالة الفلسطينيين. وأهم من هذا الجانب الاقتصـــادي أو ذاك، فـــإن مخـــاوف الشـــعوب العربية في النهاية ليس مردها "الاســـتعمار الاقتصـــادي" فحسب، وإنما المشاعر القوميـــة التي يحملها العرب تجـــاه ما جرى في فلسطين من استلاب وطن وزرع جسم غريب يشق الوطن العربـــي، وهو العائق الرئيسي أمام تطلعات الأمة العربية نحو الوحدة والتقدم. ومقـــابل ذلـــك هناك موقف مكتب المقاطعة في الجامعة العربية، الذي أقدم في تشـــرين الأول عـــام 2003 علـــى شطب شركة هاليبورتن من القائمة السوداء للشركات التي تتعامل مع إسرائيل[1].

الصادرات الإسرائيلية

يـــبدو أن الشـــركة الإسرائيلية انفو-برود[2] (تل أبيب) كانت مطلعة على تحـــركات الشركات الإسرائيلية، إذ صرح مديرها التنفيذي دورون بيسكين[3]: "قد يكون مؤذياً في هذه المرحلة الكشف عن حجم الصفقات التجارية الإسرائيلية في العراق. هناك الكثير من الأرقام، والبعض منها تروجها أطراف لها مصلحة فـــي الموضوع"[4]. ومن الأرقام التي ذكرت بهذا الصدد، أن حجم "الصادرات" الإســـرائيلية إلـــى العراق بلغ في شهر أيار ستة ملايين دولار وارتفع في شهر حزيـــران إلـــى حوالـــي 42 مليون دولار، أي سبعة أضعاف حجمه في الشهر السـ ـ ـق[5]. فقد استجابت الشركات الإسرائيلية بسرعة خاطفة لتغطية أي نقص ي التجهـــيزات العســـكرية الأمريكية، بدءاً من الأجهزة المطبخية المحمولة وانـــتهاء بالمحولات. ووجدت "فرق المهندسين"[6] في الجيش الأمريكي، وهي الجهـــة المســـؤولة عـــن صيانة المنشآت النفطية العراقية والمطارات، أنه من الأرخـــص والأســـرع أن تســـتورد مـــن إســـرائيل المواد اللازمة كالأنابيب،

---

[1] (Associated Press)، 2003/10/20.

[2] "انفـــو-بـــرود ريســـيرتش (الشرق الأوسط) المحدودة" (Info-Prod Research (Middle East) Ltd.). شركة "إنفو-برود" "تجمع المعلومات" وتقدم لزبائنها النصح حول فرص الاستثمار وعنصر المخاطرة السياسية.

[3] (Doron Peskin).

[4] (The Daily Star)، 2003/10/20.

[5] (DEBKAfile)، 2003/8/5.

[6] أحد العاملين في "فرق المهندسين" هو الرقيب اليهودي بنجامين روثمان؛ أنظر أعلاه ص 12.

المضـــخات، والإسمنت المسلح[1]. وفي مجالات أخرى بدأت شركة شير بتلقي طلـــبات ســـريعة لبضـــائع أساسية كالتجهيزات الطبية، أغذية الأطفال، الحليب المجفف، وطلبات على المدى البعيد لمشاريع في مجالات البنية التحتية، الطاقة، والمـــياه. وتمـــثل شـــير شركتي "وتربول" و"أمانيت"، اللتين كانتا تعملان على اخـــتراق الســـوق العراقـــي فـــي حزيران. وذكر أيضاً أن الشركة الأمريكية "ميدسيت – تطوير الشرق الأوسط"[2] ستفتح فرعين في بغداد وعمان و"امتداداً لهـــا فـــي إسرائيل". وتفكر الشركة بالاستفادة من المعلومات الإسرائيلية وضم شـــركات إسرائيلية. وثمة بنك أمريكي للتجارة الخارجية، لم يكشف عن هويته، يجـــري مفاوضـــات أصـــبحت في مرحلة متقدمة مع شركة إسرائيلية لإرسال خـــبراء زراعيـــين مـــن إسرائيل إلى العراق وتمويل مشاريع إعادة تأهيل في القطـــاع الزراعـــي. ويقـــود هذه المفاوضات أهارون إفروني[3] رئيس شركة "غرين إيست"[4] ومدير "المعهد اليهودي العربي" في كلية "بيت بيرل"[5].

"تمويل الإرهاب الفلسطيني"

"إنفو-برود" ليست مجرد "شركة" فأعضاؤها كانوا يحتلون مناصب رئيسية لـــيس فـــي القطاع الصناعي الإسرائيلي فحسب، بل أيضاً في قطاعات حكومية حـــيويـــة. مـــوزي فـــيرتهايم[6]، مديـــر الشركة، كان رئيس "الغرفة التجارية الإســـرائيلية الأمريكية" و"اللجنة التجارية الدولية"، وهو مؤسس فرع كوكا كولا فـــي إسرائيل ورئيسه. غيل فايلر[7] هو المدير الإداري في الشركة ولكنه يعمل أيضاً كمدير لـــ "معهد أبحاث التجارة والاقتصاد في الشرق الأوسط"، التابع لـــ "مركـــز الاختصاصـــات المتداخلة" الجامعي في هرتسليا. المركز الأخير يولي "الأفـــق الإقليمي" أهمية خاصة، لأن "شرق أوسط مسالم يتطلب أكثر من توقيع اتفاقـــيات. فهـــو بحاجـــة إلـــى الـــتجارة، القضايا الاقتصادية المشتركة، القيم

---

(1) *(DEBKAfile)*، 2003/8/5.
(2) *(Medset – Middle East Development)*.
(3) *(Aharon Efroni)*.
(4) *(Green East)*.
(5) *(Beit Berl College)*.
(6) *(Muzi Wertheim)*.
(7) *(Gil Feiler)*.

المشـــتركة، الاحـــترام المتـــبادل، والـــتفاعل الإنساني". ولغيل فايلر العديد من الدراسات حول الأوضاع الاقتصادية والتجارية في الشرق الأوسط، ولكن أيضاً "دراســـات" علـــى شـــاكلة "القاعدة: الحلقات المفقودة" وهي محاضرة ألقيت في الاجـــتماع الســـنوي لـــــ "المنتدى الاقتصادي العالمي"، الذي عقد في دافوس (سويسرا) نهاية كانون الثاني عام 2003؛ أو "تمويل الإرهاب الإسلامي" وهي محاضـــرة ألقيـــت في شهر آب من العام نفسه في مؤتمر عقد في تايوان تحت عـــنوان "الولايـــات المـــتحدة، شـــرق آسيا والشرق الأوسط بعد الحرب على العـــراق". ومـــن مســـاهماته محاضرة ألقاها بداية العام في جامعة بار إيلان (رامـــات غان) حول "تمويل الإرهاب الفلسطيني". وإلى جانب إسرائيل وألمانيا "عـــاش وعمـــل" في مصر، حسب سيرة حياته، التي نشرتها شركة إنفو-برود على الإنترنت دون تحديد طبيعة "العمل" في مصر[1].

"شركات عربية فاسدة"

في حزيران عام 2003 قال غيل فايلر: "إذا ظن أحد أن إسرائيل ستحصل علـــى عقـــود فـــي العراق فهو حالم كبير". ولكن فايلر يدرك أن العراقيين لا يفـــرقون بيـــن المصالح الأمريكية والإسرائيلية: "الكراهية تجاه الأمريكيين في الشـــرق الأوســـط شديدة جداً، والولايات المتحدة لن تزيد من حدة هذه المشاعر بتشـــجيع المصالح التجارية الإسرائيلية في العراق"[2]. وفي التقييمات للأوضاع في العراق بعد الاحتلال تطالب الشركة "سلطة الائتلاف المؤقتة والأمريكيين أن يـــنظروا فـــي شـــكاوى العديـــد من البلدان والشركات العالمية التي تدعي أن الشـــركات الأمريكـــية والبريطانـــية انفردت بالحصول على العقود التجارية". وتضيف: "هناك أيضاً اتهامات بالفساد ضد شركات عربية في منح العقود". من يرشـــي من؟ الشركات العربية ترشي "سلطة الائتلاف المؤقتة"؟ في الحقيقة، ما يـــزعج إنفـــو-بـــرود أن شـــركات عربية حصلت على عقود في عملية إعادة العـــراق. وفي النهاية، استفراد الشركات الأمريكية والبريطانية بالعقود لا يعني أن شـــركات من دول أخرى، كإسرائيل مثلاً، أصبحت خارج اللعبة، فبإمكانها إبرام صفقات عن طريق عقود فرعية مع شركات عالمية.

---

[1] المعلومات حول الشركة من موقعها على الإنترنت (http://www.infoprof.o.il/).

[2] (Dow Jones)، 2003/6/17.

إريديوم ساتيلايت

تــرددت أنباء في شهر آب 2003 عن حصول شركة "إريديوم ساتيلايت إســرائيل"، التــي تمــثلها شركة "غايا كوم"[1]، على عقد من "سلطة الائتلاف المؤقــتة" لــتزويد العراق بــ "هواتف عمومية" قيمته أربعة إلى خمسة ملايين دولار. وبــناء على آمي شنايدر[2]، المدير التنفيذي لشركة إريديوم، فإن شركة أردنــية قامــت بتقديم الطلب. وتخطط الشركة الإسرائيلية أيضاً لتزويد السوق العراقــي بالآلاف من الأجهزة الخلوية. "إريديوم ساتيلايت إسرائيل" هي إحدى فروع الشركة الأمريكية الأم "إريديوم ساتيلايت"، وتقوم بتقديم خدمات اتصالات عــن طــريق أقمــار اصــطناعية تديرها شركة بوينغ، وترتبط وزارة الدفاع الأمريكــية مــع إريديوم بعقد طويل الأمد. ما يلفت النظر في هذا الخبر، الذي نشره موقع "غلوبس أونلاين" الإسرائيلي، أن المدعو وارن براون[3]، مدير قسم "التســويق والاتصالات" في الشركة الأمريكية نفى في السابع والعشرين من آب وجــود مثل هذا العقد، مرسلاً هذا النفي إلى المواقع التي أعادت نشر الخبر[4]. ولكــن يلاحــظ أن "اتصــالات بارتنر"[5] الإسرائيلية أبرمت عقداً مع "إريديوم ســاتيلايت" الأمريكية من خلال "غايا كوم"، للاستفادة من أجهزة تنتجها إريديوم ويمكــن لمســتخدمها الاتصال بأي مكان في العالم[6]. وتنشط الشركات الخلوية الإســرائيلية فــي أسواق أوروبا الشرقية، وقد أبدت اهتمامها بالسوق العراقي "الــبكر" ولهذا عبرت في مؤتمر الأجهزة الخلوية، الذي عقد في عمان في بداية شهر آب، عن رغبتها بالمشاركة عبر "وكلاء أجانب".

استخبارات

إن الجــزء الأهم في موضوع حصول "إريديوم ساتيلايت" على صفقة في العــراق يــتخطى الأهداف التجارية، ذلك أن حجم الصفقة المعلن عنه متواضع

(1) *(Gaya Com)*؛ حول الخبر أنظر *(Globes Online)*، 2003/8/3.

(2) *(Ami Schneider)*؛ *Ami* – عامي؟

(3) *(Warren Brown)*.

(4) أنظــــــــر مـــــــــثلاً موقـــــــــع *(Rense.com)*: *(http://www.rense.com/general40/corr.htm)*.

(5) *(Partner Communications)*.

(6) حسب *(wireless.co.il)*، 2003/12/3.

للغايــة وخصوصا في مجال الاتصالات الواسع والحيوي. المسألة أعمق وأهم بكثــير، فالشــركة الأمريكــية تستخدم نظام اتصالات بالأقمار الصناعية قامت بتأسيســه فــي التســعينات شــركة الإلكترونيات العملاقة موتورولا تحت اسم "إريديــوم"، ولكن المشروع توقف بعد الإعلان عن إفلاسه عام 1998. وجمع الاســتخبارات هو أحد الخصائص التي يتمتع بها هذا النظام الذي دعمت وزارة الدفــاع الأمريكية جزءاً كبيراً من أبحاثه. وهكذا يأخذ إحياء المشروع في ظل الظروف الراهنة وبرعاية إسرائيلية بعداً آخر لا علاقة لــه بالتجارة[1].

ومهمــا كان الأمر، فقد فرضت سلطات الاحتلال قيوداً على الاستثمار في قطــاع الاتصــالات، وهــو مــا أدى إلى إفشال جهود شركات عربية لكسب مناقصــات فــي مجــال شبكات الأجهزة الخلوية. داريل ترينت[2]، المستشار الأمريكي في "وزارة النقل والاتصالات العراقية" نفى لرويترز أن يكون الهدف مــن تلــك القيود منح الشركات الأمريكية فرصة أفضل ضد الشركات العربية، مضــيفاً: "اعتقد أن العالم كله سيراقب كيف نقوم بفتح هذا السوق الجديد". وقد علقــت ليندا هيرد على ذلك بقولها: "حقاً! سيرفع الجميع حواجبهم دهشة عندما يرون أن شركة إسرائيلية يرحب بها في العراق، في حين يمنع الجيران العرب عملياً من المشاركة في سباق الاتصالات"[3].

من "بامبا" إلى الأبواب الفولاذية

تعــددت أشــكال النشــاط الــتجاري الإسرائيلي، فقد تلقت شركة أوسم[4] للمنتجات الغذائية طلباً لشراء أحد منتجات الشركة، وهو الطعام السريع "بامبا"، ولم يعرف ما إذا لبت الشركة الإسرائيلية هذا الطلب بتصدير "المنتج الإسرائيلي المميــز"، ولكــنها أخــذت تستكشف إمكانيات الأسواق العراقية. ويشار إلى أن شــركة نيستله العالمية تملك 50.1 من أسهم "أوسم"، التي تصنع منتوجاتها في

---

(1) حول الموضوع أنظر مقال "غاري زاتسمان" (Gary Zatzman) بعنوان: "هل تريد الإمبراطورية الأمريكيــة إشــعال إريديــوم في الظــلام؟"، أنظــر (http://noidrocca.tripod.om/whatsup/id6.html).

(2) (Darrell Trent).

(3) (Gulf News)، 2003/8/12.

(4) (Osem).

مستوطنة "سديروت" في النقب[1]. وفي مجال الأغذية قامت شركة أغريكسكو[2]، وهي أكبر الشركات الإسرائيلية لتصدير المنتجات الزراعية، بتزويد القوات الأمريكية في العراق في بداية تشرين الثاني بتسعين طناً من البطاطا التي تزرع في منطقة راموت هاشافيم[3]. وقد تمت الصفقة عبر شركة ألمانية حازت على مناقصة كبيرة لتزويد القوات الأمريكية بالأغذية الطازجة[4]. وأشارت صحيفة الرصد الصادرة في بغداد إلى عقد بقيمة 83 مليون دولار منح لإسرائيل "لتزويد قوات التحالف الموجودة في العراق بالأغذية". وفي هذا الشأن صرح وزير الزراعة "'الصهيوني' بأن العقد 'أنقذ الزراعة الإسرائيلية من مشاكلها'"[5]، هذه المشاكل التي كانت الانتفاضة الفلسطينية السبب الرئيسي في حصولها ولم يشر إليها الإسرائيلي نمرود رافائيلي، الذي استشهد بمقال صحيفة الرصد. وفي تموز كانت شركة "تامي 4" لإنتاج أجهزة تنقية المياه تقوم بمفاوضات حول صفقات قيمتها مئات الآلاف من الشواكل، حسب درور مراد[6]، رئيس الشركة. وبالفعل صدّرت إلى العراق الشركة في نهاية الشهر عشرين جهازاً بقيمة 50 الف شيكل. وقامت شركة شيريونيت هوسيم[7] لإنتاج الأبواب الفولاذية الأمنية بإجراء مفاوضات لتصدير منتجاتها إلى العراق بما قيمته مليوني شيكل. وذكرت في هذا الصدد شركات "تنور غاز"[8] (طبريا)؛ "سوليل بونيه للبناء والبنية التحتية"[9]؛ "أ أرينسون"[10] للبنية التحتية[11].

---

[1] أنظر موقع (Boycott Israel).

[2] (Agrexco).

[3] (Ramot Hashavim).

[4] (Israel21c)، 2003/11/6، حسب "معاريف"

[5] "الرصد" 2003/7/17، حسب "ميمري"، (Inquiry and Analysis)، 2003/8/27.

[6] (Dror Murad).

[7] (Shiryonit Hosem).

[8] (Tannurgas).

[9] (Solel Boneh Building and Infrastructure Company).

[10] (A Arenson).

[11] (The Daily Star)، 2003/10/20.

شراء عقارات

في حزيران، ترددت في العاصمة العراقية شائعات عن يهود يقومون بشراء عقارات بأسعار خيالية في بغداد[1]. وكذلك نشرت صحيفة العدالة[2]، الناطقة باسم "المجلس الأعلى للثورة الإسلامية"، تقريراً في بداية تموز جاء فيه أن يهوداً كانوا يحاولون شراء مصانع مهجورة في بغداد. وفي الموصل أصدر مجمع العلماء المسلمين فتوى تحرم بيع العقارات لغير العراقيين، وبهذا الصدد صرح الشيخ إبراهيم نعمة أن المساكن أو الأراضي التي تباع قد تنتهي في أيدي اليهود[3]. في مسجد عبد القادر الكيلاني كشف الشيخ محمود خلف أن "اليهود، عسكريين ومدنيين، دخلوا الآن العراق ... وأخذوا يشترون العقارات، المصانع والشركات، في حين يعمل عراقيون معهم كسماسرة وأدلاء. إنه إثم أن يقوم العراقيون ببيع أراضيهم لليهود وأن يتعاملوا معهم". وحسب رويترز، فقد أصدر آية الله كاظم الحسيني الحائري فتوى من إيران جاء فيها: "أي يهودي يحاول أن يشتري قطعة أرض أو بيت في العراق، سيقتل. ويحرم أي بيع لأراض أو بيوت لليهود". وقد علق مصطفى يعقوبي، وهو رجل دين من النجف، أن عدة محاولات لشراء أراضي من العراقيين جرت في المنطقة مؤخراً من قبل يهود أجانب[4]. وقد ذكرت النهار اللبنانية أن وسطاء أكراد كانوا يقومون بهذه المهمة، وأن الدورة، إلى الجنوب الغربي من بغداد، هي المنطقة المفضلة لشراء عقارات فيها[5].

لهذه الإشاعات أساس من الصحة، وخاصة أن الإسرائيلي نمرود رافائيلي يستشهد ببيان لـ "اتحاد المحامين العراقيين" يهدف عملياً إلى إضفاء صبغة الشرعية على "إعادة الحقوق لليهود العراقيين". فقد جاء في هذا البيان أن "استرجاع ممتلكات اليهود العراقيين يقع قانونياً تحت تشريعات سلطات الاحتلال"، غير أن البيان يضيف: "إن إحصاء السكان لعام 1957 يشمل اليهود.

---

(1) ذكر هذا الأمر في أكثر من مصدر، وقد أوردنا بعضاً منها.

(2) 2003/7/10؛ حسب نيمرود رافائيلي في "ميمري"، (*Inquiry and Analysis*)، 2003/8/27.

(3) "دار السلام"، الناطقة باسم "الحزب الإسلامي العراقي"، حسب نيمرود رافائيلي في "ميمري"، (*Inquiry and Analysis*)، 2003/8/27.

(4) (*Reuters*)، 2003/6/27؛ أنظر أيضاً (*USA Today*)، 2003/7/27.

(5) 2003/6/19؛ انظر (*Naharnet*)، 2003/6/20.

ويستدل من ذلك أن هؤلاء اليهود هم عراقيون، حتى لو أسقطت عنهم الجنسية العراقية من قبل الحكومة العراقية لعدم عودتهم إلى العراق بعد انقضاء ثلاثة أشهر من مغادرتهم البلاد"، وهو "شرط تصريح الخروج لليهود الذين سمح لهم بمغادرة البلاد في السبعينات"[1]. ويؤكد هذا الاتجاه ما صرح به مسؤول كبير من "مجلس الحكم الانتقالي" لصحيفة الجيروسالم بوست الإسرائيلية بأن كل الأملاك التي أخذت من "اليهود وآخرين" ستعاد إلى أصحابها وأن قانون عام 1951 سيخضع للتعديل[2].

"لن نسمح أن يتكرر فصل النكبة"

بالرغم من هذه المؤشرات والتقارير فقد جرى تفسير ما يقوله العراقيون على أنه مجرد إشاعات تروج في الشارع العراقي تقول أن "الاحتلال الأمريكي هو مؤامرة صهيونية للاستيلاء على البلاد وانتزاعها من العرب"[3]. وما ذكر عن "المكتب الدولي العراقي للمحاماة والاستشارات القانونية" وعلاقته بمارك زيل، الإسرائيلي الداعم للاستيطان في الضفة الغربية، هو مجرد "قصص"، و"حلم بنشر دعاية معادية لأمريكا". جايمس بنكيرتون[4]، الذي كان في العراق في تلك الفترة، يقول في إشارة إلى ما كان يتردد في الشارع العراقي: "لاحظت أمراً مهماً: عداء سامية بدون ساميين، أي ساميين يهود". ويضيف: "حتى الناس الذين عندهم الحرية لأن يقولوا ما يشاؤون، يستطيعون استحضار المؤامرات". إذن، حسب بنكيرتون، حتى "الحرية" لا تجعل من العراقيين أشخاصاً عقلانيين.

مهند عبد الله، إمام مسجد عمر بن الخطاب، قال في هذا الشأن: "سيحاول اليهود إغراء العراقيين ببيع بيوتهم بأي سعر، وسيحاولون السيطرة على وسائل الإعلام لنشر الفساد والفجور. لكننا سنعثر عليهم، ولن نسمح أن يتكرر فصل النكبة"[5]. الشيخ، الذي يسترجع التاريخ، يدرك بوضوح طبيعة الظروف التي

---

(1) "الشريعة"، 2003/7/12، حسب نيمرود رافائيلي في "ميمري"، (*Inquiry and Analysis*)، 2003/8/27.

(2) (*The Jerusalem Post*)، 2003/12/25.

(3) (*Newsweek*)، 2003/10/20.

(4) (*James Pinkerton*)، (*Newsday.com*)، 2003/6/22.

(5) كلمة الشيخ محمود خلف (أنظر أيضاً [*Agence France-Presse*]، 2003/6/22) والشيخ مهند عبد الله من (*Islam Online*)، 2003/6/24.

أدت إلـــى النكبة الفلسطينية. وتحذيره في محله تماماً ولا علاقة لذلك بأي عداء مفـــترض لــ "السامية". فالنكبة وقعت عندما أعلن عن تأسيس دولة تقسم الوطن العربــــي، اعترفـــت بها الولايات المتحدة الأمريكية بعد إحدى عشرة دقيقة من إعلانها.

■■■

العدوان ويهود العراق

"أنـا عراقـي، ولـدت فـي العـراق،
ثقافتـي مـا زالـت عربـية، ديانتي يهودية،
مواطنتي أمريكية".

نعيم غيلادي، ترك إسرائيل بعد اجتياح لبنان عام 1982

أثـير موضـوع "يهـود العراق" قبل الغزو بشهور ضمن الحملة الواسعة لتبرير العدوان على العراق، رغم عددهم الضئيل وعدم تعرضهم لأي اضطهاد فـي ظل النظام الذي أطاحت به الولايات المتحدة. وأثناء الحرب أثير موضوع الـيهود، ليس في العراق فحسب، بل في البلدان العربية ككل. وبقي الموضوع مـادة مناسبة لشن حملة شرسة ضد الشعب العراقي، حتى بعد "تحرير" العراق، ولـم يـنج مـنها "مجلـس الحكـم الانتقالي" نفسه. الهجوم الذي يتعرض لـه العراقـيون، والعـرب عمومـاً، لا يمكـن تفسـيره إلا ضمن الإطار الواسع لأيديولوجـية استعمارية قديمة جديدة تبرر نهب الأرض والثروة. التشويه الذي يـتعرض لـه مفهـوم القومية العربية، يهدف إلى عزل العرب عن جذورهم الحضارية المشتركة. والغائب الأكبر في هذه الحملة هي إسرائيل، التي لا يمكن تـبرير وجودهـا فـي محيط عربي. وإحضار من تبقى من يهود العراق إلى إسـرائيل هـو تطبيق المبدأ الصهيوني القديم للإبقاء على روابط مصطنعة بين الـيهود وفلسـطين، ومـن جديد حماية هذا المبدأ من الانهيار في ظل الهجرة المعاكسـة. والعوامـل التي أدت إلى خروج اليهود من البلدان العربية، تتجاوز الادعـاءات التـي تطـرح رسـمياً من قبل إسرائيل ويهود من أصل عربي، وتفضـحها أصـوات تظهر الحقيقة، أحدها ليهودي عراقي، هو نعيم غيلادي، وشـارك بنفسه في الخطط الصهيونية لإخراج اليهود من العراق، وآخر للكاتب الإسرائيلي توم سيغيف.

"أكثر الجماعات اليهودية ثراءً واحتراماً"

لدى وصول اليهود العراقيين الستة إلى إسرائيل في شهر تموز 2003 قال غـيورا روم[1]، المدير العام للوكالة اليهودية: "نحن نحمل احتراماً كبيراً لهؤلاء الذيـن حملوا العبء اليهودي وحافظوا على يهوديتهم كل هذه السنين. نريد لهم

---

(1) (Giora Rom).

أن يقضـــوا بقـــية أيـــامهم بكرامة"[1]. استغلال اليهود العراقيين كان قد بدأ مع تصـــاعد التحضـــيرات للعـــدوان على العراق. ففي منتصف تشرين الأول عام 2002 نشـــرت الـــتايمز[2] مقالاً ذكرت فيه أن عدد اليهود في العراق يبلغ 38 يهودياً يقـــيمون فـــي بغداد بالإضافة لامرأة واحدة في البصرة. وتبدو صورة هـــؤلاء حســـب المقـــال بائسة للغاية، فهم غير قادرين على ممارسة شعائرهم الدينـــية، ومعظمهم مسنون، وآخر زواج عقد عام 1980 وحالياً لا يوجد أطفال يمارسون البار ميتسفاه[3]، وهي عبارة لا يفهم سبب إقحامها هنا، غير استدرار الشـــفقة مـــن جهة، وترسيخ هوية دينية لليهود أو افتعال تميز ليس موجوداً في الواقـــع بالضـــرورة. ويذكر المقال أن "لا أحد قادر على إدارة الطقوس الدينية، واثـــنان فقـــط يعرفان العبرية، والباقون بالكاد يفهمون الصلوات". ولا ندري ما هـــي أهمـــية معرفة هؤلاء اليهود العراقيين للعبرية، التي تبدو كأهمية معرفة الباكســـتانيين أو الإندونيســـيين للعربـــية. ويستمر تضليل مقال صحيفة التايمز عـــندما يذكر أن يهود العراق كانوا في "وادي الرافدين أكثر الجماعات اليهودية ثـــراءً واحـــتراماً"، وأقدمها، فـــ "أفرادها انحدروا من اليهود الذين نفاهم نبوخذ نصـــر ... ومن بينهم النبي حزقيال، الذي جلس على ضفاف أنهار بابل يذرف الدمـــوع". وتحـــت هيمنة "الأتراك العثمانيين" عمل اليهود "في التجارة والمهن، وتـــبوؤا مناصب عالية في الإدارة العامة". ومع حلول عام 1941 "وبعد انقلاب مـــوالٍ للنازية قامت بتخطيطه السفارة الألمانية في بغداد، قتل المئات من اليهود بيـــنما وقـــف رجال الشرطة يراقبون ما يحصل". وبعد "تأسيس دولة إسرائيل هـــرب مئات الآلاف من اليهود"، ولا ندري كيف هم بـــ "مئات الألوف" بالرغم مـــن أن "المؤتمـــر اليهودي العالمي"[4] قدر عدد اليهود العراقيين بحوالي 150 ألف لا أكثر عام 1947. ويوضح الكاتب كيف تمت عملية "الهروب" بقوله "في الـــبداية، تســـلل البعض بأعداد قليلة، وفيما بعد شملتهم عمليات نقل بالطائرات نظمـــتها الحكومـــة الإسرائيلية". ولكن المقال يقر، بالاعتماد على تقرير لوزارة الخارجـــية الأمريكية، أن اليهود لا يتعرضون حالياً "للاضطهاد العلني"، وأنهم

---

(1) (USA Today)، 2003/7/27.

(2) (The Times)، 2003/210/18.

(3) (Bar Mitzvah)، حرفـــياً "ابن الوصية"، وهي طقوس البلوغ للصبي في سن الثالثة عشرة وتعلن بدء تقيده بالتعاليم الدينية.

(4) أنظر موقع المؤتمر (World Jewish Congress).

يمارسون شعائرهم الدينية بحرية. حتى أن "صدام أمر قبل ثلاثة عشر سنة بتجديد الكنيس في حارة البطاوين وضريحي حزقيال وعزرا الكاتب، اللذين يقدسهما المسلمون أيضاً". وهذه المواقع يقوم عراقيون بحراستها. ولكن، بالرغم من هذه الشهادة، تدعي صحيفة "يو إس إي توداي" أن فلسطينياً اقتحم عام 2000 مبنى المركز الاجتماعي اليهودي في بغداد وقتل يهوديين وحارساً مسلماً. ولكن الصحيفة لا تشير إلى أن السلطات العراقية لاحقت المعتدي ونفذت حكم الإعدام فيه[1]. وبعد الاحتلال كان يقوم بحماية المركز عمران رستم موسى وهو "مسلم كردي من عائلة كانت تتعامل مع اليهود منذ أجيال"، مستخدماً سكين جزار لصد المهاجمين، وقد قال: "أنها مخاطرة كبيرة أن يحضر اليهود إلى المركز"[2].

"تهديد أقلية صغيرة جداً"

اليهود في البلاد العربية "أقلية صغيرة جداً"، على حد تعبير راتشيل بوميرانتس، مراسلة "الوكالة التلغرافية اليهودية"، ولكنهم في رأيها: "يشكلون، من خلال إسرائيل وأمريكا، تهديداً مشتركاً في نظر الكثير من جيرانهم"[3]. ويعترف ستيفين شفاغر[4]، نائب رئيس "لجنة التوزيع المشتركة اليهودية"، أن "هناك مؤشرات أن الجموع الغاضبة ستطلق مشاعرها العدوانية على اليهود، أفراداً أو منشآت يهودية". ولكن هناك اتصالات على مستويات مختلفة، إذ تقول بوميرانتس أن اللجنة أجرت قبل الحرب، "بالاشتراك مع الجماعات اليهودية في الدول الإسلامية، مشاورات مع الحكومات المعنية ومنظمات مختلفة". وكذلك قام "المؤتمر اليهودي العالمي" بما عليه، عندما "كثف من اتصالاته مع اليهود في العالم الإسلامي من خلال خط ساخن، موقع على الشبكة، واجتماعات أسبوعية". ويعتبر أي حدث "سبباً للفزع" لدى الجماعات اليهودية، كما حصل في تونس عندما تعرض صراف يهودي للطعن بتاريخ السادس عشر من آذار

---

(1) حسب (World War 3 Report)، 2003/5/12. يشير هذا المصدر إلى أن هذا الاعتداء وقع عام 1997 وأنه أسفر عن مقتل حارسين ويهوديين. والحارس الحالي حسب هذا المصدر هو مهدي صالح.

(2) (USA Today)، 2003/7/27.

(3) (Die jüdische)، 2003/3/27، عن (Jewish Telegraphic Agency).

(4) (Steven Schwager).

2003، رغم أن خلفية ما حصل كانت جنائية، بإقرار الكاتبة نفسها. أما في ما يتعلق بيهود العراق فـ "لجنة التوزيع المشتركة اليهودية" تنتظر أن "تصبح بغداد آمنة بالنسبة للمنظمات الإنسانية" لترسل المساعدات اللازمة لهم. يضيف المقال صورة تحمل التعليق التالي: "يهود في إيران: المغادرة إلى إسرائيل غير ممكنة"، وهو ما يوضح أن الهدف ليس عرض أوضاع اليهود في البلدان الإسلامية، وإنما جلبهم إلى إسرائيل.

"إسرائيل أفضل من العراق"

استمرت الحملة أثناء الحرب، ففي نهاية آذار نشرت يديعوت أحرونوت[1] مقالاً تحت عنوان "إسرائيل أفضل من العراق (بابل)!" يعرض فيه كاتبه قلق "إسرائيليين" تركا العراق قبل ثمانية عشرة شهراً، يشير إليهما بالأحرف ("د" و"ب")، حول ما يمكن أن يسببه القصف لأقاربهم في بغداد. يقول "د" أنه عندما قرر "الهجرة" إلى إسرائيل، اتصل بأخته التي تقيم في إسرائيل مستفسراً: "قولي لي الحقيقة، سمعت أن الوضع الأمني ليس جيداً"، ويضيف: "أخبرتني عن المشاكل مع الفلسطينيين، غير أن هذا لم يخفني. لقد قررت أن إسرائيل أفضل من العراق". وحول الوضع السيئ في العراق لم يذكر "د" إلا "حب قصي وعدي للنساء"، مثلاً، عدي: "كان دائماً محاطاً بحراس شخصيين والكثير من النساء. كنا نهرب عندما نراه، فزوجتي جميلة وكنت أخاف أن يأخذها مني". ويذكر "د" قصة مشابهة حول قصي. هذه القصص تعطي فكرة ليس عن قصي وعدي، اللذين دخلا في نظر الكثيرين سجل الشهداء العرب، وإنما عن راويها بهواجسه الجنسية، وكذلك توضح مستوى يديعوت أحرونوت، التي قبلت نشر "مقال" من هذا النوع لأغراض سياسية. ولكن ما يلفت النظر أن "ب" كان يتصل بأفراد العائلة في بغداد يوماً بعد الآخر موضحاً: "كنا نتكلم بالشيفرة بدون ذكر كلمة "إسرائيل"، أمس أخبروني أن الصواريخ سقطت بالقرب من بيتهم. ولحسن الحظ لم يصبهم أي سوء".

---

[1] *(Yediot Ahronot)*، *2003/3/29*. أعادت نشره "كيرين هايسود" (*Keren Hayesod - Solidarity Update*)، رقم *223*، *2003/4/3*.

"لم يكن للصهيونية دور"

نشـــر فـــي صحيفة "دي يوديشه"[1]، أي اليهودية، مقال للصهيوني توماس شـــميدينغر تحت عنوان "إنقاذ خلال 'عملية علي بابا'". والكاتب الذي يريد أن يوحي للقارئ بأنه متخصص في موضوع "القومية العربية"، يقدم عرضاً لتاريخ اليهود العراقيين بسبب "بقاء الكنيس في بغداد مغلقاً أثناء عيد الفصح بعد تحرير المديـــنة مـــن حكم صدام حسين". وهو يعيد تاريخ اليهود العراقيين إلى ما قبل 2500 ســـنة كــــ "أحـــد أقدم مجموعات الفسيفساء الاثني والديني بين الفرات ودجلة". ويقول "شكل وادي الرافدين مركزاً ثقافياً وفكرياً هاماً لليهودية" بعد أن دمر الرومان "الدولة اليهودية"، علماً بأنه لم تكن هناك "دولة يهودية" أثناء حكم الـــرومان لفلســـطين. وأن الوضــــع ساء بالنسبة لليهود في العراق بسبب "عداء الســـامية المسيحي القديم"، الذي اتصفت به "الإمبراطورية الرومانية الشرقية". ويســـعد المـــرء عـــندما يقـــرأ أن المجموعات اليهودية ازدهرت من جديد في "العصـــور الوســـطى الإسلامية، في بغداد، البصرة، الموصل والعديد من مدن عـــراق اليوم". أما أثناء الحكم العثماني، فإن "يهوديات ويهود العراق"، على حد تعبـــير المؤلف الواعي للمساواة بين المرأة والرجل، تمكنـــوا من الاستفادة من "إصـــلاحات أواخـــر القرن التاسع عشر"، دون تحديد طبيعة هذه الإصلاحات، ليصـــبحوا "عنصـــراً حضـــارياً، سياسياً، واقتصادياً هاماً في الحياة المدينية". واســـتمر هـــذا "الصعود" في فترة الحماية البريطانية. ولكن وضع يهود العراق ســـاء فجـــأة مع ازدياد قوة "القومية العربية"، التي رأت في "اليهوديات واليهود العراقيـــن حلفاء محتملين للصهيونية، هذا بالرغم من أنه لم يكن للصهيونية أي دور يذكـــر فـــي التأثـــير على سكان العراق من اليهود". وبهذا يتجاهل الكاتب الموقـــف الإســـرائيلي الرسمي، الذي لم ينكر النشاط الواسع لأجهزة المخابرات الصهيونية منذ بداية الأربعينات لدفع يهود العراق إلى مغادرة البلاد.

"عميل النازية"

بالـــرغم من أن "النازية" أو "الفاشية" هي نتاج محدد لرأسماليات أوروبية، فـــإن هـــذا لـــم يمنع الصهيونية من إسقاطها على حركات تحرر قومية عربية

---

[1] *(Die Jüdische)*، 2003/5/14.

كحركة رشيد عالي الكيلاني في العراق، فالبوق الدعائي الإسرائيلي "أروتس شيفا" يصف ما تعرض له اليهود في بغداد عام 1941 قائلاً: "إن أوضاع الجماعة اليهودية بدأت تتدهور بشدة عندما قامت غوغاء عربية/نازية مجرمة بقتل 179 يهودياً وبتدمير الكثير من الممتلكات اليهودية"[1]. أما الصهيوني شميدينغر فيريد أن يحشو الحاج أمين الحسيني في الموضوع بأي شكل، فيكتب أن الضغط ازداد على يهود العراق في الثلاثينات والأربعينات عندما "تحالفت القومية العربية مع النازية المعادية للسامية، وعندما ذهب مفتي القدس الحاج أمين الحسيني، أحد أبرز عملاء النازية بين القوميين العرب، إلى المنفى في بغداد لحقت به مجموعة من المدرسين والمثقفين من فلسطين وسوريا". وأصبح الوضع "لا يحتمل" بالنسبة لليهود في العراق، عندما قام "رشيد عالي"، هكذا يسميه المؤلف، بانقلاب "موالٍ لألمانيا". وفي هذه الأجواء قام "صلاح بيطار وميشيل عفلق بتأسيس "منظمة داعمة للعراق وحشدا المتطوعين من أجل دعم الحكم العراقي". يتبنى شميدينغر الرواية البريطانية لتفسير موجة "عداء السامية" التي انفجرت عام 1941، وسببها "الدعاية النازية للسفارة الألمانية في بغداد وتحريض الحاج أمين الحسيني وأتباعه". واليوم، تتوقف عودة "اليهوديات واليهود المنفيين" إلى العراق على "التطورات السياسية في الشهور القادمة". ولكن "آمال المجموعة اليهودية في بغداد ستتجدد إذا سيطرت في العراق قوى، كالأحزاب الكردية أو المؤتمر الوطني العراقي بقيادة أحمد الجلبي، تعمل على المصالحة السريعة مع إسرائيل ونشر الديموقراطية في البلاد".

من حمى الكنيس؟

ما يلفت النظر أيضاً في مقال شميدينغر هو إشارته إلى أن الكنيس اليهودي في بغداد لم يتعرض للنهب. ويعزي الكاتب هذا الأمر إلى "الجيران المسلمين الذين حموا الكنيس من المحاولات المتكررة لنهبه". وهو لا يشير إلى مصدر معلوماته حول الكنيس البغدادي، غير أن ما يذكره لا يتفق مع صورة الوضع في الأيام الأولى للغزو، عندما تعرضت جميع المؤسسات بما في ذلك المستشفيات للنهب، باستثناء وزارتي النفط والداخلية. ولا ندري لماذا يقوم "الجيران المسلمون" بحماية الكنيس اليهودي بالذات، أو مركز "عزرا مناحيم

(1) (Arutz Sheva)، 2003/7/27.

دانيـيل" في شارع الرشيد[1]، ولا يفعلون شيئا لحماية المتحف العراقي أو مبنى المكتـبة الوطنـية؟ هل كان الكنيس اليهودي بهذه الأهمية بالنسبة لـ "الجيران المسـلمين" حـتى يقوموا بحمايته دون غيره من المراكز؟ لكن شميدينغر ليس الوحـيد الـذي يـرى بأن الكنيس اليهودي قد قام بحمايته "الجيران المسلمون". فخـالد القشـطيني لا يذكـر الكنيـس، إلا أنه يشيـر إلى "تلك المجموعة من الشباب الذين لاحظوا الخطر الجاثم أمام بيوت هذه العوائل اليهودية القليلـة في تلـك الـزوبعة مـن النهـب وانهيار الأمن والنظام، بعد تحرير بغداد، فخفوا وأسـرعوا بكل ما تيسر لهم من سلاح أو هراوات أو عصي، وأحاطوا ببيوت هـذه العوائـل الـيهودية لـيذودوا عـنها ويبعدوا الشر منها، ويضعوا الأمن والطمأنينة في قلوب نسائها وأطفالها وشيوخها. هؤلاء نفر من المسلمين شعروا بمـا يملـيه علـيهم دينهم وإنسانيتهم فغامروا بسلامتهم وأرواحهم ليدافعوا عن إخوانهم اليهود في أيام حرج وخطر"[2].

القومية العربية

أبـرز ما في مقال شميدينغر هو موقفه من "القومية العربية"، الذي شرحه بمقـال آخر حول الموضوع وبعنوان فرعي: "جذور الكراهية: أيديولوجية من أوروبـا". يـبدأ المقال بحكمة توجز كل شيء: "برزت القومية العربية كحركة مناهضة للاستعمار اقتبست المفهوم القومي من أسيادها وطبقته ضدهم". ولا يذكـر فـيه مؤلفه الصهيونية بكلمة واحدة، ويظهر العرب وكأنهم يفتقرون تمامـا إلـى أفكـار وجذور حضارية يعودون إليها، فيقتبسون من هنا وهناك، ولكـنهم أيضـاً يـأخذون الأسوأ، كالاشتراكية القومية، أو النازية التي صبغت القومية العربية في مراحلها المبكرة، كمصر الفتاة في مصر والفتوة في العراق وحزب البعث السوري. ولو اقتصر التأثير على هذه الحركات لهان الأمر، فتبعا لمقالـه امـتدت هـذه القومـية الفاشية إلى فئات كالإخوان المسلمين في مصر والحـاج أميـن الحسيني. وليس هذا فحسب، فقد تعاون الأخير مع رشيد عالي الكيلاني الذي مثل "أكثر الحركات الموالية للفاشية نجاحاً". وتمكن حزب البعث

---

(1) Sydney Morning Herald، 2003/4/14.

(2) عـن "الشرق الأوسط"، الصادرة في لندن، أعادت نشره مجلة البريطاني اليهودي نعيم دنغور (The Scribe)، عدد 76، ربيع 2003.

من البقاء في السلطة "في سوريا، وحتى قبل بضعة أسابيع في العراق وكلاهما باتجـاه قومي يصبغه عداء قوي للسامية". فحزب البعث العراقي "قبل سيطرته علـى الحكم عام 1968، وقبل فترة طويلة من الحملات الإجرامية ضد الشيعة والأكـراد، كان يقف ضد الأقليات الدينية في البلاد"، وبالطبع، يقصد هنا بشكل رئيسـي الـيهود. لقـد نشر مقال شميدينغر في المجلة[1] الناطقة باسم "جمعية الشـعوب المهـددة"[2]، التـي تشـير إلـى "محـرقة اليهود"، في حين لا يجد الفلسـطينيون، كشعب مهدد منذ أكثر من نصف قرن حتى اليوم، مكاناً لهم في إعلان الجمعية عن أهدافها.

"عداء السامية العربي"

جـاء في البيان الصحفي لــ "بيت حضارات العالم"[3] (برلين)، الذي أعلن فـيه عن عرض فيلم "انسى بغداد" لليهودي العراقي سمير نقاش: "كان العراق مسـرحاً لحضـارة يهودية مزدهرة، فقط بعد الحرب العالميـة الأولى أضطهد السـكان الـيهود، بعـد أن اشتد الصراع بين الأيديولوجية الصهيونية والقومية العربـية فـي الشـرق الأوسط". إن مجرد الإشارة إلى "الصراع بين القومية العربـية والصـهيونية" كـان كافياً لإثارة غضب الكاتب الألماني توماس فون أوسـتن سـاكن[4]، فقـام بشن حملـة على المركز الثقافي العالمي، متهماً إياه بـتفادي ذكـر "عداء السامية"، ففي "قلب أيديولوجية القومية العربية يكمن عداء مبـيد للسـامية، موجه أيضاً ضد الآشوريين، الأكراد، والفرس". والصهيونية جـاءت "كـرد فعـل على الحركات الفاشية المعادية للسامية، التي من أبرزها بامتـياز القومـية العربـية منذ منتصف عشرينات [القرن العشرين] على أقل تقديـر". ونسـي كاتـب المقـال أن هذا التاريخ مرتبط بوعد بلفور والانتداب البريطانـي، الـذي سـلب الفلسطينيين وطنهم ومنحه لغرباء من خارج البلاد. ونستطيع أن نفهم لما استمر الحقد على العراق حتى الغزو الأمريكي البريطاني

---

[1] (Bedrohte Völker - Pogrom)، 219، 2003/3.

[2] (Gesellschaft für bedrohte Völker)؛ حـول رسـالة الجمعـية، أنظـر (http://www.gfbv.de/hilfe/aktion/mandat.htm).

[3] (Haus der Kulturen der Welt).

[4] (Thomas von Osten Sacken)؛ نشر المقال في (Die jüdische)، 2003/6/25.

المدمـــر للعراق فهو: "إلى جانب فلسطين يمثل مركز الحركة القومية العربية". وعندما يقول فون أوستن ساكن بأن اليهود الذين "طردوا" من البلدان العربية هم بالملاييـــن، فإنه يتجاوز حدود المبالغة، التي لا تسمح حتى المنظمات اليهودية العالمـــية لنفســـها بتخطيها. ويتابع بأن عداء السامية ما زال متأصلاً في العالم العربـــي "ليطال في السنوات الأخيرة أولئك اليهود، الذين تمكنوا من الهرب من العراق إلى إسرائيل"، في إشارة إلى الانتفاضة الفلسطينية. والهجوم موجه ضد الحـــركة الشعبية المناهضة للعولمة والحروب الرأسمالية والاحتلال الإسرائيلي، ويسخر منها باعتبارها: "صديق الشعب العراقي، المحب للسلام، الذي بقي حتى الـــنهاية ضـــد إسقاط نظام صدام حسين، أو ناقد العولمة، الذي يرى في عداء الســـامية العربـــي تعبـــيراً عن نضال التحرر للشعب الفلسطيني". فون أوستن ساكن، حامل الاسم الأرستقراطي، عليه أن يتفضل ويفيد الفلسطينيين والعراقيين بوسائل النضال التي عليهم اتباعها حتى يتمكنوا من تحرير وطنهم.

"طريق السلام يمر عبر بغداد"

مع تصاعد المقاومة العراقية، وجدت حملة استغلال اليهود العراقيين نفسها فـــي مـــأزق، وإن بقيت "إسرائيل" الثابت الوحيد وراء هذا التضليل الإعلامي، وربمـــا أفضل ما يعبر عن هذه الأيديولوجيـــة ما كتبه كريستوفر ديكاي وساره ســـينوت فـــي النيوزويك[1] في نهاية تشرين الأول عام 2003، أي بتزامن مع إســـقاط المروحيات الأمريكية وسقوط أكبر عدد من الجنود الأمريكيين، حسب الإحصـــاءات الرســـمية. يعبر المقال بوضوح عن الهدف الرئيسي من العدوان على العراق، وهو حماية الكيان الإسرائيلي. فبعد إسقاط "الدكتاتورية العراقية"، تصـــور الكثـــيرون من أنصار الحرب أن ما حصل "سيخلق شرق أوسط جديد تستطيع إسرائيل أن تعيش فيه بأمان، وتفتح الحدود، وتزدهر التجارة. وكما قال الـــبعض، فـــإن الطـــريق إلى السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين سيمر عبر بغـــداد، التي ستصبح نموذجاً للرخاء، القبول بالآخر، والتعايش". الرابط هنا هو "يهـــود العـــراق"، الذين شكلوا "قبل قرن من الزمان ربع سكان مدينة [بغداد]"،

(1) (Christopher Dickey) و(Sarah Sennott)، (Newsweek)، 2003/10/20.
وشـــارك في كتابة المقال (Rod Nordland) من بغداد و(Dan Ephron) و(Joanna Chen) من القدس.

ليس هذا فحسب بل أن الكثير من أولئك اليهود "تجرأ على التخيل بأنهم سيقدرون على زيارة منازلهم القديمة، ربما استعادة حقوقهم بالولادة، وحتى أن يقوموا بممارسة أعمال جديدة". ولكن عماد ليفي، القائم بأعمال الحاخام ليهود بغداد، "لا يحمل حنين المغتربين ولا أي آمال كبرى لما سيأتي" في العراق عندما يقول "صدقوني، ليس لنا أي مستقبل هنا".

العراقيون يقولون: "هؤلاء صهاينة"

يعود مقال النيوزويك ليصف "الواقع القاسي لعراق اليوم"، وخاصة بالنسبة لمن بقي في البلد من اليهود. ويُستغل عماد ليفي لدعم وجهة نظر النيوزويك، التي لم تجد في "العراق المحرر" ما يحقق أحلام "مناصري" الحرب. الكنيس اليهودي في بغداد أغلق مع بداية الاحتلال، ولكن من الواضح أن الإغلاق كان بسبب الأوضاع الأمنية السيئة، وهذا ما قصده المسن يعقوب يوسف عندما قال: "تؤدي صلواتنا اليوم في البيت. هذه أوقات عصيبة، ولكن ماذا بوسعنا أن نفعل؟"[1]. يقول ليفي بأنه لا يستطيع أن يدع أحدا يدخل الكنيس في حارة البطاوين: "لا نستطيع أن نسمح لأحد بالاقتراب من الكنيس، لأن الجيران سيشاهدون أشخاصاً، فيقولون: هؤلاء صهاينة'، ويصبح من السهل إلقاء قنبلة من فوق الجدار". وشهادة ليفي هذه تتعارض نوعاً ما مع وصف شميدينغر والقشطيني لـ "الجيران المسلمين"، الذين قاموا حسب ادعاء الاثنين بحماية المواقع اليهودية في بغداد. وليفي مدرك للحقيقة بشكل مخالف لمجلة النيوزويك عندما يضيف: "الناس هنا يلومون اليهود على كل شيء". ولكن المقال لا يوضح ما يقصده ليفي فعلاً، لينتقل مباشرة إلى "عرض مختصر" للتاريخ الحديث ليهود العراق، أحد معالمه هي: "بعد الانتصار الباهر لإسرائيل في حرب 1967، ثم صعود الحكم المميت لصدام والاعدامات العلنية لصهاينة مفترضين، تقلص عدد الجالية اليهودية إلى المئات، ثم العشرات، واليوم بضعة أفراد معظمهم في السبعينات والثمانينات من عمرهم. ولا توجد امرأة واحدة ليتزوجها ليفي". عماد هو ابن عزرا ليفي، أحد اليهود الستة الذين قامت الوكالة اليهودية بنقلهم إلى إسرائيل. ويتبنى ليفي عملياً موقفاً وطنياً من العراق عندما يقول: "الناس هنا غاضبون جداً"، في إشارة إلى وعي العراقيين لدى المقارنة

---

(1) World War 3 Report)، 2003/5/12.

بين الاحتلال الأمريكي واحتلال إسرائيل لـ "أراض فلسطينية"، وأن هذا الموضوع مؤلم بشكل خاص. ويضيف: "لا يريد العراقيون أن يتحولوا إلى فلسطينيين". وبالرغم من مواقف ليفي الإيجابية، فإنه على ما يبدو لم يستطع تفادي التأثير الذي قد تكون مارسته الوكالة اليهودية عليه وربما قام بمغادرة العراق في وقت لاحق، بعدما باع بيته وممتلكاته الأخرى.

مراد أبو القنابل

أطلق على عملية إخراج العراقيين اليهود في بداية الخمسينات اسم "عملية عزرا ونحميا"، وقد نظمها الموساد، وعين مورديخاي بن-بورات، العراقي الأصل، ليقوم بتنفيذها. وقد وصف نوآم بن-يهودا[1]، أحد عملاء الموساد في قبرص، هذه العملية بأنها ربما مثلت "دون غيرها أعظم الإنجازات لاستخبارات دولتنا"[2]. ويعرف مورديخاي بن-بورات باسم "مراد أبو القنابل" من قبل العراقيين اليهود في إسرائيل، الذين يتهمونه بأنه كان وراء التفجيرات التي وقعت في بغداد أثناء تنفيذه لمهمته. وبمناسبة حصوله، في نيسان عام 2001، على "جائزة إسرائيل" لدوره "المفصلي" في "هجرة اليهود العراقيين إلى إسرائيل"[3] قام بسرد قصة حياته. ولد بن-بورات في بغداد عام 1923 وترعرع في الأعظمية، وكان أبوه نيسيم مراد يدير متجراً للخردوات وأجزاء حديدية لعربات كان يستوردها من إنجلترا. وبعد أحداث عام 1941، التي قتل فيها 130 يهودياً، قررت عائلته مغادرة العراق. وبعد أن حصلت على جوازات سفر مزورة استقلت، في شباط عام 1944، طائرة جومائية حطت على سطح البحر الميت. وبقي هو في العراق لينهي امتحانات المترك، وفي أيلول عام 1945 خرج مع ستة آخرين عبر "طريق أوصله إلى بيروت، ووصل إلى فلسطين سيراً على الأقدام". وبعد "حرب الاستقلال" وقع عليه الاختيار للعودة إلى العراق ومساعدة "اليهود، الذين كانوا يعانون من الاضطهاد والتعذيب من

---

(1) (*Noam Ben Yehuda*).

(2) (*WorldNetDaily*)، *2001/2/8*.

(3) المعلومات حول مورديخاي بن بورات من (*The Jerusalem Post*)، *2003/6/7*. أنظر أيضاً سيرة حياته في موقع الكنيست (*http://www.knesset.gov.il/mk/eng/exmk_eng.asp?ID=303*).

قــبل الشرطة". وانتظر شهراً في إيران وهو يحاول الحصول على جواز سفر مــزور، وفشلت المحاولة، فدخل العراق متنكراً كبدوي. وعلى الفور بدأ العمل مع الحركة السرية المعروفة باسم "حلوتس"، التي كان عضواً فيها قبل مغادرته العراق.

كانت مهمة بن-بورات عام 1950 تتلخص بـــ "مساعدة الصبيان والبنات، الذيــن يريدون عبور الحدود"، وفي السنة التالية أعتقل بن-بورات وعذب عدة مــرات، حسبما يقول، ولكن تم تهريبه من البلاد من جديد، هذا المرة في طائرة نقلت اليهود إلى إسرائيل. وبعد عودته طلب منه إنشاء مخيم مؤقت للمهاجرين، وســرعان مــا تحــول المخيم إلى مدينة، هي أور يهودا، وأقيمت على أنقاض القــرية الفلسطينية كفر عانة، شرقي يافا. وفي عام 1979 أرسله مناحيم بيغن، رئــيس الوزراء آنذاك، إلى إيران لــ "إنقاذ" اليهود هناك، وبقي في إيران ثلاثة أســابيع، بصــفته مبعوثاً لــ "مجلس الوكالة اليهودية"، و"نجح" بإخراج 2000 يهــودي، لكــن الــثورة وقعت، و"لم نتمكن، نحن الإسرائيليين، من الخروج"، فجاءت طائرة أمريكية وأخرجت هؤلاء مع أجانب آخرين من هولندة والولايات المتحدة.

العصا والجزرة

وفــي عــام 1982 عين بن-بورات وزيراً بلا حقيبة ليكون مسؤولاً عن إحضــار اليهود من البلدان العربية، وهي مهمة كانت تنجز "بمشاركة الموساد". كما عين رئيساً لــ "اللجنة الوزارية للاجئين العرب في المخيمات في إسرائيل"، وحيــنها ذهــب إلى بيغن وقال له: "أنظر، دعني أسألك شيئاً، مشاكل اللاجئين كبــيرة، وسيشــكل ذلك عائقاً في المستقبل. ما رأيك في أن نقوم بتطوير خطة تقضــي بــأن يــبقى اللاجــئون في بلدنا، إسرائيل والمناطق، ولكن ليس عبر الحــدود". فأجابه بيغن: "أنا موافق". وزار بن-بورات أربعة عشر مخيماً، دون أن يوضــح فيما إذا كانت هذه المخيمات في "إسرائيل" أو في "المناطق"، وكان بحوزتــه برنامج لتحسين أوضاع اللاجئين بتزويدهم بالسكن والمراكز الطبية، ولكن "العرب رفضوا ذلك"، وقالوا: "مورديخاي بن-بورات يريد بمبادرته إلغاء تــرابط الشــعب الفلســطيني". ويقول بن-بورات لو تحققت فكرته آنذاك، لــ "تحولــت سياسات إسرائيل في اتجاه آخر"، ويقصد، ضم الأراضي المحتلة إلى

إسرائيل. واليوم، هل نعطي الفلسطينيين دولة؟ بن-بورات ليس ضد الفكرة، ولكن بشروط. ويتذمر قائلاً: "لا أدري كم ستدوم الاتفاقيات التي أبرمناها مع البلدان العربية. ينبغي أن نثق بأنفسنا باستمرار، وأن نكون قادرين على الدفاع عن أنفسنا، لا نستطيع أن نعتمد على اتفاقية، خاصة مع العرب الذين لا يحترمون الاتفاقيات بين بعضهم". وهو، الذي يتكلم لغة الضاد، يفهم العقلية العربية: "كان بإمكاننا القيام باتصال مع العرب بشكل أفضل، نضرب عندما نحتاج لأن نضرب، أن نعطي الجزرة، ثم العصا. هذه هي العقلية العربية. ويؤسفني أنهم لم يفهموها هنا ... هم يعطون مرة العصا بدلاً من الجزرة، ومرة الجزرة بدلاً من العصا". وموشي دايان، الذي يشير إليه بن-بورات على أنه صديقه: "كان يعرف متى يعطي الجزرة ومتى يعطي العصا".

"أقنية مختلفة"

أثناء العدوان على العراق أخذ بن-بورات يتذكر حياة اليهود في العراق ويصفها على النحو التالي: "ما أتذكره أنا وجميع اليهود من بغداد هو نهر هاديغل [يقصد "نهر دجلة"]، وخاصة في الصيف عندما تنحسر مياه النهر لتظهر فجأة جزر في وسط النهر، كنا نسبح، وكانت هناك الموسيقى والسمك المشوي، إنها ذكريات سارة للغاية". لكن صفو هذه الحياة السعيدة تعكر فجأة عام 1941 "عندما قتل 141 يهودياً عراقياً، كان هذا كالزلزال لليهود العراقيين ...". ويضيف أنه كانت هناك موجتان من "شنق اليهود بتهم ملفقة كالصهيونية والشيوعية، وذلك عام 1969 عندما كان السفاح صدام حسين نائبا للرئيس". وعندما سئل إذا كان يتعاطف مع الأمريكيين في عملية "تحرير العراق"، قال: "نعم، بكل تأكيد. انظروا، هناك حوالي 250 ألف يهودي عراقي في إسرائيل (و 50 ألف في العالم)، إن حوالي 30% منهم ولدوا في العراق، لهذا فهم يشفقون على الناس هناك ويفهمون الاضطهاد الذي يتعرضون له". ويقول أنه يأمل أن "يرحب عرب العراق بالزوار اليهود"[1]. ظل بن-بورات منخرطاً في إخراج ما تبقى من يهود في العراق حتى عام 2001، فقد ذكرت وكالة "ورلد نيت دايلي" للأنباء أنه "برع منذ عام 1995 في إخراج اليهود المتبقين في العراق وإعادتهم

---

[1] (Arutz Sheva)، حسب موقع (Vineyard of the L-rd Congregation). أنظر (Associated Press، 2003/4/4 بمناسبة إجراء مهرجان للموسيقى العراقية في طبريا.

[كـذا!] إلـى إسـرائيل، وهم حوالي 160. ومعظم هؤلاء ذهبوا إلى بريطانيا وهولـندة. وقـد تمـت رشـوة مسؤولي الحدود العراقيين حتى يسمحوا لليهود بالعـبور إلـى الأردن"[1]. ولم تنعدم صلاته الوثيقة مع جهات معينة حتى عام 2003، فقـد قـال في شهر آذار متحدثاً عن اليهود الذين بقوا في العراق: "لا ينقصهم الطعام، إنهم يزاولون أعمالهم ويحصلون رزقهم ... وعلى مدى السنين كـنا نتلقى معلومات متفرقة حول أوضاعهم من خلال أقنية مختلفة، لا يمكن لنا الكشف عنها لأسباب واضحة"[2].

المجدل

الصـورة، التي يعكسها مورديخاي بن-بورات والأدبيات الصهيونية حول خـروج يهـود العـراق من بلدهـم لا تنسجم مع الدور الذي لعبته المخابرات الصهيونية، التي لجأت إلى وسائل إرهابية لدفع اليهود إلى ترك البلدان العربية. وقد كشف كتاب عديدون عن هذا الدور[3]، من بينهم نعيم غيلادي، وهو يهودي عراقـي لم يعاصر أحداث خروج اليهود من العراق فحسب، بل ساهم هو نفسه في البداية في مخططات الصهيونية وممارساتها لتحقيق هذا الهدف[4]. ولد نعيم غـيلادي في الحلة عام 1929، وكان اسم عائلته خلاصي في إشارة إلى مهنة العائلـة في صياغة الذهب. انخرط غيلادي في حركة صهيونية سرية وهو في الثامنة عشرة من عمره، أي عام 1947، وسرعان ما ألقي القبض عليه وسجن فـي معـتقل أبو غريب، ولكنه تمكن من الهرب عام 1949 إلى إيران ووصل إلى إسرائيل في أيار 1950. وبعد تجربة سلبية في أحد الكيبوتسات في الشمال عمل غيلادي في مكتب "الحاكم العسكري" في المجدل، وأثناء ذلك اكتشف كيف طـرد الفلسـطينيون مـن وطـنهم. فقد كان عليه أن يوزع على سكان القرية الفلسـطينية اسـتمارات، مكـتوبة بالعبرية والعربية، موجهة إلى مفتشي الأمم

---

(1) *(WorldNetDaily)*، *2001/2/8*.

(2) *(Yediot Ahronot)*، *2003/3/29*. *أعـادت نشـره "كيريـن هايسـود" (Keren Hayesod - Solidarity Update)*، *رقم 223*، *2003/4/3*.

(3) *القائمـة طويلـة، نذكر منها: دافيد هيرست (David Hirst)؛ ماريون وولفسون (Marion Wolfson)، أوري أفنيري (Uri Avnery)*.

(4) *المعلومـات حول نعيم غلادي من مقال لـه نشر في (The Link)، مجلد 2/31، نيسان – أيار 1998*.

المتحدة يطلب فيها موقعها أن ينقل "بكامل إرادته" إلى قطاع غزة. ومع الضغط الإسرائيلي يجد الفلسطيني نفسه مضطراً إلى التوقيع، ومن لم يوقع "اخذ بالقوة ووضع في شاحنات ألقت به في غزة"، وعلى هذا النحو طرد حوالي أربعة آلاف فلسطيني من المجدل. ويقول غيلادي حول طرد الفلسطينيين: "في حرب عام 1948 كانت القوات اليهودية تفرغ القرى العربية، بالتهديد في كثير من الأحيان، وأحياناً، ببساطة، بقتل نصف دزينة من السكان ليكونوا عبرة للبقية. وللتأكد من أن السكان لن يعودوا إلى قراهم كان الإسرائيليون يسممون الآبار ببكتيريا التيفوئيد والديزنطاريا". ويدعم قوله هذا بما ذكره أوري مايلشتين[1]، المؤرخ الرسمي للجيش الإسرائيلي.

"أنا عراقي"

لم يتمكن غيلادي من التأقلم مع الحياة في فلسطين بسبب التمييز العنصري الذي كان يتعرض له كيهودي شرقي، وبدأ يدرك أن "أن السبب الرئيسي لاهتمام الصهاينة باليهود من الدول الإسلامية كان للحصول على عمالة رخيصة، وبشكل خاص في الأراضي التي طرد منها الفلسطينيون بالآلاف". وأخذ يشارك في نشاطات سياسية مناهضة للسياسات العنصرية في إسرائيل، فشارك في حركة "الفهود السود"، المناهضة للصهيونية والعنصرية. وفي عام 1982، بعد اجتياح لبنان، هاجر إلى الولايات المتحدة وتخلى عن الجنسية الإسرائيلية. وفي أمريكا أكمل العمل على كتابه "فضائح بن-غوريون: كيف قضيت الهاغاناه والموساد على اليهود"[2]. وكشف غيلادي في الكتاب عن الدور البريطاني والصهيوني في العراق، ابتداء من الأربعينات، لدفع اليهود إلى مغادرة البلاد، وعرض فيه تجربته الشخصية في إسرائيل وآراؤه بالصهيونية وأهدافها في استعمار فلسطين. غيلادي يعيش في مدينة نيويورك، وعن نفسه يقول: "أنا عراقي، ولدت في العراق، ثقافتي ما زالت عربية، دياتني يهودية، مواطنتي أمريكية".

---

(1) (Uri Mileshtin).

(2) *Naeim Giladi,* Ben Gurion's Scandals: How the Haganah & Mossad eliminated Jews. *Flushing, N. Y.: Glilit Publishing Co., 1992.*

المخابرات الصهيونية

يشير غيلادي في كتابه إلى أن اضطرابات عام 1941، التي أدت إلى مقتل اليهود، افتعلها البريطانيون بالتعاون مع القيادة العراقية الموالية لهم. ويلاحظ أن هذه الأحداث قد حصلت في الأول من حزيران واستمرت في اليوم التالي، أي بعد يومين من سقوط بغداد وهروب رشيد عالي الكيلاني إلى إيران. ويرى أن دور البريطانيين لم يقتصر علي اختلاق مبرر لدخولهم بغداد و"إعادة الهدوء والنظام"، بل قدم أيضاً مبرراً لتنظيم حركات صهيونية سرية في العراق، بداية في بغداد، على أن تمتد فيما بعد وتشمل المدن الأخرى. ويروي أن تفجيرات عامي 1950 و1951 في بغداد قام بها عملاء المخابرات الصهيونية لدفع اليهود إلى مغادرة العراق، ويشير بشكل خاص إلى دور بن-بورات في هذه التفجيرات. ويذكر أنه كان قد قابل في نيويورك عام 1988 فيلبور كراين إيفيلاند[1]، الذي كان يشغل منصباً كبيراً في "وكالة الاستخبارات المركزية" الأمريكية، وأنه أوضح له أن الشرطة العراقية زودت السفارة الأمريكية آنذاك بدلائل تؤكد أن التفجيرات في الكنس ومكتبة "مركز الخدمات الإعلامية الأمريكية" في بغداد، بالإضافة إلى المظاهرات والمنشورات المعادية لليهود والأمريكيين، قامت بها منظمة صهيونية سرية. ويعرض غيلادي في كتابه معلومات حول علاقة الصهيونيين بالتفجيرات لا يقدمها إيفيلاند. كما يشير إلى دور العملاء الصهيونيين، ومن بينهم بن-بورات، في دفع الحكومة العراقية نحو صياغة قانون جديد يسمح برفع الجنسية عن العراقيين اليهود إذا غادروا العراق لأكثر من ثلاثة أشهر، وقد شرع هذا القانون آذار عام 1950، ليبدأ بعدها مسلسل التفجيرات.

ما قالته ملفات الموساد

ما يلفت النظر في اتهام الموساد بتدبير تفجيرات بغداد هو أن اليهود العراقيين كانوا يعتقدون به ويكررونه باستمرار. وهو ما دفع الكاتب الإسرائيلي توم سيغيف إلى التساؤل كيف ظهرت أصلاً "إشاعة" من هذا النوع، و"إنه من

[1] (Wilbur Crane Eveland). أنظر كتابه Ropes of Sand: America's Failure in the Middle East. *London/New York: W. W. Norton, 1980*.

الواضح أنه يمكن التفكير بهذه الإمكانية". ويذكر سيغيف، الذي اطلع على ملفات الموساد، أنه في الرابع عشر من كانون الثاني 1951 حوالي الساعة السابعة مساء ألقيت قنبلة في باحة كنيس "مسعودة شيمتوف"[1] في بغداد، التي تجمع فيها مئات اليهود قبل الذهاب إلى المطار، وقتل أربعة يهود وجرح عشرون. ولم يكن هذا الاعتداء الأول من نوعه، ولكنه الأسوأ، حسب سيغيف، لأنه "جاء ليدعم جزئياً الإشاعة التي كانت تتردد بين أوساط اليهود من أن التفجيرات قام بها عملاء إسرائيليون". وفي عام 1981 رفع بن-بورات دعوى ضد الصحفي باراه نادل[2]، الذي أشار إلى الإشاعة وإلى تورط بن-بورات في الموضوع. وبعد مداولات طويلة سويت القضية بدون إدانة بعد أن أعتذر الصحفي المذكور معلناً أنه "تأثر بالتقارير الخبيثة للحكومة العراقية". وكان قرار المحكمة متوافقاً مع الموقف الرسمي للحكومة: "العملاء الإسرائيليون كانوا يعملون هناك، سواء تم ارسالهم من إسرائيل أو كانوا ناشطين محليين في العراق". وكذلك يذكر القرار أن الهجرة اليهودية من العراق جاءت نتيجة "تطلعات يهود العراق نحو الأرض المقدسة، وبسبب الاضطهاد غير المحتمل من قبل السلطات العراقية التي قامت بمطاردة اليهود وسجنهم وشنقهم". ويذكر سيغيف أن موضوع التفجيرات بقي "لغزاً" لم يعرف من قام به ولماذا. وعندما فتحت وثائق الموساد أمام الباحثين، كان من ضمنها مراسلات بين العملاء في بغداد ورؤسائهم في تل أبيب تتعلق بالتفجير المذكور، ولكن البرقيات المتبادلة بين الطرفين "يبدو أنها تؤكد أن أحداً منهما لم يكن يعرف من يقف وراء الهجوم".

"عملية عزرا ونحميا"

الأهم من موضوع التفجيرات، التي من الواضح أنه لا يمكن تقديم دليل مادي عليها، هو خلفية "عملية عزرا ونحميا" التي نظمها الموساد لإخراج اليهود من العراق. فالكاتب سيغيف يدرجها كمثال نموذجي على الكثير من حالات خروج اليهود من بلدان عربية أخرى. ويشير إلى أن خروج اليهود من العراق حصل في بداية الخمسينات وبشكل محدود عندما قرر البرلمان العراقي بالسماح

---

[1] (Mas'oudah Shemtov).
[2] (Barah Nadel).

للـــيهود بالمغـــادرة. وعنى هذا الأمر عملياً طرد اليهود وإجبارهم على الرحيل ومصـــادرة ممـــتلكاتهم. غير أنه وبالاعتماد على مصادر مختلفة، بما في ذلك تقاريـــر لدائرة الهجرة التابعة للموساد، يرى أن خطوة البرلمان العراقي جاءت جزئـــياً كرد فعل على نشاطات الحركة الصهيونية في العراق، مدعومة بعملاء الموســـاد، الذيـــن هـــرّبوا الـــيهود عبر الحدود مع إيران. ويشير أيضاً إلى أن برقـــيات الموســـاد المرســـلة من العراق تعج بتقارير حول اضطهاد اليهود في العـــراق، ولكـــن "كلهـــا تقريباً تشير إلى يهودٍ انخرطوا في النشاط الصهيوني السري".

وبـــرأي الكاتـــب الإسرائيلي تعود خلفية خطوة البرلمان العراقي إلى آذار عام 1949 عندما ترددت أنباء عن شنق سبع يهود عراقيين، لتجتاح موجة من الاحتجاجات الرأي العام الإسرائيلي وصلت إلى منابر الكنيست. غير أن عملاء الموساد في العراق أبرقوا بأن "لا شيء صحيح في التقرير الذي يقول أن يهودا أعدمـــوا بـــتهمة الصهيونية. البعض حكم عليهم بالموت، ولكن هؤلاء أصبحوا خـــارج الـــبلاد. وحوكم الكثيرون، ولكن معظمهم بسبب رسائل كانوا يرسلونها إلـــى إسرائيل". وبالرغم من ذلك أطلق رؤساء مكتب الهجرة في الموساد حملة عالمـــية ضد العراق من أجل تسريع سن التشريع الذي يسمح بهجرة اليهود من العراق، وشملت الحملة تحركات عديدة كان من بينها:

- بيان لوزير الخارجية الإسرائيلي في لقاء خاص مع المراسلين الأجانب.
- التحريض في الصحافة الدولية.
- محـــاولات لتعطـــيل قرض كان العراق يحاول الحصول عليه من البنك الدولي.
- الضـــغط والتشـــويش على مندوب العراق في الأمم المتحدة، بما في ذلك تنظـــيم مظاهـــرات واحتجاجات ضده كلما دخل وخرج من مبنى الأمم المتحدة.
- "تلميح رسمي" بأن إسرائيل قد تنشئ حركة سرية ضد نوري السعيد.
- رســـائل رســـمية إلـــى ســـفراء الولايات المتحدة، بريطانيا، وفرنسا في إســـرائيل تشـــير إلـــى أن الـــيهود العراقيين الموجودين في إسرائيل قد يفجرون غضبهم ضد "العرب في إسرائيل".

وقــبل موافقة البرلمان العراقي بفترة قصيرة استلم مكتب الموساد في تل أبيب برقية من بغداد يقول مرسلوها: "نحن نقوم بنشاطنا العادي لتمرير القانون بسرعة، ولمعرفة اقتراح الحكومة العراقية لعملية التنفيذ"[1]، وهو ما يتفق مع ما كتــبه غيلادي، ويشير إلى الوضع الصعب للحكومة العراقية والضغوط الشديدة التي كانت تتعرض إليها.

■■■

(1) *Tom Segev,* 1949: The First Israelis. *London/New York: The Free Press/Collier Macmillan Publishers, 1986*، ص ص *165-167*.

التراث اليهودي العراقي

"اليهود من جميع أنحاء البلاد سيؤمون ضريح حزقيال (في العراق) ليصلوا ويحصلوا على البركات وقد يمكثون مؤقتاً في المنطقة".

أفنر أرازي، مسؤول في وزارة الخارجية الإسرائيلية

كـان نهـب التراث الحضاري العراقي أحد نتائج العدوان الأمريكي على العـراق، ولـم يـنج التراث اليهودي العراقي، الذي كان محط اهتمام أطراف يهودية وإسرائيلية. "المؤتمر الوطني العراقي"، الذي أقام علاقات مع المنظمات الـيهودية الأمريكـية، وخاصة جينسا، ساهم في عملية العثور على محفوظات يهوديـة عراقـية كانـت موجودة في مقر المخابرات العراقية. وقد نفذ العملية "فـريق ميـت–ألفا" الأمريكي وهي مجموعة خاصة شكلت للبحث عن "أسلحة الدمار الشامل" العراقية. ومنذ البداية تسربت أنباء عن نقل هذه المحفوظات إلى إسـرائيل، وفـيما بعـد ذكر أنها ستنقل إلى الولايات المتحدة ووضعت خطط لعرضـها هـناك. وقـد أرسـل خبراء ترميم إلى بغداد لحفظ المواد اليهودية والتحضـير لعملية النقل، التي نفذت بعناية زائدة. وقد أخرجت المحفوظات من العـراق بـناء علـى "رخصة استيراد" أمريكية، وهو ما يتعارض مع القوانين الدولـية الخاصة بالممتلكات الثقافية، ويشكل تجاوزا واضحا للقوانين العراقية. إن المـواد التراثية اليهودية تخرج اليوم من العراق "بشكل رسمي"، بعد أن كان يـتم تهريـبها في الماضي بالتعاون مع المخابرات الإسرائيلية. إلى جانب ذلك، أخرجـت مـن مـرقد ذي الكفل ألواح حجرية عليها نقش عبري، يفترض أنها كانت قائمة حول الضريح، ولا يحدد تاريخ هذه الألواح ولا كيف دخلت المرقد أصـلاً، ولـيس هـناك توضيح لعلاقة المرقد بحزقيال، الذي يعود تاريخه إلى القرن السادس ق. م. لكن "فريق ميت–ألفا" يعيد "افتتاح" المرقد بضجة إعلامية شـارك فيها مراسل صحيفة معاريف الإسرائيلية. إن التركيز على هذا الضريح ومقامـات أخـرى فـي العراق، والادعاء بأنها يهودية، يكشف عن جانب من النشـاط الاسـتعماري لا يختلف عما جرى في فلسطين على مستوى واسع منذ منتصـف القـرن التاسـع عشر، لتغيير المشهد الحضاري الفلسطيني وما زال مستمراً حتى أيامنا هذه.

"لا يمكن ترك التلمود"

مـن المؤكـد أن السلطات الإسرائيلية علمت بوجود "محفوظات الجماعة

اليهودية" مباشرة بعد العثور عليها في شهر أيار، إن لم تكن هذه السلطات نفسها وراء "البحث عن أقدم تلمود في العالم" ... في مقر المخابرات العراقية. وتعود قصة[1] البحث عن التلمود إلى بداية أيار 2003 عندما قامت مجموعة من الجنود الأمريكيين من "فريق ميت –ألفا"[2]، الذي كان يبحث عن "أسلحة الدمار الشامل"، برفقة أعضاء من "المؤتمر الوطني العراقي"، بالدخول إلى مقر المخابرات العراقية الذي تعرض للقصف في آذار. وكان مسؤول سابق في المخابرات العراقية يعمل مع "المؤتمر الوطني العراقي"[3] قد أبلغهم بوجود نسخة التلمود في مقر المخابرات، وقام المؤتمر بنقل هذه المعلومات إلى الفريق الأمريكي. وأبدى هذا المسؤول استعداده للمساعدة بالكشف عن مكان النسخة التلمودية. "فريق ميت-ألفا" كان متردداً بادئ الأمر في المشاركة في البحث، لأن مهمته تنحصر في "إثبات وجود أسلحة غير تقليدية، وليس إنقاذ الكنوز الحضارية والدينية". غير أن الكولونيل ريتشارد ماكفي[4]، قائد الفريق، قرر "أن التلمود التاريخي قيم جداً ولا يمكن تركه". فشكل فريقا يتألف من 16 عنصراً من فريق ميت –ألفا، أعضاء من "المؤتمر الوطني العراقي"، مسؤولين من "مكتب إعادة الاعمار والشؤون الإنسانية" التابع لـ "سلطة الائتلاف المؤقتة"، وقسيس "ميت-ألفا"، "الذي أبدى اهتماماً بالغاً بالكتب الدينية"، بالإضافة إلى جوديث ميلر من النيويورك تايمز وصحافي من "معاريف"[5].

جندي أمريكي غيور

في السابع من أيار، انطلقت القافلة من "نادي الصيد العراقي"، الذي يبدو أن فريق ميت-ألفا قد اتخذه مقراً له، وكانت تتألف من سبع عربات. وعندما وصلت إلى مقر المخابرات فوجئت بأن "الجزء الذي كان من المفترض أن يحتوي على النسخة المقدسة، كان غارقاً في مياه نتنة تطفو

---

(1) المعلومات حسب "جوديث ميلر"، (*New York Times*)، 2003/5/8؛ 2003/5/9 و"ديبي بيرمان" في (*Israelinsider*)، 2003/5/8، التي تذكر معلومات اضافية لمقال ميلر الأول استمدتها من صحيفة معاريف الإسرائيلية.

(2) *Mobile Exploitation Team Alpha (MET Alpha)*.

(3) أشرنا أكثر من مرة إلى علاقة "المؤتمر الوطني العراقي" بالمنظمات اليهودية الأمريكية.

(4) (*Richard McPhee*).

(5) ديبي بيرمان في (*Israelinsider*)، 2003/5/8.

فوق سطحها جثث حيوانات". وبالرغم من الرائحة النفاذة غطس في المياه الآسنة كل من "قائد فريق ميت–ألفا، الضابط المفوض ريتشارد ل. غونزاليس، وعنصرين من فريق ميت–ألفا، في حين كان القسيس المرافق يهز رأسه بدهشة". وفي القبو، عثرت المجموعة على "مئات الكتب الغارقة في مياه آسنة". وتمكنت من إنقاذ ثلاث رزم من الكتب تضم كتبا دينية يهودية، من بينها نسخة عادية للتلمود مطبوعة في فيلنا، ليتوانيا، تعود إلى القرن التاسع عشر، ودفاتر حسابات للمجموعة اليهودية في بغداد بين الأعوام 1949–1953 وعشرات من الكتب الحديثة بالعربية والعبرية، من بينها "جنرالات إسرائيل" لموشي بن–شاؤول، "مذكرات بن–غوريون"، "الساميون وعداء السامية" لبرنارد لويس. أحد الجنود الأمريكيين الذين شاركوا في عملية البحث عن التلمود، ملأته مشاعر الحزن عندما رأى في إحدى غرف القبو "الكتب المقدسة لليهودية وأدواتها الطقوسية عائمة في المياه". ويوضح هذا الجندي الغيور على المصالح اليهودية: "تألمت جداً عندما رأيت بعض الكتب ممزقة وتالفة. أنا لست يهودياً، ولكن هذا المنظر أحزنني للغاية. يبدو أن العراقيين كانوا يعملون جاهدين على دراسة اليهودية، ليوظفوا هذه الأبحاث في المعركة ضد إسرائيل".

"الدائرة الفلسطينية – الإسرائيلية"

لم يعثر على"أقدم نسخة للتلمود من القرن السابع"، ولكن بقي هناك بصيص من الأمل بالعثور عليها، حسب غونزاليس، الذي أشار إلى أن هذه النسخة قد تكون في أسفل قبو المخابرات الغارق بالمياه. وما يدعم ذلك هو العثور على صندوق خشبي عليه كتابة عبرية، قال المسؤول السابق في المخابرات العراقية أنه ربما كان يحتوي على التلمود المنشود. ولكن الحملة لم تكن مضيعة للوقت، وبالأخص لـ "فريق ميت–ألفا"، الذي كانت تهمه "أسلحة الدمار الشامل". إذ "عثر" في المقر على "وثائق مخابراتية" في "الدائرة الفلسطينية – الإسرائيلية"، وملأت هذه الوثائق شاحنة بأكملها ونقلت إلى "وكالة المخابرات العسكرية"[1] لتحليل محتواها. ومن بين الوثائق، التي عثر عليها: "خرائط توضح ضربات إرهابية ضد إسرائيل من

(1) *(Defense Intelligence Agency)*.

عـــام 1991"، وخارطة أخرى "حددت فيها، بواسطـــة زهور مصنوعة من الـــورق الأصفر والأحمر، المواقع التي ظن العراقيون إن صواريخ السكود قـــد أصـــابتها". ووجـــد فريق ميت – ألفا مجسمات "مفصلة بدقة" للكنيست، المركـــز التجاري في القدس، ومجسمات لمبانٍ رسمية إسرائيلية، بالإضافة إلى "صورة بالأقمار الصناعية لمفاعل ديمونا"، و"مانيكان لامرأة ترتدي بزة ســـلاح الجـــو الإسرائيلي تقف أمام قائمة بالشعارات والرتب لضباط الجيش الإسرائيلي".

"سري للغاية"

ولكـــن "الأهم من ذلك" هو وثيقة عثر عليها في طابق آخر كتب عليها "ســـري للغايـــة" تحمـــل تـــاريخ العشرين من أيار 2001. المذكرة مكتوبة بالعربـــية، وقـــد أرسلها مسؤول عن "محطة" للمخابرات العراقية في دولة أفريقية وتصف عرضاً من قبل "محارب مقدس" لبيع اليورانيوم ومواد نووية أخـــرى، وتشـــير إلى أن العرض قد رفض بالنظر إلى "العقوبات الراهنة" المفروضـــة مـــن قـــبل الأمم المتحدة. غير أن المسؤول يذكر رغبة البائع بالمســـاعدة في الوقت المناسب. وأشار ضباط أمريكيون إلى أن المادة التي عثر عليها "فريق ميت–ألفا" "هامة" ولكنها "لا تقدم دليلاً حول علاقة مباشرة بين العراق وهجمات إرهابية على إسرائيل"، حسب النيويورك تايمز. وبناء علـــى مصـــدر آخـــر عـــثر على مجسم لمستشفى إخيلوف في تل أبيب[1]. والسؤال هو كيف أمكن تحديد هوية هذا المجسم وغيره من المجسمات إن لم يضـــم الفـــريق إســـرائيليين! ومهمـــا كـــان الأمر فإن مصادر من الجيش الإســـرائيلي "عـــبرت عن أملها بأن تسمح القوات الأمريكية بمعاينة المادة بشـــكل أدق. وتقـــدر هـــذه المصـــادر أن صورة المفاعل لم تلتقط من قبل العراقيـــن بشـــكل مباشر، وتقول أن نشاط المخابرات العراقية في إسرائيل كان متدنيا في الآونة الأخيرة".

ترميم مواد يهودية

فـــي بغـــداد، أصـــبحت موظفـــة أمريكـــية لم يذكر أسمها "مسؤولة" عن

---

(1) ديبي بيرمان"، (Israelinsider)، 2003/5/8.

"المحفوظات"، وهي من أقترح على جيف كاي من الوكالة اليهودية لدى وجوده في بغداد في حزيران نقل هذه المواد إلى إسرائيل. وقد تمكن كاي وراتشيل زيلون من "جمعية معونة المهاجرين العبريين" من معاينة المحفوظات[1]. في البداية كان الانطباع أن المادة الخاصة باليهود العراقيين لم تكن ذات أهمية كبيرة، فالغرض الأصلي من الحملة على مقر المخابرات كان العثور على أقدم نسخة من التلمود في العالم، ولكن بعد فحص أولي للمادة، يفترض أن أمريكيين قاموا بها، تبين أنها تغطي فترة تمتد من القرن السادس عشر حتى اليوم: "لفافات توراة، التشريع اليهودي، وكتب أطفال، كلها مطبوعة بالعبرية". ومن القطع النادرة، مجلد من "الكتاب المقدس الرابيني الثالث" نشر في البندقية عام 1568 ونسخة من "بركة إبراهيم"، وهو تعليق على التوراة، يحمل تاريخ 1696 وطبع أيضاً في البندقية. وهناك أيضاً وثائق بالعربية تتعلق باليهود العراقيين، وتقارير حول الجماعة اليهودية في العراق. وينعكس الاهتمام الشديد للمسؤولين الأمريكيين بهذه المسألة في حضور مرممين إلى بغداد في شهر حزيران لمعاينة المواد التي تضررت بفعل المياه الآسنة في قبو مقر المخابرات، أي عملياً بسبب القصف الذي تعرض له هذا المقر أثناء الحرب في آذار. وفي حين لم يُسمع عن أي جهود بذلتها أطراف رسمية أمريكية لترميم المحفوظات الوطنية العراقية، فقد عين جون كونستانس[2]، وهو مسؤول من "المحفوظات الوطنية" الأمريكية، لمتابعة ترميم المواد اليهودية. وضعت هذه المواد في 27 صندوقاً معدنياً، وجرى خفض حرارتها إلى درجة التجمد لمنع انتشار الفطريات التي قد تؤدي إلى تعفنها. ولهذا لم يكن هناك جرد للمواد بشكل دقيق أثناء وجودها في بغداد، على أن يتم ذلك بعد الانتهاء من عملية الترميم، التي ذكر أنها ستجرى في الولايات المتحدة. واقتراح "المسؤولة" الأمريكية نقل مواد تخص الجماعة اليهودية العراقية إلى إسرائيل ليس إلا عرضاً لسرقة وثائق تخص الشعب العراقي، يضاف إلى عمليات النهب الواسعة التي طالت التراث العراقي بعد الغزو الأمريكي البريطاني. ويبدو أن خطط نقل هذه المادة إلى إسرائيل تغيرت نوعاً ما مع نهاية آب، في حين ظل موضوع إخراجها من

---

(1) *(Jewish Telegraphic Agency)*، *2003/6/24*. أنظر أعلاه ص ص ..

(2) *(John Constance)*.

العراق ثابتاً[1]. إذ أصدرت وزارة الخارجية الأمريكية تصريحاً بـ "استيراد" المواد إلى الولايات المتحدة، نشر في السجل الفدرالي. وصرحت نينا بيشوب[2] أن "هذه أول مواد ثقافية تصل إلى الولايات المتحدة في فترة ما بعد النزاع".

رخصة استيراد

"المحفوظات" اليهودية هي ممتلكات ثقافية عراقية وينطبق عليها "مرسوم تنفيذ ميثاق الممتلكات الثقافية"[3] لعام 1987، وهو ما سمح للولايات المتحدة بالمشاركة في ميثاق اليونيسكو الخاص بـ "وسائل تحريم ومنع أعمال الاستيراد والتصدير ونقل ملكية الممتلكات الثقافية"[4] لعام 1970. ولم يعرف ما إذا كانت "رخصة الاستيراد" تتضمن أي إشارة إلى "إعادة تصدير" هذه الممتلكات الثقافية إلى العراق، علماً بأن خطة وضعت لعرض هذه الممتلكات في الولايات المتحدة بعد ترميمها. وأصبح من الواضح بعد هذه السابقة أن النقاش حول تصدير أو استيراد الممتلكات الثقافية العراقية، الذي أثير بعد عمليات النهب الواسعة للتراث العراقي وتورط فيها جماعات تمثل مصالح تجار التحف القديمة، كان مبرراً بالكامل. وهو ما دفع النائبان فيل إنغلش وجيمس ليتش حينها إلى تقديم مشروع "مرسوم حماية التراث الحضاري للعراق"[5] إلى

---

(1) حول موضوع ترميم المادة الخاصة بالجماعة اليهودية في العراق ونقلها إلى الولايات المتحدة أنظر (Agence France-Presse)، 2003/8/21.

(2) (Nina Bishop)، الناطقة باسم "مكتب الشؤون الثقافية والحضارية" (Bureau of Educational and Cultural Affairs) التابع لوزارة الخارجية.

(3) (Convention on Cultural Property Implementation Act).

(4) (Convention on the Means of Prohibiting and Preventing the Illicit Import, Export, and Transfer of Ownership of Cultural Property).

(5) أنظر (Archaeology Online)، 2003/6/27. حول نص مشروع (Iraq Cultural Heritage Protection Act) (H. R. 2009)، 2003/5/14، أنظر (http://frwebgate.access.gpo.gov/cgi-bin/getdoc.cgi?dbname=108_cong_bills&docid=f:h2009ih.txt.pdf). يختلف هذا المشروع عن مشروع قانون (S. 1291) الذي قدمه عضوا مجلس الشيوخ، غراسلي (Grassley)، رئيس اللجنة المالية للمجلس، والديموقراطي باوكوس (Baucus)، تحت عنوان "مرسوم الحماية الطارئة للآثار الحضارية العراقية لعام 2003" (Emergency Protection for Iraqi Cultural Antiquities Act of 2003).

مجلس النواب، وفيه بعض التعديلات لـ "مرسوم تنفيذ ميثاق الممتلكات الثقافية". وقد جاء إصدار "رخصة الاستيراد" نتيجة "حساسية واشنطن بعدما ساد الاعتقاد بأنها لم تقم بحماية التحف العراقية من اللصوص بالشكل المناسب بعد سقوط حكومة صدام"، حسبما ما جاء في تقرير وكالة الأنباء الفرنسية. وقد بررت باتريشيا هاريسون[1]، مساعدة وزير الخارجية للشؤون التربوية والثقافية، إصدار "شهادة الاستيراد" بقولها بأن للمادة "أهمية ثقافية". وفي هذا تفاد للتصريح بشكل واضح أن المواد المعنية هي "ممتلكات ثقافية عراقية" ينطبق عليها "مرسوم تنفيذ ميثاق الممتلكات الثقافية" لعام 1987. وما حصل يتعارض مع القوانين العراقية التي تمنع إخراج أي قطع تراثية، وهو أيضاً لا يمكن تبريره في ظل غياب السيادة العراقية.

"مصلحة قومية"

هناك جانب آخر لهذه القضية لا يقل أهمية عن الحيثيات القانونية، وهو أن تفادي اعتبار المجفوظات اليهودية ممتلكات ثقافية عراقية قد يعني أنها ملك اليهود، بما في ذلك القبول الشاذ بما رسخته الصهيونية منذ بداياتها من أن اليهود يمثلون شعباً، وما يتبع ذلك من قبول "إسرائيل" كـ "دولة يهودية"، وهو ما وجد له مؤخراً تأكيداً خارج إسرائيل على أعلى المستويات، كما ورد في خطاب الرئيس الأمريكي جورج بوش في مدينة العقبة في الرابع من حزيران 2003. ولا مفر من الشك بأن الاقتراح الأصلي بنقل المواد الخاصة بالجماعة اليهودية إلى إسرائيل ما زال قائماً، وخاصة في ضوء الاهتمام الشديد الذي أبدته السلطات الأمريكية بهذه المواد، بالإضافة إلى أن الموضوع طرح من الجانب الإسرائيلي أمام رئيس الوزراء، أرييل شارون، كما هو واضح من تصريحات جيف كاي، المسؤول الكبير في الوكالة اليهودية. هذه العلاقة الحميمة بين الولايات المتحدة وإسرائيل، التي لا تفرق بين الاثنتين، تجد ما يؤكدها فيما قالته هاريسون في "السجل الفدرالي" بالحرف الواحد: "أقرر أيضاً أن العرض المؤقت [للمواد اليهودية العراقية] من قبل إدارة المحفوظات والسجلات الأمريكية، أو أي مؤسسة ثقافية أو تربوية أخرى، هو مصلحة قومية".

---

(1) (Patricia Harrison).

"العميل الجيد"

محـــاولات إخراج التراث اليهودي العراقي من العراق ونقله إلى إسرائيل ليســت جديــدة. ففي عام 2001 ترددت أنباء عن قيام الموساد بتهريب حوالي ثلاثيــن لفافة توراة من العراق. وقد أعلن عن وجود هذه اللفافات في إسرائيل يسرائيل ماير لاو[1]، الجاخام الأعظم في إسرائيل، الذي كان يستخدم أحدها في قــداس أقيم في مدينة العفولة[2]. وقد صرح لاو لوسائل الإعلام أن "أحد أجهزة المخابرات" كان مسؤولاً عن عملية التهريب. وقد جلب اليهود العراقيون حوالي 390-405 لفافــات تــوراة معهــم عــندما حضــروا إلى إسرائيل في بداية الخمســينات، فــي حيــن أبقوا حوالي 40-50 لفافة في مكان سري في بغداد. وحســب الصــنداي تايمز أكتشف صدام حسين هذا المخبأ بينما كان "يبحث هو نفســه عــن مخــبأ لأسلحة الدمار الشامل، ما دفع عملاء الموساد إلى الشروع بــالعمل لإنقــاذ مــا تــبقى من المخطوطات". وهكذا بدأت العملية بعد أن علم الموســاد أن الرئيس العراقي في اجتماع لـــه مع "ضباطه" أعلموه بالعثور على اللفافــات، فقــال لهم: "احرقوها". وقام "عملاء الموساد في كردستان، استنبول، وأنقــرة برشــوة ضباط عراقيين لإخراج اللفافات إلى الأردن، وفي عمان قام رجــال المخابــرات الإسرائيلية بتسديد ثمن اللفافات إلى رجال أعمال عراقيين وفلســطينيين". وفــي إســرائيل وزعت اللفافات على كنس مختلفة لمراجعتها، حســب "وزارة الشــؤون الدينية" الإسرائيلية. ويقول نوآم بن-يهودا، هو عميل مخابرات إسرائيلي في قبرص: "عملية التهريب كانت مهمة بالنسبة للمخابرات. أن تكــون يهودياً جيداً أمر مهم بالنسبة لنا بقدر أن تكون عميلاً جيداً"[3]. الأنباء حــول لفافات التوراة خدمت آلة الدعاية الإسرائيلية، التي أحد عناصرها إبراز الحــرص الفريد على المصلحة اليهودية والإسرائيلية. وأهمية هذه الأنباء تتمثل بإخــراج مادة تراثية عراقية، يهودية، من العراق، بصرف النظر عن أي دور للمخابــرات الإســرائيلية في هذا الشأن. وما يلفت النظر في المقال السابق هو تعلــيق نعيم دنغور عليه في مجلة "ذي سكرايب"[4] التي يصدرها، عندما يقول

---

(1) (Yisrael Meir Lau).

(2) "الصــنداي تايمــز" تذكر معرضين عرضت في كل منهما لفافة توراة، أحدهما في العفولة والآخر في نيويورك.

(3) (The Sunday Times)، 2000/5/7؛ (WorldNetDaily)، 2001/2/8.

(4) (The Scribe)، عدد 73، تموز 2000، ص 14.

أن أبــاه الراحل "تمكن عام 1957، وعلى كلفته الخاصة، من تصدير ليس أقل من 500 لفافة من مجموع أكثر من 3000 لفافة كانت تخص جماعتنا في بغداد واســتلمها بحــرص الاتحاد السفاردي في لندن. وأرسل الكثير من هذه اللفافات إلــى كنس في جميع أنحاء العالم، ولكن غيرهــا انتهى، مع الأسف، في أيدي تجــار وجامعــي التحف. كانت بغداد مشهورة بالنوعية الجيدة للفافات التوراة، والطلــبات من أرض إسرائيل كان عليها أن تنتظر وقتا يمتد أحياناً ثلاثة أعوام لتسليمها". بالرغم من المبالغة في أعداد اللفافات التي كانت موجودة في العراق، فــإن "حرص" "الاتحاد السفاردي" لم يمنعه من بيع بعض هذه اللفافات، ووصل بعضها الآخر بشكل غامض إلى "أرض إسرائيل". وفي تعليق لها على مجموعة من اللفافات من المتحف العراقي أمكن استعادتها في بغداد بعد عمليات التخريب والنهــب التــي تعــرض لها المتحف، تقول المجلة نفسها أن اليهود تركوا في العــراق ثلاثــة آلاف لفافــة. وتضيف أن "المئات من هذه اللفافات أرسلت إلى الجماعات اليهودية حول العالم"، وأن الحكومة العراقية قررت أن تحتفظ بجزء منها. وبالرغم من التعارض مع ما ذكرته المجلة في عددها السابق، فإن المجلة تبقى في إطار الأسواق التجارية، فهي تكتب أن ثمن كتابة لفافة من هذا النوع من قبل كاتب متخصص يصل إلى ثلاثين ألف دولار[1].

المعلومات من إسرائيل

تجــاوزت مهام "فريق ميت-ألفا" البحث عن أسلحة الدمار الشامل لترضي إســرائيل بــتفقد مــا تعتبره تراثاً يهودياً عراقياً، ففي بداية شهر حزيران عام 2003 قام الفريق نفسه بــ "إعادة افتتاح" مرقد ذي الكفل، جنوب غرب الحلة، الــذي يشــار إلــيه باســم "ضــريح حزقــيال". أساف حاييم، مراسل صحيفة معاريف[2]، حضر بنفسه "إعادة الافتتاح" ووصف هذا الحدث الجلل، وكتب عن المقــام أنــه "مقــدس عند اليهود العراقيين، وكذلك المسلمين والأكراد"، وكأن الأكراد ليسوا مسلمين. ويبدو غريباً أن يكون لدى "فريق ميت-ألفا" اهتماماً بهذا الموقع، وخاصة أن مسؤولي الفريق صرحوا في مكان آخر أن مهمتهم تنحصر في البحث عن "الأسلحة غير التقليدية". ولكن يبدو أن الفريق أصبح عاطلاً عن العمل بعدما فشلت محاولاته في العثور على أسلحة الدمار الشامل. وقد حصلت

---

(1) *(The Scribe)*، عدد 76، ربيع 2003.

(2) *(Maariv)*، 2003/6/9.

القـوات الأمريكـية علـى المعلومـات بوجود هذا الضريح من إسرائيل، كما صرحت هذه القوات نفسها. أثارت "إعادة افتتاح" المقام موجة عارمة من الفرح بين المسنين من اليهود العراقيين في إسرائيل، كما صرح بذلك أفنر أرازي[1]، العراقـي الأصل والعامل في وزارة الخارجية منذ 35 عاماً، الذي قال: "اليهود مـن جميع أنحاء البلاد سيؤمون الموقع المقدس ليصلوا ويحصلوا على البركات وقـد يمكثون مؤقتاً في المنطقة"، دون أن يوضح أي "بلاد" يقصدها في كلامه. أمـا الأسـتاذ دافـيد كاسوتو[2]، وهو معماري و"خبير في تاريخ الكنس"، فهو يـتحدى فهـم القارئ عندما يقول أن "اليهود والمسلمين تبادلوا إدارة الضريح. وكـان هـناك كنـيس عـندما كـان في المنطقة عدد كاف منهم. ولكن عندما اضـمحلت الجماعة اليهودية أخذ المسلمون الموقع وحولوا المبنى المجاور إلى مسـجد". ويفـيد الأستاذ كاسوتو أن الضريح كان محاطاً بألواح حجرية عليها الـنص الكامل لسفر حزقيال، غير أن هذه الألواح "جرى تهريبها إلى إسرائيل خوفـاً من تعرضها للتخريب". ويبدو أن "الخبير في الكنس اليهودية" لا يعرف بـأن "ذي الكفـل" قـد ذكر في القرآن الكريم، وهو ما يعني أن هناك ارتباطاً عضوياً بين قرية "الكفل" والمرقد. وقد تكون كلمة "كفل" تعود إلى أصول قديمة وقرنـت في فترة ما بذي الكفل. وإن صح هذا الافتراض، فإن خلفية هذا الربط لا يمكـن أن تكون إلا إسلامية، وليست "يهودية". ولا يمكن ربط ذي الكفل بأي شخصـية توراتية، سواء من خلال الاسم أو السياق القرآني، كما أشار جوزف هوروفيـتس، المتخصص في الدراسات اليهودية[3]. أخيراً فإن أي نقاش حول وجـود مقامات يهودية مرتبط بتفسيرات ذات طابع أيديولوجي سياسي لمصادر قديمـة، كالـتوراة وغيرها. وهذا الأمر لا ينطبق على العراق فحسب بل على المـنطقة كلهـا. فالدلالات التي تحملها هذه الشواهد ينبغي أن ينظر إليها ضمن فـترة نشوئها وفي إطار استمراريتها عبر العصور. إذ أن النسق المعماري[4] لهذه المواقع، الاسلامي أساساً، يؤكد عدم ارتباطها بأي تراث يهودي مزعوم.

---

(1) (*Avner Arazi*).

(2) (*David Cassuto*).

(3) (*Joseph Horowitz*)، (*Hebrew Union College Annual*)، 9 (1925)، ص ص 177-178.

(4) *بدايـة القرن الرابع عشر. أنظر عطا الحديثي وهناء عبد الخالق، القباب المخروطية في العراق. بغداد: مديرية الآثار العامة، 1974، ص ص 81-83.*

المئذنة الوحيدة في القرية

ولكــن، بالــرغم مــن ذلك، نجد "مرقد ذي الكفل" يدخل المراجع على أنه كنــيس وضــريح حزقــيال. أحد الذين رسخوا هذا الادعاء هو جون غوردون لوريمــر (1870-1914)[1]، وهــو من وضع في بداية القرن العشرين العمل الموسوعي "دليل الخليج"، وجمع فيه معلومات مفصلة حول الأوضاع الجغرافية للعراق والخليج تمهيداً لاستعمار المنطقة من قبل البريطانيين. لوريمر يشير إلى قــرية الكفل بأنها "هامة"، وتكمن "أهمية" القرية في أن "ضريح حزقيال يقع في وســطها". والغريــب أنــه يكتب أن "ما يلفت النظر في هذه القرية هو مئذنتها الوحــيدة التي يعتقد أنها كانت تؤلف جزءاً من مسجد لا وجود لــه الآن. وهي تعتــبر أحــد المعالم الممتازة لجميع الأراضي المحيطة بها، ويمكن رؤيتها في الطريق إلى كفل وكذلك بعد مغادرة مدينة النجف بأميال قليلة"، ويضلل لوريمر القــارئ لأنــه لا يوضــح أن هــذه المئذنة قائمة في المكان الذي هو "ضريح حزقــيال"، ولا يذكر بتاتاً "مرقد ذي الكفل"، وهو اسم الموقع الفعلي. كما ويذكر أن جــدران الحجرة "مزينة بقطع الزجاج العادي وقطع لامعة ملونة. وقد زينها تاجر يهودي من بومباي عندما قام بتجديد معالم الضريح منذ 65 عاماً"[2]. وما يلفــت النظر تقسيم لوريمر للسكان في قرية الكفل، فعددهم 2000 نسمة "منهم 200 مــن اليهود والباقي من العرب". ويظهر التركيز غير المبرر على اليهود عندما يعرض في موضع آخر من كتابه الوضع السكاني في بغداد، فعدد سكان المديــنة آنذاك هو 140 ألف، "ويبلغ عدد اليهود حوالي 55 ألف نسمة وهو ما يكــاد يفوق أي جنس آخر ويليهم العرب الذين يبلغ عددهم 38500 نسمة"، هذه المبالغة دفعت مترجم "الدليل"[3] إلى التعليق بقوله أن أحداً من المؤرخين الثقات لم يقل بأن عدد اليهود في بغداد قد زاد يوماً على عدد العرب مطلقاً، وأنه يمكن الرجوع إلى أي إحصاء رسمي لسكان بغداد في أي تاريخ والتأكد من ذلك.

---

(1) *John Gordon Lorimer*, Gazetteer of the Persian Gulf, `oman, and Central Arabia. *Calcutta: Supt. Govt.Print, 1908-1915*. يتألف عمــل لوريمر من قسمين، قسم جغرافي وتاريخي. وقد ترجم هذا العمل في قطر: "دليل الخليج. طبعة جديدة معدلة ومنقحة أعدها قسم الترجمة بمكتب صاحب السمو أمير دولة قطر، دون تاريخ". وتقع الترجمة العربية في ثلاثة عشر مجلداً.

(2) حسب الترجمة العربية، القسم الجغرافي، الجزء الثالث، ص ص 1284-1285.

(3) القسم الجغرافي، الجزء الأول، ص 250.

من بومباي إلى البصرة

عملية الاستيلاء على "مرقد ذي الكفل" الإسلامي، وعملياً تخريبه بنقل الألواح الحجرية منه، لا تختلف البتة عما حصل للكثير من المقامات الفلسطينية المرتبطة بشخصيات توراتية. فبالإضافة إلى السطو المادي على هذه المواقع الدينية الفلسطينية، حولت إلى مراكز دينية يهودية يمنع الفلسطينيون من زيارتها، ناهيك عن الاستخدام الشاذ المتمثل بممارسة طقوس يهودية في مبانٍ صممت أصلاً كمساجد. والأمثلة كثيرة، أهمها الاستيلاء على نصف الحرم الإبراهيمي في الخليل، والسطو على كامل مقام النبي داود في القدس أو مقام النبي صاموئيل في القرية التي تحمل اسمه شمال غرب القدس. وقصة تشويه تراث ذي الكفل تعود إلى

القرن التاسع عشر، وكان لوريمر نفسه قد أشار إلى عمليات ترميم مولها ثري يهودي بريطاني من بومباي[1].

في أيلول 1910 قامت اليهودية فرحة (فلورا) ساسون[2] وأبناؤها برحلة من بومباي إلى بغداد عبر البصرة سجلت وقائعها بالإنجليزية ابنتها موزيل[3]، في حين توجد يوميات بالعبرية للابن دافيد سلمون ساسون[4]. وتعود أصول عائلة فرحة إلى العراق، قبل أن يهاجر أبوها عام 1842 إلى بومباي. وتعكس هذه اليوميات بشكل لافت للنظر اهتماماً خاصاً بالتراث اليهودي العراقي، وتتطرق إلى مرقد ذي الكفل، رغم أنها لا تفسر ماهية ربط هذا الموقع بحزقيال. وفي البداية لا بد من الإشارة إلى أن اليوميات المنشورة تضمنت صوراً من العراق، من بينها صورة للمرقد بلا تاريخ يملكها شاؤول ساسون، أحد أفراد العائلة التي قامت بالرحلة إلى العراق. والتعليق تحت الصورة: "المكان المقدس لحزقيال، المُرَمَّم، الآن بأيدي المسلمين المحليين". وقد ظهرت داخل الصورة عبارة "مرقد ذي الكفل" وتبدو في الصورة المئذنة التي ترتفع إلى جانب قبة الضريح. الابن دافيد يعود إلى الوراء ليعرض ما حصل عام 1860 أثناء فترة حكم مصطفى باشا في بغداد، ويذكر أن متنفذين مسلمين "ادعيا" أن

---

(1) على الأغلب ألبرت عبد الله ساسون؛ أنظر هامش 763.

(2) (Farha Sassoon).

(3) (Mozelle).

(4) أنظر (The Scribe)، عدد 74 (خريف 2001)؛ عدد 75 (خريف 2002).

الضـــريح للمســـلمين بحجة أن المساجد فقط تعلوها مآذن. وبناء عليه، تم إبلاغ وزارة الأوقاف بأن تدرج الموقع كوقف إسلامي، "ما سبب عذاباً كبيراً لليهود". ويشـــير ساســـون إلـــى اعتراض رفعته بعض الشخصيات اليهودية إلى الباب العالـــي، الذي أرسل مبعوثاً خاصاً من استنبول لبحث الموضوع و"أصدر حكمه لصالح اليهود".

"مساكن الهدوء"

ويـــبدو أن لا شيء يخرج عن المألوف في هذا السرد، لولا عبارة مقتضبة يضـــيفها ساسون: "في هذا الشأن جاء ذكر اسم السير موشي مونتيفيوري، الذي قـــدم دعمـــه لهـــذا الموضـــوع". وهذا الاسم يرتبط بمشاريع مبكرة للاستعمار الـــيهودي في فلسطين، ويتكرر في حالات مشابهة، كما في "قبة راحيل" شمال بيـــت لحـــم، المقام الإسلامي الذي لم يكن لـــه علاقة باليهود إلا بعد أن "تدخل" مونتيفـــيوري عـــام 1841 لترميمه وإضافة غرفة في الجهة الشرقية. والمقام، كالكثير من المقامات في فلسطين، يعود بقبته المألوفة إلى الفترة العثمانية، وفي جـــداره الجنوبي محراب. لكن هذا كله لم يمنع السلطات الإسرائيلية من وضع يدهـــا علـــى الموقع بعد عام 1967 وتحويله إلى كنيس ليصبح فيما بعد، وحتى الـــيوم، شـــوكة فـــي وســـط الامـــتداد الطبيعي بين منطقتي القدس وبيت لحم. ومونتيفـــيوري يقـــف أيضاً وراء تأسيس واحدة من أوائل المستوطنات اليهودية خارج أسوار القدس، وشكلت عملياً نواة التوسع الاستعماري في القدس الغربية. وقـــد تمكن مونتيفيوري عام 1855 من شراء قطعة الأرض الواقعة إلى الجهة الغربـــية من بركة السلطان بعد أن حصل من الحكومة العثمانيـــة على "إعفاء خـــاص" لشراء الأرض كأجنبي، وهو ما يشير إلى مدى التأثير الذي كان يملكه مونتيفـــيوري على الحكومة العثمانية. المؤرخ الإسرائيلي بن-أرييه[1]، يعرض تاريخ القدس الحديثة ليبرز الوجود اليهودي في المدينة، غير أن ما يكتبـــه هذا "المـــؤرخ" يكشف بحد ذاته اصطناع هذا التاريخ على حساب السكان المحليين، ويـــدل بمـــا لا يقـــبل الشك أن جذور الاستعمار الصهيوني لفلسطين تعود إلى منتصف القرن التاسع عشر على الأقل. يقول بن-أرييه عن الجهود الاستعمارية

---

(1) *Yehoshua Ben-Arieh*, Jerusalem in the 19th Century: Emergence of the New City. *Jerusalem/New York: Yad Izhak Ben-Zvi/St. Martin's Press, 1986*، ص 74.

لمونتيفيوري، الذي مول تأسيس مطحنة دقيق في المستوطنة: "كان يأمل أن تؤمن المطجنة الدقيق بسعر أقل من ذاك الذي حدده الطحانون العرب وهكذا تخفف من معاناة فقراء القدس"، ولم يحدد الكاتب من يقصد بـ "فقراء القدس"، وبما أن العرب كانوا "يحتكرون" طحن الحبوب في ذلك الوقت فإن المطحنة تضرب، عملياً، مصالح المطاحن العربية في القدس. وحتى لا يعكر أي عربي صفو هذه المستوطنة، التي سميت "مساكن الهدوء" (ميشكينوت شاعانانيم)، كان "يشغل الطاحونة بأكملها طحانون من كانتيربري، إنجلترا". وقد وزع نصف "مساكن الهدوء" على يهود "سفارديين، والنصف الآخر على أشكينازيين".

قناصل وولاة

لم تكن فرحة ساسون امرأة عادية، فيوميات ابنتها تكشف أنها كانت تتحرك في أوساط دبلوماسية، بريطانية وأمريكية، ومن المعروف أن هذه الأطراف كانت في تلك المرحلة الاستعمارية المبكرة مسؤولة بشكل مباشر عن تنفيذ المخططات الاستعمارية في المنطقة، بالإضافة إلى اهتمام خاص بالسيدة ساسون كان يبديه الوالي التركي للمدينة. ففي الحادي عشر من تشرين الأول 1910 دعيت العائلة إلى بيت القنصل البريطاني لوريمر لشرب شاي بعد الظهر حسب العادة الإنجليزية، وبقيت العائلة حتى المساء لتجري طقوساً يهودية. وأبدت الابنة اهتمامها بخبر حول السيد شتراوس، القنصل الأمريكي في استنبول، فقد كان ينوي زيارة روسيا، ولكن السلطات الروسية لم تمنحه تأشيرة دبلوماسية، لأنه يهودي، واكتفت بإصدار تأشيرة كالتي تمنح للتجار اليهود. وكانت الأم قد قابلت السيد شتراوس أثناء عشاء دعاها إليه عام 1906 في استنبول السير صاموئيل مونتاغو[1]. كما وزار العائلة في بيتها في بغداد "القنصل الألماني السابق"، وأبدى إعجابه بالبيت قائلاً أنه لم يكن يعرف بوجود بيت كهذا في المدينة. وقد رافق العائلة في رحلتها انطلاقاً من كراتشي السير ولـيام ويلكوكس[2]، الذي كان مسؤولاً عن أعمال الري في الحكومة التركية. ودعيت العائلة إلى الاحتفال الرسمي لعيد الفطر، الذي جرى أمام الباب الوسطاني، وفي الخيمة التي نصبت لهذا الغرض، صافح الوالي ناظم باشا

---

(1) (Samuel Montagu).

(2) (William Willcocks)؛ أنظر (Encyclopaedia Britannica, 15^{th} Edition)

فرحة ساسون وابنتها. وأقيم عرض عسكري شارك فيه 4000 جندي، من بينهم "450 جندياً إلزاميا يهوديا". وهناك "الجد السير ألبرت"، الذي تبرع بمبنى "كنيس المدرسة"[1] في بغداد، والجد "ألبرت" أو عبد الله[2] هو الابن الأكبر لدافيد ساسون، أحد أكبر أثرياء بومباي اليهود وينحدر من أصل عراقي، وكان يعمل في مجال البنوك ويتاجر بالأفيون. السير صاموئيل مونتاغو، المصرفي وعضو البرلمان في نهاية القرن التاسع عشر، هو والد ادوين صاموئيل مونتاغو[3]، الذي كان له دور هام في صياغة وعد بلفور وإدوين هو عم هربرت صاموئيل[4]، المندوب السامي في فلسطين للأعوام 1920-1925.

شخصيات يهودية، تقف وراءها مصالح استعمارية، كانت أسماؤها تتردد في تلك الفترة المبكرة من تاريخ العراق وفلسطين، وفي البلدين تتكشف محاولات مشبوهة لإبراز تراث يهودي وتغيير المشهد الحضاري. وبصرف النظر عن خطط صهيونية ربما كانت مطروحة لاستعمار العراق إلى جانب فلسطين، فإن ما يحصل اليوم لا يختلف من حيث المبدأ عما كان يخطط له منذ قرن ونصف من الزمان، من سياسات خارجية تتحكم بمقادير المنطقة وترسم حدودها ومستقبلها. الفرق أنه لم تعد هناك حاجة اليوم إلى قناصل ووسطاء يهود يحضرون من أقاصي العالم، كالهند وغيرها، فهناك رؤساء حكومات، ووزراء، جنرالات، وحكام مدنيون يعملون في المنطقة بشكل مباشر ويستكملون محاولات قديمة يزخر بها تاريخ المنطقة. كوندوليسا رايس، مستشارة الأمن القومي في الإدارة الأمريكية، كتبت بعد احتلال العراق أن "العراقيين قد استردوا بلادهم"، مضيفة أن أمريكا تعمل على تزويدهم بـ "أمن أكثر وفرص أكبر"، لكن ليندا هيرد[5] اقترحت، في معرض تعليقها على ما كتبته رايس، استبدال كلمة العراقيين بالإسرائيليين وكلمة بلادهم بالعراق، أي "الإسرائيليون استردوا العراق" وهكذا تصبح عبارة رايس حقيقية وفي محلها

---

[1] المدرسة هي (Israélite Alliance Universelle).

[2] (Sir Albert Abdallah David Sassoon). موزيل، ابنة فرحة، تقصد الجد الأكبر. فرحة هي حفيدة ألبرت ساسون، حسب موقع (Family Names & Web Cards)، أنظر (http://www.farhi.org./wc51/wc51_424.htm). حول ألبرت ساسون (1817-1896) وأبيه دافيد (1792-1864)، أنظر (Jewish Encyclopedia.com).

[3] (Edwin Samuel Montagu).

[4] أنظر موقع (Find a Grave) تحت اسم (Herbert Louis Samuel).

[5] (Gulf News)، 2003/8/12.

تمامــاً. ففـــي المنطقة، وضمن ظروف الانتفاضة الفلسطينية، إسرائيل هي من يبحث عن الأمن والفرص، وكلا الهدفين تحققا لها مع الغزو الأمريكي للعراق. لكن تطور الأحداث في العراق وفلسطين يحدده الشعبان في كلا البلدين، ويؤكد أن إرادة الشـــعوب تدفـــع بـــالأمور إلى مسارات أخرى لا تدخل في حسابات المحتلين.

■■■

المحتوى

***

رقم الإيداع في مكتبة الوطنية

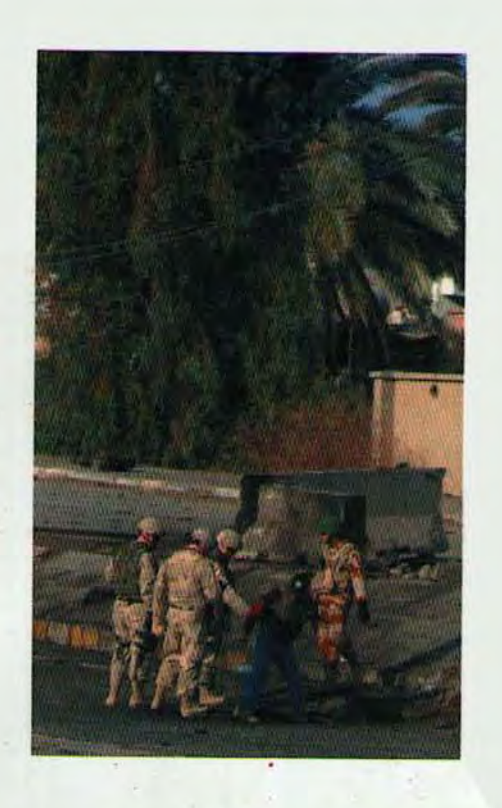
الاختراق الصهيوني للعراق: دراسة / خالد الناشف.ـ
دمشق اتحاد الكتاب العرب ،2005– 230 ص ;
25 سم .

1- 320,9563 ن ا ش ا
2 – 320,56 ن ا ش ا
3- العنوان 4- الناشف

ع- 2005/2/101




اتحاد الكتاب العرب
ARAB WRITERS UNION
DAMASCUS دمشق



هذا الكتاب

ابـــتداء من مساء العاشر من تشرين الأول 2003 كـــان الحاخـــام جاكوب غولدستين يـــردد الصلوات كل يوم أمام مظلة أقيمت فـــي الساحة المواجهة للقصر الرئاسي في بغـــداد. وكانـــت المظلة كبيرة "حتى يراها الجمـــيع"، وعلق على هذا الاحتفال قائلاً:

"كـــان الأمر رائعاً، كنت أتمنى لو كان صدام هنا حتى يرى المظلة (سوكاه) أمام الـــبوابات الرئيسية لقصره، كان الأمر مدهشاً حيثما كنا وما فعلنا، وأننا اليوم هنا نبتهج بالتوراة في مقر الشر. وبطريقة ما قمنا بتحسين البيئة روحياً".

ونام غولدستين في "أحد قصور صدام وسمح له بأن يتجول في المكان بسبب رتبته والإعفـــاء الـــذي يحملـــه، والتقطت له صور وهو يحمل سعفة نخل بإحدى يديه ونارنجة باليد الأخرى أمام قصر صدام في بغداد.

مطبعة اتحاد الكتاب العرب
دمشـــق

ثمن النسخة 300 ل.س في القطر
350 ل.س في أقطار الوطن العربي